مِن روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف
المهندس حشيّ محمد هبيان

قدّم له:
د. زكريّا توفيق إسماعيل

المجلد الخامس

من بداية سورة الأعراف حتى آخر سورة التوبة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061

هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904

الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان:

هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت لبنان

سورة الأعراف

أولاً ـ تناسب خواتيم الأنعام مع فواتح الأعراف:

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال في أول سورة الأعراف: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف:٢].

٢ ـ وقال في أواخر الأنعام: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤].

وقال في أوائل سورة الأعراف: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف:٦-٧].

والتَنْبِيءُ المذكور في الأنعام مناسب للسؤال والإخبار بعلم الله وأنه سبحانه لم يكن غائباً عن فعلهم واختلافهم المذكور في الأعراف.

٣ ـ قال في آخر الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥].

وقال في أول الأعراف: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف:٤].

وإهلاك القرى المذكور في الأعراف من سرعة العقاب الذي ذكره في الأنعام. فناسب آخر الأعراف أول الأنعام.

جاء في «روح المعاني» في ارتباط هاتين السورتين: "وأمّا وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأولى فهو أنه قد تقدّم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣] ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٥] وافتتح هذا بالأمر باتباع الكتاب، وأيضاً لمّا تقدّم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام:١٥٩] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام:١٦٤] قال جلّ شأنه في مفتتح هذه: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:٦]... إلخ، وذلك من شرح التنبئة المذكورة.

وأيضاً لمّا قال سبحانه: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ [الأنعام:١٦٠] وذلك لا يظهر إلا في الميزان، افتتح هذه بذكر الوزن، فقال عزّ من قائل: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف:٨] ثم (من ثقلت موازينه)، وهو من زاد حسناته على سيئاته، ثم (من خفت) وهو على العكس، ثم ذكر سبحانه بعد ذلك أصحاب الأعراف وهم في أحد الأقوال: من استوت حسناتهم وسيئاتهم ".

ثانياً ـ هدف السورة: احسم موقفك ولا تكن سلبياً:

سورة الأعراف من أطول السور المكية، وهي أول سورة عرضت بالتفصيل قصص الأنبياء من بداية خلق آدم عليه السلام إلى نهاية الخلق مروراً بنوح، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى على رسولنا وعليهم أفضل الصلاة والسلام. والسورة تجسد الصراع الدائم بين الحق والباطل وكيف أنّ الباطل يؤدي إلى الفساد في الأرض، وفي قصص كل

الأنبياء الذين ورد ذكرهم في السورة تظهر لنا الصراع بين الخير والشر وبيان كيد إبليس لآدم وذريته؛ لذا وجّه الله تعالى أربعة نداءات متتالية لأبناء آدم بـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾؛ ليحذّرهم من عدوهم الذي وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في المخالفة لأمر الله تعالى.

كما تعرضت السورة الكريمة إلى أصناف البشر، فهم على مرّ العصور ثلاثة أصناف: المؤمنون الطائعون، العصاة، والسلبيون الذين هم مقتنعون لكنهم لا ينفذون إمّا بدافع الخجل أو اللامبالاة وعدم الاكتراث.

والسلبية هي من أهم المشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع والأمة، وجاءت الآية لتحذرنا أنه علينا أنْ نحسم مواقفنا في هذه الحياة ونكون من المؤمنين الناجين يوم القيامة، ولا نكون كأصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وينتظرون أنْ يحكم الله فيهم.

* **وسميت السورة (الأعراف)**: لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلهما، وروى جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله تعالى فيهم.

وقد بدأت السورة **بمعجزة القرآن الكريم على الرسول ﷺ** وأنّ هذا القرآن نعمة من الله تعالى على الإنسانية جمعاء، فعليهم أنْ يتمسكوا بتوجيهاته وإرشاداته ليفوزوا بسعادة الدارين ويكونوا من الناجين يوم القيامة ومن أهل الجنة: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف:٢-٣].

* **النموذج الأول من صراع الحق والباطل:** قصة آدم مع إبليس، ويبين لنا تعالى في هذه القصة كما في باقي السورة كيف أنّ الحق ينتصر في النهاية على الباطل، وقد جاءت كلمة: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ في وصف إغواء الشيطان لآدم؛ لتبين لنا كيف أنّ الذين لا يحسمون أمورهم ومواقفهم كالمعلقين في البئر لا هم هالكون ولا هم ناجون، ممّا يؤكد على أنّ علينا أنْ نحدد موقفنا من الصراع بين الحق والباطل.

* **عرض يوم القيامة وقصة أصحاب الأعراف:** (الآيات ٤٤ -٥١) تذكر الآيات قصة أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وبقوا على الأعراف ينتظرون حكم الله تعالى فيهم، والأعراف قنطرة عالية على شكل عرف بين الجنة والنار والمكث عليها مؤقت؛ لأنّ في الآخرة الناس إمّا في النار أو في الجنة، وأصحاب الأعراف كانوا يعرفون الحق والباطل لكنهم لم يحسموا أمرهم فحُبسوا بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝٤٦﴾ [الأعراف:٤٦]. فعلينا أنْ لا نضع أنفسنا في هذا الموقف ونعمل جاهدين على أنْ نكون من أهل الجنة؛ حتى لا نقف هذا الموقف على الأعراف.

*** عرض نماذج من صراع الحق والباطل:**

عبر قصص الأنبياء على مر العصور عرضت الآيات قصة كل نبي مع قومه والصراع بين الخير والشر، وكيف أنّ الله تعالى ينجي نبيه ومن اتبعه وينصرهم على عدوهم.

*** قصة نوح مع قومه:** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف:٦٤].

*** قصة هود:** ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف:٧٢].

*** قصة صالح: (آية ٧٣ – ٧٩).**

*** قصة لوط** ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ .

*** قصة شعيب:** ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف:٨٨].

*** مقارنة بين الحسم والتردد في قصة موسى وفرعون والسحرة:** الآيات توضح كيف حسم السحرة موقفهم من نبي الله موسى بعدما رأوا الحق وأخذوا موقفاً واضحاً من فرعون وأتباعه وآمنوا بالله تعالى وبما جاء به موسى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف:١٢٤-١٢٥-١٢٦]، وتردد بنو إسرائيل باتباع موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن

يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ [الأعراف:١٢٨-١٢٩] وهذه عبرة لنا؛ ذلك أنّ التردد لا يؤدي إلى الحق والجنة.

* **قصة أهل السبت:** وكيف تحايلوا على الله تعالى؛ لأنهم لم يحسموا مواقفهم بالتسليم الكلي لله وتطبيق ما يعتقدونه عملياً حتى يكونوا من الفائزين، لكنهم كانوا يعتقدون شيئاً ويمارسون شيئاً آخر: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ [الأعراف:١٦٣].

* **فئات بني إسرائيل:** عرضت السورة فئات بني إسرائيل الثلاثة، فهم إمّا: عصاة، أو مؤمنون ينهون عن المعاصي، وإمّا متفرجون سلبيون، وهذه الفئات موجودة في كل المجتمعات، السلبيون قالوا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤] والمؤمنون ردوا: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ وقد ذكر الله تعالى لنا كيف نجّى الفئة المؤمنة وعاقب الفئة العاصية، كما في قصة أصحاب الأعراف: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف:١٦٥]، ولم يذكر هنا مصير الفئة السلبية، ويقول بعض العلماء: إنهم مع الفئة الضالة الظالمة؛ لأنهم لم ينهوا عن السوء، والبعض الآخر يرى أنهم سكتوا عن الحق، والله تعالى سيحسم وضعهم يوم القيامة؛ لذا لم يرد ذكرهم في السورة، والله أعلم.

إذن بعد هذا العرض للسورة نستنتج أنّ علينا الابتعاد عن السلبية، وعلينا أنْ نحسم مواقفنا من الآن؛ لأننا نريد أنْ ندخل الجنة بإذن الله، ولا نريد أنْ نكون مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وعلينا ألّا يثنينا عن نصرة الحق خجل ولا عدم مبالاة أو قلة اكتراث أو ضعف، ولعلّ الغفلة هي من أهم أسباب التردد والسلبية، فعلينا أنْ نسعى ألّا نكون من الغافلين؛ لأنّ الغافل قد يكون أسوأ من العاصي، فالعاصي قد يتوب كما فعل سحرة فرعون، أمّا الغافل فقد يتمادى في غفلته إلى حين لا ينفع معه الندم ولا العودة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف:١٧٩].

وتأتي ختام السورة لتركز على البعد عن الغفلة وحسم الأمر: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾ [الأعراف:٢٠٥].

والسجدة في الآية الأخيرة كأنها جاءت لتزيد في النفس الاستعداد للحسم فربما بهذه السجدة يصحى الغافل من غفلته ويحسم موقفه السلبي إذا عرف بين يدي من يسجد فيعود إلى الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقد ختمت السورة بإثبات التوحيد كما بدأت به، وفي هذا دعوة إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى في البدء والختام. وهذه السورة مرتبطة بسورة الأنعام؛ لأنّ الابتعاد عن السلبية وحسم الموقف هو من توحيد الله تعالى في المعتقد والتطبيق أيضاً.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿الٓمٓصٓ ١﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الأحرف المقطعة في أوائل السور ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة رقم ١.

❁❁❁❁

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾

السؤال الأول:

ما الحرج المذكور في الآية ؟

الجواب:

الحرج في حقيقته المكان الضيق من الغابات الكثيرة الأشجار بحيث يعثر السالك فيه، فأغمض عينيك أيها المتدبر لكتاب الله، وأعمل خيالك في هذه الصورة القرآنية لحال الآسف الحزين الذي امتلأ صدره حزناً، فإنه يعسر منه التنفس من انقباض أعصاب مجاري التنفس، فتخيل هذا الضيق النفسي بضيق مكان مليء أشجاراً كيف تستطيع تجاوزها، فها هي صورة القرآن التي ترسم بألفاظها المحكمة ما تعجز ريشة الفنان عن الإتيان به.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الحرج والضيق ؟

الجواب:

١ـ الحرج هو ضيق لا منفذ فيه مأخوذ من (الحرجة)، وهي الشجر الملتف حتى لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه؛ ولهذا جاء بمعنى الشك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء:٦٥] أي: شكاً؛ لأن الشاك في الأمر لا ينفذ فيه.

وقوله تعالى في آية الأعراف: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:٢] أي: ضيق.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] أي: لا يوجد في الدين ضيق لا مخرج منه؛ لأنّ الله شرّع التوبة وهي مخرج، والرُخص وهي مخارج أيضاً.

ولقد قيل: ما أدى إلى الضيق فهو منفي، وما أوجب التوسعة فهو أولى.

٣ـ الحرج: هو الضيق أو الشك؛ لأنّ الشاك ضيق الصدر حرج الصدر كما أنّ المتيقن منشرح الصدر منفسح القلب.

السؤال الثالث:

ما معنى اللام في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ ؟

الجواب:

اللام في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ بمعنى (كي)، و هي تتعلق بقوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ على التقديم والتأخير، والتقدير: كتاب أُنزل إليك كي تنذر به، فلا يكن في صدرك حرج منه.

السؤال الرابع:

ما فائدة هذا التقديم والتأخير في الآية ؟

الجواب:

فائدة هذا التقديم والتأخير أنّ الإقدام على الإنذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل إلا عند زوال الحرج من الصدر؛ ولهذا السبب أمره الله بإزالة الحرج من الصدر، ثم أمره بعد ذلك بالإنذار والتبليغ.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ قيّد هذه الذكرى بالمؤمنين، وهو نظير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ .

والنفوس البشرية قسمان: بليدة جاهلة غارقة في الملذات، وأخرى شريفة تترقى بالحوادث الروحانية.

وبعثة الأنبياء والرسل في حق القسم الأول إنذار وتخويف، وفي حق القسم الثاني تذكير وتنبيه.

السؤال السادس:

ما إعراب ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ ؟

الجواب:

إعراب ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ فيها وجوه:

آ- في محل نصب على تقدير: (وليكون) ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ فهي خبر (يكون) المقدر.

ب - في محل نصب على معنى: لتنذر به ولتذكر.

ج - في محل رفع على معنى: متاب حق وذكرى، أو وهو ذكرى.

والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تذّكّرون وتذكّرون وتتذكرون)؟

الجواب:

الاختلاف في المعنى أنه عندما تأتي: (تَتَذَكَّرُونَ) تكون مساحة التأمل أوسع، وهذا مثال في قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠] وقبلها كان الكلام عن النظر في آيات الله في الكون، و(هذا ربي) ثم (هذا ربي) ثم (هذا ربي)، وهي أمور تحتاج إلى طول زمن.

ولكن عندما نأتي إلى (تذكّرون) أو (تذّكّرون)- بالتشديد على الذال- نجد أنّ المسألة منحصرة إمّا في أوامر من الله عز وجل يأمرهم بتنفيذها مثل ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف:٣] الأمر يأتي للتنفيد أو للتقرير فتكون المسألة منحصرة مجتزأة لا تحتاج إلى طول الوقت الذي احتاجته التأملات التي في خلق السموات والأرض، كما في قصة إبراهيم عليه السلام.

وأما التشديد على الذال فهو للتأكيد، وكل ما قرأه حفص (تذكّرون) قرأه نافع وورش (تذّكّرون) بالتشديد على الذال، وأجمعوا على قراءة (يذّكّرون) بتشديد الذال، وحيثما وردت بالتشديد ففيها معنى التأكيد لما تأتي.

السؤال الثاني:

ما دلالة حذف التاء من آية الأعراف، فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتاء واحدة ؟

الجواب:

حذف التاء من آية الأعراف فقال: ﴿تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ بتاء واحدة؛ وذلك أنها خطاب للمؤمنين، والمؤمنون لا يحتاجون إلى طول تذكر لاتباع ما أنزل إليهم من ربهم، بل يفعلون ذلك بتذكر قليل، فحذف التاء وقال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾. والآية تعني اتباع الكتاب ومثله السنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].

❁❁❁❁

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة مشهد إهلاك القرية في الآية ؟

الجواب:

انظر كيف رسم القرآن مشاهده بأبدع رسم، فهنا يعرض القرآن حقيقة الهلاك للقرية دون أنْ يأتي على ذكر أهلها لقصد الإحاطة والشمول. فتخيل مشهد القرية وهي تتدمر بأكملها، ستجد نفسك أمام هذه الصورة الفظيعة وتتساءل بدهشة: إذا كان هذا ما حلّ بالقرية وهي ثابتة مستقرة فكيف بأهلها؟ وستزداد دهشة إذا علمت أنّ ساعة الهلاك هي ساعة نومهم، قال تعالى: ﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف:٤].

السؤال الثاني:

كيف يأتي البأس بعد الإهلاك في قوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا﴾ في سورة الأعراف ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ الفاء تأتي للترتيب الذِكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال، فأولاً يأتي بالموت بشكل إجمالي ثم يفصّل الإهلاك.

ومثال آخر: ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء:١٥٣] (سألوا موسى) مجملة، (وأرنا الله جهرة) مفصّلة.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [هود:٤٥] تفصيل بعد الإجمال.

السؤال الثالث:

ما نوع ﴿وَكَم﴾ في الآية ؟وما إعرابها؟

الجواب:

١ـ كم: خبرية كناية عن العدد الكثير في محل رفع مبتدأ، وجملة (أهلكناها) خبر.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعني أهل قرية.

السؤال الرابع:

ما البأس؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى:﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ البأس هو القوة التي لا تقهر، وهو عائد على القرية، وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ عاد الضمير إلى أهل القرية؛ لأنَّ معنى البيات والقائلة لا يصح إلا فيهم، ولأنَّ أهلها هم المقصودون بالذات.

السؤال الخامس:

لقائل أن يقول: قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ يقتضي أنْ يكون الإهلاك متقدماً على مجيء البأس وليس الأمر كذلك، فإنَّ مجيء البأس مقدم على الإهلاك، فما توضيح ذلك ؟

الجواب:

١ـ المراد بقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: حكمنا بهلاكها فجاءها بأسنا.

٢ ـ كم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

٣ ـ الفاء في﴿فَجَآءَهَا﴾ تأتي للترتيب الذكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب فقط، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال، وأنّ البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿بَيَٰتًا﴾ مصدر واقع موقع الحال بمعنى (بائتين أو بايتين)، وسمي البيت بيتاً لأنه يبات فيه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ (أو) حرف عطف و ﴿هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة حال معطوفة على قوله (بياتاً)، كأنه قيل: فجاءها بأسنا بايتين أو قائلين، بمعنى: (نائمون ليلاً أو وقت القيلولة)، أي: أنهم كانوا في كلٍّ من الوقتين غافلين مستريحين ففاجأتهم الأحداث من دون استعداد، والعذاب في وقت الراحة يكون أشد وأغلظ.

والقيلولة عند العرب هي الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر مع نوم أو بدون نوم، والدليل على أنه قد يكون بغير نوم أنّ الجنة لا نوم فيها والله يقول: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا وَأَحۡسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان:٢٤].

٣ـ الحرف ﴿أَوۡ﴾ ربما أفاد أنّ البأس جاء مرة ليلاً ومرة نهاراً؛ لأنّ الكلام عن عدد كثير من القرى﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: فجاء لقرية بياتاً ولقرية أخرى في وقت القيلولة، فمثلا حدث الهلاك لقوم لوط، بالليل وحدث الهلاك لقوم شعيب في القيلولة. والله أعلم.

السؤال السابع:

كيف يأتي البأس بعد الإهلاك في الآية ٤ من سورة الأعراف ؟

الجواب:

الفاء تأتي للترتيب الذكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب فقط، وهي تعني التفصيل بعد الإجمال.

* شواهد قرآنية:

آ ـ في آية الأعراف ٤ : أولاً يأتي الموت بشكل إجمالي ثم يفصّل الإجمال.

ب ـ في آية هود ٤٥ : ﴿وَنَادَىٰ﴾ ، ثم قال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ فصّل بعد الإجمال.

ج ـ في آية النساء١٥٣ : (سألوا موسى) مجملة (وأرنا الله جهرة) مفصلة.

السؤال الثامن:

ما الفرق بين استعمال كم وكأين ؟ واستعمالهما في آية الأعراف ٤ والحج ٤٥؟

الجواب:

١ـ (كم): كناية عن العدد المبهم تقع على القليل منه والمتوسط والكثير، وهي على قسمين:

أ ـ استفهامية، نحو: كم درهماً عندك ؟ كم رجلاً أكرمت؟ ولا تحتمل الصدق والكذب.

ب ـ خبرية: وتكون بمعنى (كثير)، وسميت خبرية لأنها تحتمل الصدق والكذب، نحو: كم رجل أكرمت ؟ وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥﴾ [الدخان:٢٥].

٢ـ (كأين): مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة، ثم حصل لهما بالتركيب معنى ثالث لم يكن لكل واحد منهما في حال الإفراد.

وهي تفيد التكثير مثل كم الخبرية، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مع (من) كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران:١٤٦].

والذي يبدو أنّ (كأين) تستعمل في القرآن الكريم في مواطن التفخيم والتعظيم إضافة إلى التكثير.

* شواهد قرآنية: آية الأعراف ٤ وآية الحج ٤٥:

جاء في الأعراف بـ ﴿وَكَم﴾ وفي الحج بـ ﴿ فَكَأَيِّن﴾ [الحج:٤٥] ومن مراجعة السياق في السورتين نجد أنّ سياق آيات الحج في المظلومين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقد أُذن لهم بالقتال، وفيه التأسي بما وقع للطوائف المؤمنة من قبل، فقد كذبهم قومهم وأوذوا فأملى ربك للكافرين ثم أخذهم أخذة قاصمة، ثم قال بعدها: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج:٤٥] فهذا موطن تفخيم. وليس السياق في الأعراف على هذا.

السؤال التاسع:

قوله تعالى في الآية﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ هل هو من القيلولة أو القول؟

الجواب:

كلمة﴿قَآئِلُونَ﴾ في الآية هي من القيلولة وليس من القول.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ١٩٣.

❀❀❀❀

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

كيف الجمع بين آية الرحمن ٣٩، وآية الحجر ٩٢، وآية الصافات ٢٤، وآية الأعراف ٦، وآية الزخرف ٤٤ ؟

الجواب:

١ـ للآخرة مواطن فلا يُسأل في موطن ويُسأل في موطن، ففي مشهد لا يتكلمون ولا يُسأل أحد. وإنما صمت عام، يبقى الناس أربعين ألف سنة لا يتكلمون، ثم بعد ذلك يكون السؤال والجواب، فهي مشاهد قبل الحساب ثم يذهب الناس إلى آدم عليه السلام ثم إلى بقية الأنبياء، حتى يقول البعض: اللهم ارحمنا من هذا ولو إلى النار.

٢ـ المعنى لا يُسأل عن فعله أحد منكم ولكن يُسأل بقوله: لمَ فعل الفاعل، أي: لا يُسأل سؤال استعلام، بل يُسأل سؤال توبيخ.

٣ـ قيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحِجر:٩٢] سؤال توبيخ و ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ [الرحمن:٣٩] سؤال استعلام.

٤ـ وقيل: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحِجر:٩٢] لِمَ عملوا، ولا يُسألون ماذا عملوا؛ لأن الله أعلم بذلك.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما وجه الاختلاف في قصة آدم عليه السلام بين سورتي البقرة والأعراف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٩.

السؤال الثاني:

لماذا استخدمت كلمة (إبليس) مع آدم ولم تستخدم كلمة (الشيطان)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] وفي سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١] إبليس هو

أبو الشياطين كما أنّ آدم أبو البشر وبداية الصراع كانت بين أبي البشر وأبي الشياطين، و(الشيطان) يُطلق على كل من كان كافراً من الجن أي على الفرد الكافر من الجنّ.

السؤال الثالث:

لماذا جاء ذكر إبليس مع الملائكة عندما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم مع العلم أن إبليس ليس من جنس الملائكة؟

الجواب:

الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم في آية سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ **[البقرة:٣٤]** وأمر إبليس على وجه الخصوص في آية سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ **[الأعراف:١٢]** فليس بالضرورة أنّ الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود كما في آية سورة البقرة، وأمر إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به في آية سورة الأعراف.

السؤال الرابع:

هل كان إبليس مأموراً بالسجود لآدم؟

الجواب:

نعم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أمراً عامّاً: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ **[البقرة:٣٤]** وأمر إبليس بالسجود أمراً خاصاً: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ **[الأعراف:١٢]**.

السؤال الخامس:

هل إبليس من الملائكة ؟

الجواب:

١ـ إبليس ليس من الملائكة وإنما من الجن لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠] فإبليس كان مع الملائكة، لكنه ليس منهم.

٢ـ في هذه الآية جاء الأمر للملائكة بالسجود لآدم تكريماً له، وهنا في هذه الآية لا يشمل الأمر إبليس؛ لأنه ليس من الملائكة.

٣ـ لكنّ الله أمر إبليس بالسجود أيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢] فقال: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ .

٤ـ في قوله تعالى في آية الكهف ٥٠: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ يوجد استثناء منقطع، كقولك: حضر الطلاب إلا البواب، فالبواب ليس من جنس الطلاب.

٥ـ ليس بالضرورة أنّ الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود، كما في آية سورة البقرة ٣٤، وأُمِرَ إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به، كما في آية سورة الأعراف ١٢.

السؤال السادس:

ما خطوط تحديد تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣١.

السؤال السابع:

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات (٣٠-٣٨) وجاء في آيتي الأعراف (١١-١٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ والمطلوب بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم أنْ نبين ترتيب مراحل هذه المسألة.

الجواب:

المراحل هي (والله أعلم):

١ـ خلق جميع البشر كأنفس مجردة عن المادة من آدم عليه السلام حتى قيام الساعة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف:١١].

٢- إعطاء هذه الأنفس صورها الخاصة بها ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف:١١].

٣ـ عرض الأمانة على المخلوقات، وتعهد الإنسان (النفس) بحملها.

٤ـ أخذ العهد والميثاق من جميع البشر (الأنفس) ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٥ـ إخبار الله تعالى الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة.

٦ـ معرفة الملائكة بإفساد بني آدم وسفكهم الدماء عندما كشف الله تعالى عنها غطاء غيب الزمن المستقبل.

٧ـ تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها، وإخبار آدم الملائكة بذلك.

٨ـ الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم حين الانتهاء من خلق جسده ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الحجر:٢٩] ونفخ الروح فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر:٢٩].

ملاحظة: إنّ جميع المراحل حتى الآن تمت في عالم الأنفس بعيداً عن المادة، فجسد آدم المادي لم يخلق بعد.

٩- خلق جسد آدم عبر المراحل التي بينها القرآن الكريم، ومن ثمّ تسويته إنساناً كاملاً ونفخ الروح فيه.

وهنا دخل آدم عليه السلام مرحلة عالم المادة والمكان والزمان وأصبح محكوماً لهذه القوانين.

١٠ـ سجود الملائكة لآدم عليه السلام وعصيان إبليس بسبب مادة جسم آدم، كما في قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢].

١١ـ إسكان آدم وزوجه جنّة التدريب والاختبار.

١٢- إغواء إبليس لهما.

١٣ـ تلقي آدم التوبة من الله تعالى حيث اجتباه الله تعالى وهداه.

وهنا دخل آدم عليه السلام مرحلة النبوة.

١٤ـ هبوط آدم عليه السلام وذريته إلى الأرض، ووعد الله تعالى بأنْ يرسل لهم رسلاً يحملون لهم الهدى ومنهج الحق. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق البياني بين قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ آية سورة ص ٧٥ و ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ آية سورة الأعراف ١٢؟، وما دلالة استخدام (لا) ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ وقال في سورة ص: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

١ـ هناك قاعدة، وهي أنّ الحرف (لا) يمكن أن يُزاد إذا أُمن اللبس، وسُمّي حرف صلة، وغرضه التوكيد وليس النفي.

٢ـ ونلاحظ أنّ سياق الآيات مختلف في السورتين، ففي سورة الأعراف الآيات التي سبقت هذه الآية كانت توبيخية لإبليس ومبنية على الشدة والغضب والمحاسبة الشديدة وجو السورة عموماً فيه سجود كثير.

٣ـ النحويون يقولون: إنّ (لا) زائدة، فهي لا تغيّر المعنى وإنما يُراد بها التوكيد، ومنهم من قال: إنها صلة، وليس قولهم: إنها زائدة يعني أنه ليس منها فائدة، إنما حذفها لن يغيّر المعنى لو حُذفت، فلو قلنا مثلاً: (والله لا أفعل)، وقلنا: (لا والله لا أفعل) فالمعنى لن يتغير، برغم أننا أدخلنا (لا) على الجملة، لكن معناها لم يتغير.

أمّا في آيات القرآن الكريم فلا يمكن أن يكون في القرآن زيادة بلا فائدة، والزيادة في (لا) بالذات لا تكون إلا عند أمن اللبس.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾ [الحديد:٢٩] معناه: ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء، وإذا أراد الله تعالى أنْ يُنزل فضله على أحد لا يستطيع أحد أنْ يردّ هذا الفضل، فالقصد من الآية إعلامهم، وليس عدم إعلامهم، لذلك قسم من النحاة والمفسرين يقولون: إنّ اللام زائدة أو صلة.

٥ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه:٩٢-٩٣] هي ليست نافية ولكنها بمعنى: من منعك من اتباعي.

٦ـ وفي قوله تعالى في آية الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)﴾ الله تعالى يحاسب إبليس على عدم السجود، ولو جعلنا (لا) نافية يكون المعنى أنه تعالى يحاسبه على السجود وهذا غير صحيح، ولهذا قال تعالى في سورة ص: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)﴾، إذن (لا) مزيدة للتوكيد جيء بها لغرض التوكيد؛ لأنّ المعلوم أنه يحاسبه على عدم السجود.

٧ـ لكن يبقى السؤال: لماذا المجيء ب (لا) في آية الأعراف ١٢ وحذفها في آية ص ٧٥؟

لو نظرنا في سياق قصة آدم عليه السلام في الآيتين في سورة الأعراف وص لوجدنا:

آ ـ أنّ المؤكّدات في سورة الأعراف أكثر منها في سورة ص، ففي الأعراف جاءت الآيات (لأقعدنّ، لآتينهم، لأملأن، إنك) وغيرها من المؤكّدات.

ب ـ وكذلك القصة في سورة الأعراف أطول منها في ص.

ج ـ ثم إنّ مشتقات السجود في الأعراف أكثر (٩ مرات)، أمّا في ص (٣ مرات).

ولتأكيد السجود في الأعراف جاءت ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

٨ـ ثم هناك أمر آخر انتبه له القدامى في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة، وهو أنّ هذه الأحرف تطبع السورة بطابعها، فعلى سبيل المثال: سورة (ق) تطبع السورة بالقاف (القرآن، قال، تنقص، فوقهم، باسقات، قبلهم، قوم، حقّ، خلق، أقرب، خلقنا، قعيد، وغيرها) وسورة ص تطبع السورة بالصاد (مناص، اصبروا، صيحة، فصل، خصمان، وغيرها..) حتى السور التي تبدأ بـ (الر) تطبع السورة بطابعها. وسورة الأعراف تبدأ بـ (المص)، وفي الآية موضع السؤال اللام والألف وهما أحرف (لا) فناسب ذكر (لا) في آية سورة الأعراف، وناسب كذلك السياق والمقام.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ لعلّ سائلاً يقول: إذا كان المنع يعني الكف والصد، فلم جاءت الآية بحرف النفي (لا) في قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ فيكون مقتضى الظاهر أنْ يقول: ما منعك أن تسجد؟

إنّ (لا) هنا لا تفيد نفياً وإنما جيء بها للتأكيد، و (لا) من جملة الحروف التي يؤكد بها الكلام، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد:١] أي: أقسم بهذا البلد قسماً محققاً.

٢ـ في قول الحق سبحانه في سورة ص: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾؛ أي أنه ممنوع بقوة أخرى، والمعنى: أي قوة وأي سبب منعك من السجود لآدم ؟

بينما يقول الحق في سورة الأعراف: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، والله سبحانه يعلم أزلاً أنه قد امتنع باقتناع لا بقهر ، والله لم يسأله عن المقارنة بينه وبين آدم؛ ولذلك قال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ، فكأنّ المسألة دارت في ذهنه ليوجد حيثية لعدم السجود، فلا يصح في عُرفه الإبليسي أن يسجد الأعلى للأدنى !! وكأنّ النار في عُرفه لها علو، وهو في هذا مخطىء تماماً؛ لأن الأجناس حين تختلف فلكل جنس دوره، ولا يوجد جنس أفضل من جنس، فالنار لها مهمة والطين له مهمة، والنار لا تقدر أن تؤدي مهمة الطين، فلا يمكن أن تزرع في النار. والخيرية تتأتى في الأمرين ما دام كل منهما يؤدي مهمته، ولكنّ إبليس قالها للمعاندة وللكفر حين أعرض عن أمر الله، وأراد أن يعدل مراد الله في أمره. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قارن بين قصة آدم عليه السلام في سورة الأعراف والقصة نفسها في سورة ص ؟

الجواب:

قصة آدم عليه السلام جاءت في الآيات (١١- ٢٥) من سورة الأعراف وجاءت أيضاً في الآيات (٧١ - ٨٨) من سورة ص.

١- بدأت آيات قصة آدم في سورة الأعراف بتأكيدين ﴿وَلَقَدْ﴾ أي [اللام - قد]، بينما بدأت آيات سورة ص بـ ﴿إِذْ قَالَ﴾ .

٢- المؤكدات في قصة الأعراف أكثر ﴿وَلَقَدْ﴾ بزيادة اللام ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ فناسب زيادة (لا) الزائدة المؤكدة.

٣- مقام السخط والغضب في قصة الأعراف أكبر، فناسب ذلك الزيادة في التوكيد والغلظة في القول، ويدل على ذلك عدة أمور منها:

آ- لم يذكر اسم إبليس في الأعراف ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾، في حين ذكره في ص: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ .

ب - صيغة الطرد في الأعراف كانت الطرد مع الصَغار ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ وكرر الطرد في الآية ١٨ قائلاً: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .

وليس الأمر كذلك في آيات سورة ص، فإنه قال: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾.

ج ـ عدم التبسط في الكلام مع إبليس في آيات قصة الأعراف أكبر، مما يدل على السخط الكبير، بخلاف آيات ص، انظر جدول الآيات التالية لترى مقدار التبسط في سورة ص:

سورة الأعراف	سورة ص
﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[الأعراف:١٢]	﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)﴾ [ص:٧٥]
﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥)﴾ [الأعراف:١٥]	﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)﴾ [ص:٨٠-٨١]
﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤)﴾[الأعراف:١٤]	﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)﴾ [ص:٧٩]

فإنه لمّا كان المقام مقام تبسّطٍ تبسَّطَ إبليس في الكلام، بخلاف آيات الأعراف، فإنه لمّا كان مقام سخط كبير حذف التبسط وجعل الكلام على أوجز صورة، ولكل مقام مقال.

٤ـ مما حسّن زيادة (لا) في الأعراف، وهي مؤلفة من الألف واللام، أن ذلك ينسجم مع الحروف المقطعة في بداية سورة الأعراف ﴿الٓمٓصٓ﴾، بينما لم تبدأ بهما في سورة ص.

٥ـ مما حسّن تأكيد السجود في سورة الأعراف دون سورة ص هو الاختلاف بين جو السورتين، فقد جاءت مشتقات السجود في الأعراف في تسعة مواضع بخلاف سورة ص فإنها لم تذكر إلا في ثلاثة مواضع، وبيان ذلك:

سورة الأعراف:

الآيات: [الآية ١١ وذكرت مشتقات السجود فيها ثلاث مرات، و الآيات: ١٢ ـ ٢٩ ـ ٣١ـ ١٢٠ ـ ١٦١ ـ ٢٠٦].

سورة ص:

الآيات:[٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٥].

ولهذا ناسب أنْ يؤكد السجود في الأعراف دون ص، والله أعلم.

٦ـ زيدت (لا) في سورة الأعراف دون سورة ص، علماً بأنّ زيادة (لا) هي للتوكيد، فلماذا زاد التوكيد في الأعراف دون ص ؟

السبب في ذلك أنّ سياق القصة في سورة الأعراف فيه تأكيد أكبر فاقتضى ذلك أن يُؤتى بـ (لا) الزائدة المؤكدة.

❁❁❁❁

﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ هل نال إبليس تكرمة في استجابة طلبه بأنْ يكون من الكائنات الباقية؟

الجواب:

هذا ما تشير إليه الآية، لكنه في الحقيقة خاب؛ فهو أهون على الله من أنْ يجيب له طلبه وقد نفى هذا التصوير للسامع قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ فانظر كيف أفاد التأكيد

بـ ﴿إِنَّكَ﴾ والإخبار بصيغة ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ أنّ إنظاره أمر قد قضاه الله وقدّره من قبل سؤاله، وهذه هي النكتة في العدول عن أنْ يكون الجواب (أنظرتك أو أجبت لك) ممّا يدل على كرامته بعد الإجابة، ولكنه أعلمه أنّ ما سأله أمر حاصل، فسؤاله تحصيل حاصل.

❁❁❁❁

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا المجاز التمثيلي في الآية ؟

الجواب:

انظر كيف يحرص إبليس على إغواء بني آدم، فالآية ضرب من المجاز التمثيلي، وليست الجهات الأربع المذكورة بحقيقة إذا علمتَ أنه ليس للشيطان مسلك للإنسان إلا من نفسه وعقله بإلقاء الوسوسة، فكما شبّه هيئة الحرص على الإغواء بالقعود على الطريق، كذلك مُثّلت هيئة التوسل إلى الإغواء بكل وسيلة بهيئة الباحث الحريص على أخذ العدو إذ يأتيه من كل جهة حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه، أعاذنا الله من شرّه وغوايته.

السؤال الثاني:

لماذا استعمل النفي (لا) في آية سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ؟

الجواب:

هذه الآية هي على لسان إبليس، فلما قال: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم ﴾ هذه الآية فيها تحذير كبير من مخاطر هذا المخلوق الذي أخذ على نفسه عهداً أنْ يضل ذرية آدم ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ من أي مكان وبأية وسيلة من الوسوسة.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ وهو قد بنى كلامه على ظنّه أنه نتيجة هذه التصرفات فإنّ أكثر بني آدم لا يشكرون الله سبحانه وتعالى، وهذا يتناسب مع ظنّه أن يستعمل لا النافية؛ لأنّ (لن) فيها معنى التأكيد ومعنى التأبيد وفيها دفع للمستقبل.

فإبليس لا يستطيع أن يقول: (ولن تجد أكثرهم شاكرين)، ولا يصلح أنْ يستعمل (لن)؛ لأنه لا يملك ذلك، لكن هو يستطيع أن ينفي ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ أما (لن) فهي كلمة المتأكّد المتثبت فيجزم بوقوع الحادثة وهو لا يستطيع أنْ يقول هذا الكلام، وإنما يقول: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ولذلك على كل من يقرأ هذه الآية أن يقول: (الشكر لله، الحمد لله)؛ ليفقأ عين الشيطان.

السؤال الثالث:

ما قضية الشيطان مع ابن آدم بشكل عام ؟

الجواب:

الشيطان قد قضى اللهُ في أمره فطرده من رحمته وجعله رجيماً مبعداً، والشيطان يعرف أنّ مصيره النار ويعتقد أنّ آدم هو السبب؛ لأنّ بداية المصيبة كانت رفض إبليس طاعة أمر الله في السجود لآدم.

وكانت معصية إبليس في القمة؛ لأنه رد الأمر على الأمر، وقال لن أطيع ولن أسجد لآدم؛ لأني خير منه، هو من طين وأنا من نار، وهذه المعصية جعلت الله تعالى يطرد إبليس من رحمته ويصفه بأنه رجيم؛ وذلك حتى نعرف أنّ مصيره النار وأنّ الله لن يغفر له.

وبدأ إبليس بغواية آدم الذي عاش أولاً في جنّةٍ تعطيه مقومات حياته بلا تعب وبلا عمل، وكان في الجنة ألوف الأشجار تعطي كل الثمرات، وهي حلالٌ لآدم وزوجه يأكلان منها ما يشاءان، ما عدا شجرة واحدة حرَّمها الله عليهما، وكانت هذه الشجرة هي بداية الخطيئة، فبدأ إبليس يغري آدم وحواء على المعصية بأنْ يقنعهما بأنّ عدم الأكل منها سيحرمهما الخلود والملك.

فإبليس يصور للإنسان أنّ ما منعه الله عنه هو الخير، وأنه لو عصى سيحصل على المال والنفوذ.

لقد أكل آدم وحواء من الشجرة، فلم يخلدا بل ظهرت عوراتهما وعرفا أنّ إبليس كان كاذباً وأنّ الله سبحانه بمنهجه وما ينهانا عنه إنما هو الخير.

ولكنّ الشيطان يأتي ويزين للإنسان طريق الباطل، ولو حكّم آدمُ عقله لعرف كذب وسوسة إبليس، فلو أنّ هذه الشجرة كانت تعطي الخلد فعلاً لما طلب إبليس من الله أنْ يبقي على حياته إلى يوم القيامة، بل لأكل من الشجرة ونال الخلد.

ولكن إبليس دخل من ناحية الغفلة في النفس البشرية؛ ليوقع آدم في المعصية، وهو كذلك يدخل إلى أبناء آدم من ناحية الغفلة أيضاً، ولو أنّ أبناء آدم حكّموا عقولهم وهم يعرفون أنّ هناك عداوة مسبقة بين آدم وإبليس وأنّ إبليس طلب من الله أنْ يبقيه إلى يوم القيامة لينتقم من آدم وذريته بإغوائهم على المعصية لأخذوا حذرهم منه، وعندما تنكشف وسوسة الشيطان فإنه يهرب.

إبليس دخل إلى غواية بني آدم بعزة الله سبحانه وتعالى، فقال فيما يرويه القرآن عن لسان إبليس قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص:٨٢]، ولكنّ الحق تبارك وتعالى أخبرنا بأنه طرد إبليس من رحمته وسماه رجيماً حتى نعرف جميعاً أنه لن يدخل في رحمة الله أبداً.

ولو أن الله أراد خلق الناس مهديين ما استطاع إبليس أنْ يتقدم ناحية واحد منهم، والله هو الذي أعطى للإنسان حق الاختيار ولو شاء لجعله مقهوراً على الطاعة، ومن نقطة الاختيار تلك وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩] وضح الطريق، فبيّن الله لنا طريق الهدى وطريق المعصية، ثم ترك لنا أنْ نختار طاعة الله ورحمته أو معصية الله وعذابه.

ولم يعطنا الحق تبارك وتعالى هذا الاختيار إلا في فترة محدودة هي حياتنا الدنيا، فعندما يحتضر الإنسان تخمد بشريته ويصبح لا اختيار له، كما أنّ الله لم يعطنا الاختيار في كل أحداث الدنيا، بل أعطاه لنا في المنهج فقط في الطاعة أو المعصية.

علماً بأن إبليس لا يجتهد في إغواء من باع نفسه للمعصية وانطلق يخالف كل ما أمر الله به، فالنفس الأمارة بالسوء ليست بحاجة إلى إغواء لأنها تأمر صاحبها بالسوء؛ ولذلك فإنّ إبليس لا يذهب إلى الخمارات وبيوت الدعارة ويبذل جهداً في إغواء من يجلسون فيها، ولكنه يذهب إلى مهابط الطاعة وأماكن العبادة؛ لأنّ إبليس لم يقل: لأقعدن لهم على الطريق المعوج، بل قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ فإبليس يريد أهل الطاعة ليزين لهم المعصية ويغريهم بالمال الحرام.

ثم انظر إلى آية الأعراف ١٧؛ لتجد أنّ جهات الغواية التي يأتي منها إبليس أربعة: الأمام والخلف واليمين والشمال، وكلنا يعلم أنّ الجهات ستٌّ وليست أربعاً، فماذا عن فوق وتحت ؟

هرب إبليس من هاتين الجهتين بالذات ولم يقل: سآتي من فوقهم أو من تحتهم؛ لأنه يعلم أنّ الجهة العلوية تمثل الفوقية الآلهية، وأنّ الجهة السفلية تمثل العبودية البشرية حينما يسجد الإنسان لله؛ ولذلك ابتعد إبليس عن هاتين الجهتين تماماً.

ومن العجيب أنك ترى أبواق الإلحاد في كل مكان وفي كل عصر تأتي من الجهات الأربع التي يأتي منها الشيطان، يقولون: تقدُّميٌّ جهة الأمام، ورجعيٌّ جهة الخلف، ويمينيٌّ جهة اليمين، ويساريٌّ جهة اليسار.

ونحن نقول: نحن لسنا في أي جهة من هذه الجهات، ولكننا أمة محمدية فوقية كل أمورنا من الله، وما دامت أمورنا من الله سبحانه فنحن لا نخضع لمساوٍ لنا، ولكننا نخضع لله العلي القدير، وما دمت تخضع لأعلى منك، فلا ذلة أبداً بل عزة ورفعة.

نحن أمة محمدية فوقية نعلن عبوديتنا وخضوعنا لله ونتبع منهج السماء ولذلك تميزنا عن البشر جميعاً؛ لأنّ كل إنسان لا يخضع لله ولا يأخذ عنه منهجه فهو خاضع لمنهج بشري وضعه مساوٍ له من البشر، والمناهج البشرية وضعت لمصلحة واضعيها أو لمصلحة مجموعة أفراد أو طبقة، ولكنّ الله تعالى يضع منهجه ليعطيك خيراً لا ليأخذ منك الخير؛ لأنه عزّ وجلّ ليس محتاجاً لما تملك ولا ما يملك كل البشر.

إذن فالعدل والخير والعزة هي في منهج السماء، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨] ،

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فذكر هاتين الجهتين بـ (من) ثم قال: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فذكر هاتين الجهتين بكلمة (عن).

٢ـ إذا قال قائل: جلس عن يمينه، فمعناه أنه جلس عن يمينه غير ملتصق به؛ لأنّ (عن) تفيد البعد والمباينة، وحيث إنّ الله تعالى قال عن الملكين: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق:١٧] والشيطان يتباعد عن المَلَك، فخصّ اليمين والشمال بكلمة (عن).

وقيل: إنّ الضرر في حصول العقائد الباطلة أو الكفر يحصل بسبب وسوسة الشيطان، فالذي بين أيدينا أي أمامنا هو الدار الآخرة، فالشيطان يحاول أنْ يشكك الناس في البعث وفي الآخرة ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾.

وإنّ المعاصي تحصل عن وسوسة الشيطان ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ فيقوم الشيطان ليزهد الناس بعمل الخير، واليمين رمز العمل الحسن؛ لأنّ كاتب الحسنات على اليمين وكاتب السيئات على الشمال فيأتي عن شمائلهم ليغريهم بشهوات المعصية، والقسم الأول أهم؛ لذلك خصّ اليمين والشمال بكلمة (عن).

٣ـ استخدم لفظ (عن) ولم يسخدم لفظ (على)؛ لأن (على) فيها استعلاء والشيطان ليس له استعلاء أبداً؛ لأنه لا يملك قوة القهر فيمنع ولا قوة الحجة فيقنع.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ هو حكاية عن إبليس بسبب أنه غلب على ظنه لما كان عازماً على تزيين الشهوات لذرية آدم أنهم سيتبعونه، لذلك لم يقل (لن)؛ لأنه لا يملك ذلك ولا يستطيع أن يكون متثبتاً من وقوع ذلك، فنفى بـ(لا).

٥ـ لم يأت الشيطان للإنسان من فوق ولا من تحت؛ لأنّ الفوقية هي الجهة التي يلجأ لها الإنسان مستغيثاً بربه، والتحتية هي الجهة العبودية الخاصة، فالعبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، لذلك فالإنسان محفوظ من تسلط الشيطان من تلك الجهتين.

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا قدّم في آية الأعراف ١٨ (مَن تبعه على ملء جهنم) وقدّم (ملء جهنم على من تبعه) في آية سورة ص٨٥ ؟

الجواب:

١ـ إنّ كلتا الآيتين في قصة آدم وإبليس، وقد تقدّم قبل هذه القصة في سورة ص الكلام عن جهنم وعذابها في الآيات (٥٥ ـ٦٤)، فلمّا تقدّم الكلام عن جهنم قدّم ما يتعلق بها وهو ملء جهنم.

وأمّا في سورة الأعراف فقد تأخر ذكر جهنم وعذابها عن هذه القصة لذلك أخّر ما يتعلق بها في القصة.

٢ـ في سورة الأعراف: تقدّم على القصة ذكر من تبع إبليس ممن أهلكهم الله من أهل القرى: انظر الآيات ٤ـ٥.

وتقدّم كذلك عتاب ربنا لأهل الأرض لقلة شكرهم، كما في الآية ١٠ فكأنه صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، فناسب تقديم مَن اتبعوه في الأعراف من هذه الناحية. والله أعلم.

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في آية البقرة ٣٥ ﴿وَكُلَا﴾ و آية الأعراف ١٩ ﴿فَكُلَا﴾ فما السبب؟

الجواب:

قيل: إنّ السكنى في البقرة للإقامة وفي الأعراف اتخاذ المسكن، فلمّا نسب الله القول إليه ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل؛ ولذلك قال فيه: ﴿رَغَدًا﴾ وقال: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ لأنه أعم.

وفي الأعراف قال: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ﴾ فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل بعد اتخاذ السكنى. وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ لا يعطي عموم معنى ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَتَكُونَا﴾ هل هو جواب الطلب للفعل ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾؟ وما دلالة جواب الطلب في النحو؟

الجواب:

يجزم الفعل المضارع بعد أدوات الجزم الظاهرة مثل:[لم ـ لما ـ لام الأمر ـ لا الناهية].

وقد يجزم بغير أداة ظاهرة، وهو الذي يسميه النحاة الجزم بجواب الطلب، نحو: زرني أزرْك، والنحاة تقدر المعنى: إنْ تزرني أزرْك.

وهذا الأسلوب أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومرتبط به ارتباط الجزاء بالشرط، فإن لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص:٣٤] فإنه رفع (يصدقني)؛ لأنه ليس على إرادة الشرط، إذ ليس معناه: (إنْ ترسله يصدقني)، وإنما المعنى: أرسله ردءاً فإنه يصدقني.

وفي قوله: (يصدقني) قراءتان بضم القاف وسكونها، أي أنّ القراءتين جمعتا معاني الشرط والوصفية والاستئناف.

- ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾ [مريم:٥-٦] لم يقصد الجزاء فرفع.

- ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ [الأنعام:٩١].

- زرني أزرْك، مجزوم لأنّ فيه معنى الشرط.

- زرني أزورك، بالرفع لأنّ ليس فيه معنى الشرط وإنما المعنى: أنا ممن يزورك.

تخلف فعل الجزاء عن معنى الشرط:

١- فعل الجزاء إذا تخلف عن معنى الشرط لا يصح جزمه، وهذا يكون غالباً في الشرط بعد النهي أو النفي.

آ ـ ففي النهي لا يصح أن تقول: لا تدن من النار تحترقْ، بالجزم؛ لأنه لا يصح أنْ تقول: إنْ لا تدن من النار تحترق، بخلاف قولك: لا تدن من النار تسلمْ، فإنه يصح القول: إنْ لا تدن من النار تسلم، ولذا يجزم الفعل: (تسلم) ولا يجزم الفعل: (تحترق).

ب ـ وأمّا في النفي فلا يجوز إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت، لذلك يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد فيأكلَك، فالفاء هنا لبيان علة عدم الاقتراب من الأسد.

بينما لا يصح أنْ تقول: لا تدن من الأسد يأكلْك، فإنه لا يصح فيه الجزم؛ إذ لا يقال: إنْ لا تدن من الأسد يأكلْك.

٢ـ أنّ ما نصب بعد فاء السببية في الطلب إذا أسقطت منه الفاء جزمت.

تقول: أين بيتك فأزورَك، فالفعل منصوب بعد فاء السببية فإذا أسقطت الفاء منه وبقي في الجملة معنى السبب جزمت، فتقول: أين بيتك أزرْك، وهذا يدل على أنّ معنى الجزم أنْ يكون الثاني مسبباً عن الأول وهو المقصود من الشرط، فإنْ لم يصح تقدير الشرط بعد إسقاط الفاء لم يصح جزم الفعل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف:١٩].

ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [الأعراف:٧٣].

ـ ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

- ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر:٣٦].

في هذه الأمثلة لا يصح إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت الفاء، فلا يصح: إنْ لا يُقض عليهم يموتوا، وأمّا الفاء فهي لبيان العلة والسبب.

الملخَّص والنتيجة:

١- جواب الطلب هو أُسلوب شرطي، لكنه مختلف عن أسلوب الشرط المشهور والذي يتضمن أداة الشرط وفعله وجزاءه، نحو: إنْ تزرني أزرك، ووجوه الاختلاف هي:

آ- أنّ الارتباط هنا ليس بأداة الشرط، بل بمعنى الجزاء.

ب- أنّ الشرط في الأسلوب المشهور يكون فعلاً ماضياً أو مضارعاً بينما في جواب الطلب يكون الشرط فيه طلباً دائماً.

ج- في الشرط المشهور ترتبط الأسباب بمسبباتها، بينما في جواب الطلب تتحقق هذه الفائدة ويتحقق معها إفادة معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ مما لا يتحقق بالشرط.

٢- في حالة وجود فاء السببية لا يصح إسقاط الفاء من جواب الطلب وجزمه، لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت في النهي والنفي، والفاء لمجرد بيان السبب وأما إسقاطها فعلى إرادة الشرط والجزاء، وهناك فرق في المعنى بين ذكر الفاء وإسقاطها والجزم على الطلب.

* شواهد على الفاء:

آ ـ ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨].

لا يحسن إسقاط الفاء؛ لأنّ الاستفهام مستمر إلى ما بعد الفاء، بخلاف ما لو جزمت فسينقطع الاستفهام ويصبح أسلوباً شرطياً، بمعنى: إنْ كان عندكم علم تخرجوه لنا، وهو مخالف للمقصود.

ب ـ ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٦٧] فإنّ التمني مستمر إلى ما بعد الفاء.

ج ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] فالاستفهام مستمر بخلاف ما لو أسقطت الفاء وجزمت فإنّ المعنى لا يصح.

د ـ ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ الْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ السَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧] فلا يحسن إسقاط الفاء من (فأطلعَ)؛ لأنّ الترجي مستمر إلى ما بعد الفاء، ولو جزمت فقلت: أطلعْ، فسيكون المعنى: إذا بلغت الأسباب اطلعت إلى إله موسى، وهذا غير مراد، ولا يصح المعنى.

هـ ـ ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠] فقد نصب الفعل بعد الفاء ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ ثم عطف عليه بالجزم (وأكنْ)، فأسقط الفاء على إرادة الشرط ولو عطف لكانا شيئاً واحداً.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين النزغ والوسوسة في الآيات ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠] و ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠] ؟

الجواب:

النزغ: هو الإفساد بين الأصدقاء تحديداً، أو بين الإخوان، أو بين الناس: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٦] ومعناه: أنْ يحمل بعضهم على بعض بإفساد ما بينهم، هذا هو النزغ في اللغة، أنْ يغري بعضهم ببعض ويفسد بينهم.

الوسوسة: شيء آخر، وهي عامة، الشيطان يزين للمرء أمراً أو معصية، فالوسوسة عامة والنزغ خاص بأن يحمل بعضهم على بعض وأنْ يفسد بينهما.

١ـ قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠]، فلم يقل (وسوس)؛ لأنه مع آدم وحواء لم يكن هناك خصومة بينهما، لكن مع إخوة يوسف كان هناك خصومة، فقد حاولوا أنْ يقتلوا يوسف فأفسد بينهم.

والوسوسة عامة؛ لأنه يدخل فيها النزغ. وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف:١٠٠] هي الحالة الخاصة لما حدث بين يوسف وإخوته، وهذا هو المعنى اللغوي.

٢ـ يقولون أصل الوسوسة: الصوت الخفي، ويكون مسموعاً أحياناً وأحياناً يكون غير مسموع: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٥] أحياناً لا يُسمع وإنما يبقيه الشيطان في نفس الإنسان ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:٤-٥] والصدر هو الممر إلى القلب، فإذا وسوس الشيطان في الصدر ملأ الساحة بالألغام، كما يفعل الأعداء في الحرب.

وقد تكون الوسوسة بالكلام المسموع، همس أو كلام خفي بينك وبين أحد، بدليل أنه لما وسوس إبليس لآدم كان كلاماً باللسان ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٍ لَّا يَبۡلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه:١٢٠] سماها القرآن وسوسة، ثم قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف:٢١] قاسمهما، أي: حلف لهما بالله، ولذلك لما عاتب ربّ العالمين آدم قال آدم: يا رب ما كنت أظن أحداً يحلف بك كاذباً.

فالوسوسة إذن تكون في الصوت المسموع أحياناً وبالصوت غير المسموع أحياناً.

السؤال الثاني:

يقولون إنّ الشيطان حاول أن يوسوس لآدم فلم يقدر عليه ثم تحول لحواء فقدر عليها، فهل هذا صحيح؟

الجواب:

هو أصلاً لم يذكر حواء في الوسوسة، فهو إما أن يقول: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [طه:١٢٠] أو ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف:٢٠] وما أفرد حواء. ربنا يخبرنا ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٍ لَّا يَبۡلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه:١٢٠] ثم قال:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف:٢٠] فليس هنالك آية أفرد فيها حواء. إمّا أنْ يقول آدم أو يجمعهما معاً. حتى في قوله (فتشقى) هو الذي يكدح، ولم يقل: فتشقيا.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين العورة والسوءة ؟

الجواب:

العورة: هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، ومنها ستر البيت بسياج عال؛ حتى لا يرى الناس فيه جمال البيت وجمال من فيه.

السوءة: هي كل شيء تستره عن الناس لقبحه كاللباس.

السؤال الرابع:

ما دلالة الشجرة في الجنة التي وردت مع قصة آدم عليه السلام ؟

الجواب:

١ـ شجرة الجنة التي أكل منها آدم عليه السلام، وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، وليس لنا شغل بها ولا فائدة من الخوض في تفاصيلها.

٢ـ وردت في سياق التحذير في آية البقرة ٣٥ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فهي قريبة منهما حتى يتعرفا عليها وحتى لا يقول آدم وحواء إنها اختلطت عليهما بغيرها، فقال: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لبيان القرب.

٣ـ لمّا جاء إبليس لغوايتهما قربهما منها حتى وصلا إليها فقال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ فجاء بـ﴿هَٰذِهِ﴾ دلالة على القرب.

٤ـ لمّا ذاقا الشجرة وبدت لهما سوءاتهما وأحسّا بما ارتكباه هربا فابتعدا فناداهما الله وقال: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾، فاستعمل ﴿تِلْكُمَا﴾ دلالة على البعد.

❊❊❊❊

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

خاطب تعالى آدم وحده ومرة خاطب آدم وحواء والخطاب كان مرة واحدة بصيغ متعددة، فكيف نفهم الصيغ المتعددة في الخطاب؟

الجواب:

لم يكن الخطاب مرة واحدة. وربنا قال في القرآن: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ،﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١١٧] وهذا الخطاب غير ذاك الخطاب: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه:١٢٣] ،﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]، ولمّا قال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف:١٩] غير: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] هذا وقت متغير.

السؤال الثاني:

ذكر تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وورد ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة:٣٥] فلماذا قال (تلكما) ولم يقل (تلك)؟

الجواب:

١ـ لمّا عاتبهما ربهما قال: ﴿تِلْكُمَا﴾ وهي تعني واحدة، ولكنّ المخاطب اثنان وليستا شجرتين، وللجمع (تلكم) الشجرة، المخاطب آدم وحواء فقال: (تلكما).

٢ـ هذه الكاف تسمى حرف خطاب، وفيه لغتان:

آ ـ الأولى تكون في المفرد المذكر أياً كان المخاطَب، تقول: تلك الشجرة سواء كان المخاطب واحداً أو اثنين أو جمع.

ب ـ الثانية أنْ تجعل حرف الخطاب بحسب المخاطَب، فلو كانت امرأة نقول تلكِ الشجرة، مثلما قال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ [مريم:٢١] ويمكن أنْ نقول كذلكَ: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٣٢] برهانان اثنان (ذان) للبرهانين و(كـ) للمخاطب، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف:٣٧] كان يمكن أن يقول (ذلك)، لكنه يقصد الذي قاله: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] (ذلك) إشارة ليوسف، و(كُنّ) حرف خطاب للنسوة، إذن هذه الكاف هي حرف خطاب يمكن أنْ نجعله في حالة المذكر المفرد دائماً ويمكن أنْ يكون في حالة المخاطَبين. قال الشاعر:

أَبِينِي أفي يُمنى يديك جعلتني ... فأفرح؟ أم صيّرتني في شمالكِ؟

أبيت كأني بين شقين من عصا ... حذار الردى أو خيفة من زيالكِ

تعاللت كي أشجى وما بك عِلّةٌ ... تريدين قتلي قد ظفرت بذلكِ

إذن (تلكما الشجرة)، (تلك) للشجرة و (كما) للمخاطَب؛ أي لآدم وحواء.

❋❋❋❋

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأعراف ٢٣: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]، وكذلك في آية هود ٤٧: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ فاستعمل (إنْ) ولم يستعمل (لئن)، كما في آية الأعراف ١٤٩: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، فما السبب ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: (إنْ) مع التخفيف، و(لئن) مع زيادة التوكيد، أي: بزيادة اللام.

البيـان:

آية هود ٤٧ بدون توكيد وآية الأعراف ٢٣ بتوكيد الجواب باللام وآية الأعراف ١٤٩ بتوكيد الجواب وباللام الموطئة قبل الشرط، فالثالثة آكد من الثانية، والثانية آكد من الأولى، وذلك حسبما يقتضيه السياق.

١ ـ سياق آية الأعراف ١٤٩ في بني إسرائيل بعدما عبدوا عجلاً ذهباً واتخذوه إلهاً لهم، وهو كفرٌ صريح وضلالٌ مبين، ولذلك عند توبتهم أكّدوا قولهم باللام الموطئة زيادة على توكيد الجواب ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف:١٤٩].

٢ ـ آية الأعراف ٢٣ هي على لسان آدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عنها، وهذه المعصية أقل من معصية بني إسرائيل؛ فإنّ معصية قوم موسى كفر؛ لأنه عبادة لغير الله، ولم يفعل ذلك آدم بل هو مقرٌّ بربوبية الله ومقرٌّ بعبوديته لربه، وإنما هي لحظة ضعف أدركته كما تدرك الكثير من الناس من غير أنْ تخرجهم عن دينهم ثم يتوبون عنها.

ألم تر كيف وصف بني إسرائيل بالضلال فقال: ﴿وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ [الأعراف:١٤٩] ولم يصف آدم بذلك، فلمّا كانت المعصية أقل حذف اللام الموطئة التي تفيد التوكيد.

٣ ـ آية هود ٤٧ هي على لسان نوح عليه السلام، وذلك أنه سأل ربه أن ينجي ابنه من الغرق؛ لأنّ الله وعده أنْ ينجي معه أهله فقال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود:٤٥]، فقال الله له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود:٤٦] فطلب نوح المغفرة والعفو لسؤاله، وهذا ليس بمعصية كمعصية آدم، وإنما فهم نوح أنّ ابنه يدخل مع أهله الناجين، فبيّن الله أنه ليس من أهله لأنه كافر، فطلب من ربه المغفرة لما سأل، لذلك لم يأت الكلام مؤكداً، فأنت ترى أن التوكيد يتناسب وقدر المعصية.

ثم ألا ترى في آية الأعراف ١٤٩ كيف قدّم الرحمة على المغفرة مع بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف:١٤٩] بخلاف الآيتين الأخريين، فإنه قدّم المغفرة على الرحمة، وذلك لأنّ الرحمة أعم وأوسع من المغفرة، فالرحمة لعموم الخلق حتى البهائم، ويدخل في رحمة الله المؤمن والكافر، حتى البهائم تعيش برحمة الله وتتراحم فيما بينها، ولا يصح وصفها بالمغفرة، فإذا طرد أحد من رحمة الله فلا مطمع له في شيء بعد، أمّا المغفرة فتأتي بعد الرحمة، وهي رحمةٌ خاصةٌ بالمؤمن، فالرحمة تأتي أولاً ثم المغفرة، فمن لا يرحمه الله لا يغفر له، ومن غفر له كان مرحوماً وليس كل مرحوم مغفوراً له؛ ولذا قدّم هؤلاء الذين كفروا وضلوا الرحمة على المغفرة، فهم كانوا أحقاء بأنْ يُطردوا من رحمة الله إذا بقوا على ذلك، ولذا طلب هؤلاء الرحمة أولاً ليكونوا كعموم الخلق الداخلين في رحمته ثم المغفرة فيما بعد، وهذا يتناسب مع كبر معصيتهم فأرادوا أنْ يشملهم ربهم برحمته ليكون ذلك مرقاة إلى المغفرة، بخلاف الآيتين السابقتين، فليس الأمر فيهما كذلك.

فيا سبحان الله! ما أفخم هذا الكلام وما أعظمه !

السؤال الثاني:

أكد بـ (إنّ) في آيات غافر٢٧ـ والدخان٢٠ـ وهود٤٧ـ ومريم١٨ـ وآل عمران٣٦ـ ولم يؤكد بإنّ في البقرة ٦٧ـ والمؤمنون٩٧، والمعوذتين، فلماذا؟

الجواب:

الاستعاذة تكون على قدر ما يحذره المستعيذ ويخافه، وكلما زاد الحذر زاد التأكيد بالاستعاذة، فيقول: (إني أعوذ)، وإلا قال: (أعوذ).

و التأكيد بـ (إنّ) يكون على قدر المعصية، كما أنّ التأكيد بها هو على قدر ما تقتضيه الاستعاذة.

لمزيد من التفصيل انظر آية آل عمران ٣٦.

❊❊❊❊

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحياة والموت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

في معاجم اللغة: الحياة نقيض الموت والموت ضد الحياة، والحياة هي البقاء والنمو.

والسؤال هو: ما دلالة الحياة والموت في القرآن الكريم ؟

١ـ وردت كلمة الحياة ومشتقاتها في القرآن الكريم في ١٧٢ آية، ووردت كلمة الموت ومشتقاتها في ١٣٤ آية، وهما في كثير من هذه الآيات حملتا المعنى اللغوي الأساسي للحياة والموت.

ولكنّ دلالة كل منهما تطورت بعد ذلك حتى اتخذت معنىً جديداً لم يعرفه العرب قبل نزول القرآن الكريم.

شواهد قرآنية على المعنى اللغوي للحياة والموت: آيات [الأعراف ٢٥ ـ البقرة ٢٨].

٢ـ أمّا المعنى الجديد الحقيقي الذي وضعه القرآن للحياة، فهو أنْ يعيش المرء مؤمناً بالله عابداً له متمسكاً بدينه لا يرضى عنه بديلاً ولا يشرك بربه أحداً، فهذه هي الحياة الحقة الصحيحة وما دونها الموت.

أمّا الميت فهو الذي يكفر بآيات الله ويجحد بها، أي: أنّ الميت هو الإنسان الضال ثم يحييه الله تعالى بالنور الذي ينشره الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)﴾ [فاطر:١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣]

ما الأعمى هنا وما البصير وما الظلمات وما النور ؟ وما الظل وما الحرور ؟ وهل بعث النبي ﷺ ليدعو من في القبور ؟ أم أنها قبور الناس الأحياء الذين يعيشون بعيدين عن دين الله وعن نور الله، فإذا استجابوا لله ولرسوله فقد دخلوا في الحياة الحقيقية، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ [الأنفال:٢٤]

على هذا المعنى الجديد للموت والحياة يمكن أنْ يكون الإنسان في هذه الدنيا حياً وميتاً في آن واحد، كما يمكن أنْ يكون الإنسان الذي فارق الحياة حياً في الوقت نفسه.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ تأمل هذا التصوير الرائع لمعنى التقوى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾، إنه تشبيه لملازمة تقوى الله بملازمة اللابس لثيابه، وحسبك قليل من التحول لتشهد كيف تتحول تقوى الله وخشيته إلى لباس يستر عورات النفس ويزين صاحبها بكمالات الأخلاق الرفيعة، كما أنّ بعض الجسد يستر عوراته، ولا شك أنّ عورات النفس أشد فظاظة؛ ولذلك لا بدّ من سترٍ يمحو أثرها فكانت التقوى خير لباس لها.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة اللباس في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٧ .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ حَيۡثُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾؟ هل تفيد الزمان أو المكان؟

الجواب:

﴿ حَيۡثُ ﴾ الأصل فيها أنها للمكان، وقسم يقول: قد تخرج إلى الزمان، لكنْ هي عند جمهور النُّحاة للمكان، وهنا هي للمكان؛ لأنّ السياق هو في تحذير بني آدم من الشيطان: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف:٢٧] وهنا التحذير من عدو لا يُرى ويكون أخوف عندما يأتيك من مكان لا تراه فيكون أخوف وأشدّ.

وجاء بـ (إنّ) وبالهاء التي هي ضمير الشأن، إذن هنا أنسب شيء أنْ يقول: ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ أي: يأتيكم من مكان وأنتم لا تبصرونه وهو عدو لكم، فكيف يكون إذا جاءك عدوك من مكان لا تراه؟! لذا هي قطعاً للمكان وهي أنسب مكان للتحذير.

السؤال الثاني:

ماذا يقصد بالسوءة ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾ ؟ وما وجه الشبه بين هذه السوءة و(ظن السوء) في سورة الفتح (١٢) ؟

الجواب:

١ـ السوءة هي العورة. السَّوْء يعني السيِّء، السَّوْءُ مصدر: ساءه سوءاً والسُوء هو الاسمُ.

قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح:١٢] وقال: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه:٢٢] من غير سُوء أي من غير مرض أو علة، أما السَّوْءُ فهو المصدر.

٢ـ هناك فرق بين المصدر والاسم مثلاً: نقول الذَّبح والذِّبح، الحملُ والحِمل، الوضوء والوَضوء.

ـ الحَمْل مصدر والحِمل ما يُحمل ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه:١٠١] يحمل على الظهر، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ﴾ [الأنعام:٣١].

و الحَمل هو المصدر أو ما لا يرى بالعين ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [الأعراف:١٨٩].

ـ الذَّبح هي عملية الذَّبح، أمّا الذِّبح فهو ما يُذبح كبش أو غيره ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات:١٠٧]. والوُضوء عملية التوضؤ والوَضوء هو الماء الذي يُتوضأ به.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ ما الفرق بين العورة والسوءة ؟

الجواب:

العورة: هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، ومنها ستر البيت بسياج عالٍ؛ حتى لا يرى الناس فيه جمال البيت وجمال من فيه.

السوءة: هي كل شيء تستره عن الناس لقبحه كاللباس.

❊❊❊❊

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية مبنية على تمثيلٍ لكمال الإقبال على عبادة الله في موضع عبادته، كيف ذلك؟

الجواب:

تخيل حال المتهيء لمشاهدة أمر عظيم حين يوجه وجهه إلى صوبه لا يلتفت يمنة ولا يسرة فذلك التوجه المحض يطلق عليه إقامة؛ لأنه جعل الوجه قائماً في التوجّه، فتكون بذلك إقامة الوجوه تمثيلاً لكمال الإقبال على الله كأنه يراه أمامه.

السؤال الثاني:

لماذا اختلفت صيغة ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٦] عن صيغة ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ [النحل:٥٢] و صيغة ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٤٦.

❊❊❊❊

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ظاهرة تذكير الفاعل المؤنث في القرآن الكريم كما جاء في كلمة (الضلالة)؟

الجواب:

تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم. فإذا قصدنا باللفظ المؤنّث معنى المذكّر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بـ(الحمل على المعنى)، وقد جاء في قوله تعالى عن الضلالة: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف:٣٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦].

ونرى أنه في كل مرة يذكر فيها الضلالة بالتذكير تكون الضلالة بمعنى (العذاب)؛ لأنّ الكلام في الآخرة: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف:٢٩] وليس في الآخرة ضلالة بمعناها؛ لأنّ الأمور كلها تنكشف في الآخرة، وعندما تكون الضلالة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا، فلمّا كانت (الضلالة) بمعناها هي يؤنّث الفعل.

❁❁❁❁

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذا الاستفهام في الآية ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ تخرج الأساليب في نظم القرآن عن حقيقتها، فتأمل الاستفهام في الآية كيف خرج من معناه الحقيقي إلى الإنكار بغرض التهكم، إذ جعل من حرم زينة الله على العباد جهلاً منه بمنزلة أهل علم يطلب منهم البيان والإفادة.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة الزينة والطيبات والرزق في الآية ؟

الجواب:

الزينة بشكل عام هي الثياب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور:٣١] و ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] وتشمل كذلك الزينة جميع أنواع التزيين من الحلي وتنظيف البدن والمركوب والطيبات من الرزق وما يشتهيه الإنسان من أنواع المأكولات والمشروبات والتطيب والتمتع بالنساء.

نحن في الآية أمام حالتين:

١ـ حالة في الدنيا: وفيها يعطي اللهُ الزينة للمؤمن والكافر، فهو عطاء الربوبية، وربما كان الكافر أكثر حظاً في الدنيا من المؤمن.

٢ـ حالة في الآخرة: تكون الزينة خالصة للمؤمنين لا يشاركهم فيها الكافرون، وهذا عطاء الألوهية.

٣ـ كلمة ﴿خَالِصَةً﴾ منصوبة على أنها حال، وفي قراءة مرفوعة على أنها خبر من بعد خبر، كما تقول: زيد لبيب عاقل، أي: هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ لهم يوم القيامة، أي: أنها جملة اسمية تفيد الثبوت.

٤ـ الرزق: قال الشعراوي رحمه الله في الرزق:

تحـــــرَّ إلى الـــــرزق أســــبابه ... ولا تشـــغلَنْ بعـــدها بالكـــا

فإنــــك تجهـــــل عنوانــــه ... ورزقــــك يعـــرف عنوانكـــا

السؤال الثالث:

هل تمتع الإنسان باللذة مذموم ؟

الجواب:

اللَّذة من حيث هي مطلوبةٌ للإنسان ولكل حيٍّ فلا تُذمُّ من جهة كونها لذة، وإنما تذم ويكون تركُها خيراً من نيلها إذا تضمنت فواتَ لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألماً حصوله أعظم من ألم فواتها.

فها هنا يظهر الفرق بين العاقل الفَطِن والأحمق الجاهل، فمتى عَرَفَ العقلُ التفاوتَ بين اللذتين والألمين، وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا، والمعوّل في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة واحتمل الألم الأسهل على الأصعب.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الظلم والهضم والبغي والسحت والحرام والخطيئة والأثيم والآثم ؟

الجواب:

١ـ الهضم هو نقصان بعض الحق، ولا يقال: لمن أُخذ جميع حقه قد هُضِم، وفي القرآن: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:١١٢] أي: لا يمنع حقه ولا بعض حقه، وأصل الهضم في اللغة النقصان.

٢ـ الظلم يكون في البعض وفي الكل.

٣ـ البغي هو شدة الطلب لما ليس بحق عن طريق الغلبة، والبِغاء هو الزنا، وقوله تعالى: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: يريد الترؤس على الناس بالغلبة والاستطالة.

٤ـ السُّحت: هو المبالغة في صفة الحرام؛ ولهذا يقال: حرامٌ سُحت، ولا يقال: سحتٌ حرام.

٥ـ الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الإثم إلا تعمداً، ثم كثُر ذلك حتى سُميت الذنوب كلُّها خطايا كما سُميت إسرافاً، والإسراف هو مجاوزة الحد في الشيء.

٦ـ الأثيم: المتمادي في الإثم، والآثم فاعل الإثم.

❃❃❃❃

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا عدل الله عز وجل في الآية عن ذكر العذاب أو الاستئصال مع إرادته لذلك، وذكر الأجل فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ ؟

الجواب:

لقد عدل الله عز وجل عن ذكر العذاب أو الاستئصال مع إرادته لذلك وذكر الأجل فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وما ذاك إلا إيقاظ لعقولهم من أنْ يغرهم الإمهال، فيحسبوا أنّ الله غير مؤاخذهم على تكذيبهم، كما أنه ذكر عموم الأمم في هذا الوعيد، مع أنّ المقصود هم المشركون من العرب الذين لم يؤمنوا، وهذا مبالغة في الإنذار والوعيد بتقريب حصوله كما حصل لغيرهم من الأمم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ألا ترى أن ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ لا تعلق له بغرض التهديد، فمنتظرُ الوعيد يسأل التأخير لا التقديم، وهذه السورة من روائع البيان القرآني، فكل ذلك مبني على تمثيل حالة الذي لا يستطيع التخلص من وعيد أو نحوه بهيئة من احتبس بمكان لا يستطيع تجاوزه إلى الأمام ولا إلى الوراء.

السؤال الثاني:

هل ثمة من يستعجل الموت ويستقدمه ؟

الجواب:

في الآيات الثلاث: الأعراف ٣٤ـ يونس ٤٩ـ النحل ٦١ـ بعض المعاني المشتركة:

١ـ كل الآيات تصدرت بتأكيد الأجل حيث لكل أمة أجل محدد وكل نفس ذائقة الموت.

٢ـ كل الآيات اشتملت على ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:٤٩].

٣ـ كل الآيات تقدم فيها الاستئخار على استقدام الموت.

ملاحظات على ما تقدم:

أ ـ الأجل قد يكون للفرد الواحد، وقد يكون للأمة جميعاً مثل العذاب الذي نزل في الأمم السابقة كالصيحة أو الصاعقة أو غيرها.

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس:٤٩] يعني الموت المفاجىء الذي لا يستطيع الإنسان معه التوبة أو الوصية أو يغير من سلوكه شيئاً، وأمّا الموت البطيء المعروفة أعراضه ويستطيع الإنسان أنْ يفعل ما يشاء قبل حلوله فقد عبّر عنه القرآن بتعبير حضر الموت، كما في آية البقرة ١٨٠ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة:١٨٠].

ج ـ وأمّا استئخار الموت على استقدامه، فهذا أمر طبيعي يتفق وحب الإنسان للحياة، حيث يشب الإنسان وتشب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل، وفي هذا تصوير للقرآن الكريم في أعماق النفس البشرية.

وأمّا أن يطلب الإنسانُ الموتَ فهذه صفة نادرة سجلها لنا التاريخ الإسلامي في نماذج نادرة ممن تمنوا الموت واستقدموه، وهذه النماذج موجودة في كل عصر، ولكن بنسب مختلفة.

ويُروى عن سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه عندما أحس بالموت أشرق وجهه وصار يهتف بينه وبين نفسه:

غـــــداً ألقـــى الأحبـــــة محمـــــــداً وصحبـــــــــه

السؤال الثالث:

ما دلالة تقديم ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ على ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ في آيتي الحجر٥ والمؤمنون٤٣، بينما قدّم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾على ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ في آية الأعراف٣٤ ؟

الجواب:

نلاحظ في آيات القران الكريم أنه يقدم دائماً (ما تسبق من أمة أجلها) على (ما يستأخرون) في مقام الإهلاك والعقوبة.

❁❁❁❁

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾

السؤال الأول:

ورد في الآية عدد من حروف الجر، ما معاني حروف الجر ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٨٦.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال في الأنفال٣٥: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال:٣٥] وقال في الأعراف٣٩: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف:٣٩]، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ آية الأنفال ٣٥: في قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية فناسب ﴿تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢ـ آية الأعراف٣٩: في قوم ضلوا وأضلوا غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب لزيادة الكسب في الضلالة.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة معنى الحرمان من الخيرات الإلهية المحضة واستحالة دخولهم الجنة في هذه الآية ؟

الجواب:

اقرأ الآية وتأمل هذه الصورة القرآنية التي ترسم في خيال سامعها صورة متخيلة لفتح أبواب السماء كلها وليس باباً واحداً، وصورة متخيلة أخرى لولوج الجمل في سم الخياط وهو ثقب الإبرة، وتدب الحركة في هذه الصورة التخيلية بتخيل محاولات الجمل اليائسة المتكررة دخول ثقب الإبرة، إنها صورة جامعة لمعنى الحرمان من الخيرات الإلهية المحضة واستحالة دخولهم الجنة بعدها.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الجمل أحياناً تُقرأ الجُمّل بالتشديد، فهل يختلف المعنى بهذه القراءة؟

الجواب:

١ـ كلمة الجمل في اللغة لها أكثر من معنى.

آ ـ فمن معانيها الحيوان المعروف (الجمل) الذي هو الناقة والإبل والبعير والجمل، هذا معنى من معانيها.

ب ـ ومن معانيها: هو اسم لجنس سمك معيّن، العرب تسميه الجمل (سمكة في البحر تسمى جملاً).

ج ـ ومن معانيها: الحبل الغليظ.

٢ـ عندما نجد معاني متعددة للكلمة نحاول أنْ نرى العلاقة بين الألفاظ. فكلمة سم الخياط وهو ثقب الإبرة أو خرم الإبرة، هذا الثقب يناسبه الخيط وليس الجمل الحيوان،

لكن لا يمنع أنْ يكون المُراد هو الجمل، لكنّ الأكثر موافقة لصورة النص هو أنْ يكون الحبل الغليظ أو الذي تشد به السفن ويكون في غاية الغلظ.

٣ـ توجد قراءة شاذة، و كلمة (شاذة) لا تعني أنها خطأ، وإنما تعني أنه لم يكن يقرأ بها جمهور عظيم من الناس. وأهل مكة جميعاً كانوا يقرأون هكذا: (الجَمَل) .

لكنّ ابن محيصن، وهوأحد العلماء كان في مكة وكان يقرأ بروايات من قبائل قليلة، فقرأ: (الجُمّل) بتشديد الميم وضم الميم ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فلما قرأها وهي ليست قراءة أهل مكة التي هو مقيم فيها لم يقرّوها وجعلوه قارئاً شاذّاً، لأنه كان يقرأ بقراءة من خارج بلدهم.

٤ـ فما دام عندنا هذه القراءة والجَمَل له معنيان: الأول: الحبل الغليظ، وله معنى آخر وهو الحساب الخاص بالأرقام ويسمونه حساب الجُمّل. والحساب لا شأن له هنا ، فإذن ما بقي إلا الحبل الغليظ.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام فعل (يلِج)؟

الجواب:

يلج بمعنى (يدخل)، ولم يقل (يدخل)؛ لأنّ الدخول قد يكون براحة. أمّا الولوج إلى المكان ففيه شيء من التضييق في المكان. ولوج شيء في شيء يعني كأنما يكون هناك تماسّ في الولوج، لذا قال (يلِج) وتكون الحركة قليلة.

أمّا (الدخول) فالدخول يكون واسعاً. قال (يلج) لأنه سم خياط وعادة يمس الخيط - حتى الخيط الرفيع - الأطراف.

السؤال الرابع:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ سمّ الخياط: هو ثَقْب الإبرة، والإبرة معروفة وهي التي يُخاط بها.

٢ـ وفي الآية دلالة على استحالة دخول هؤلاء الذين هذه صفاتهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأعراف:٤٠]. ولاحظ أنه لم يقل: (كذّبوا آياتنا)، وإنما قال: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأعراف:٤٠] و(الباء) فيها معنى التأكيد.

و(كذّب) بمعنى (نسب الآيات إلى الكذب)، لكن كان يمكن أن يُعدّيها من غير باء، يقول: كذّبته أي نسبته الكذب، لكنْ أدخل الباء إشارة إلى أنهم يريدون أنْ يلصقوا الكذب بالآيات إلصاقاً؛ لأنّ (الباء) الأصل فيها الإلصاق، وإنْ كان فيها معنى الزيادة والتوكيد ،وكأنهم يريدون أنْ يرغموا فكرة الكذب إرغاماً لتلتصق بآياتنا. و في هذا بذل جهد للتكذيب.

٣ـ قوله ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾ هذا هو الاستكبار والتعالي. وما قال: (استكبروا عليها)؛ حتى لا تكون الآيات تحتهم وإنما قال (عنها)، أي تجنبوها وانحازوا عنها. والذي يبذل جهداً ويشتغل في تكذيب الآيات بنوع من الاستكبار لا تفتّح له أبواب السماء، والسماء لها أبواب تحملها على الحقيقة أو على المجاز، وتوجد أحاديث صريحة بهذا.

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة التخييلية لأنواع العذاب في نار جهنم ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف:٤١] صورة جديدة متخيلة لألوان العذاب في نار جهنم، فانظر كيف تنقلب الألفاظ عن حقيقتها، فالمهاد والغواشي ما يفرشه الإنسان ويتغطى به عند اضطجاعه للنوم، وفي الآية تتحول هذه الوسائل المريحة إلى أدوات للعذاب، فشبّه البيان الإلهي ما هو تحتهم من النار بالمهاد وما هو فوقهم منها بالغواشي، كناية عن انتفاء الراحة لهم في جهنم، أعاذنا الله من حسيسها، ولا يخفى ما في هذه الآية من التهكم والسخرية بأولئك الذين اتخذوا فراشاً وثيراً في الدنيا فأُبدِلوا هذا الفراش بفراش آخر، ولكنه في نار جهنم.

❁❁❁❁

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر الجنة في هذه الآية وذكر الجنة والرحمة في آيات أخرى كما في آية آل عمران ١٠٧؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٧] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢]

٢ـ الجنة مخلوقة لله وهي باقية بإبقاء الله لها، بينما الرحمة باقية ببقاء الله تعالى وهذا ضمان كاف، فمن يرى اللهُ فيه حُسنَ العبادة لذاته ـ سبحانه ـ يضعه الله في الرحمة.

٣ـ هناك جنة من الجنات اسمها ﴿عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين:١٩] ليس فيها متعة من المتع التي سمعنا عنها في الجنة من أكل لحم الطير والفواكه وليس فيها إلا أنْ ترى وجه الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وما دام العبد لا يأكل في الجنة عن جوع وإنما عن متعة، فما الأفضل له جنة المتع أو متعة رؤية وجه الله ؟ أي أتتمتع بالنعمة أم بالمنعم ؟

لا شك أنّ التمتع بالمنعم أرقى وأسمى من التمتع بالمتع الأخرى.

إضافة إلى أنّ رحمة الله تحيط بهم، ويؤكد الحق أنهم داخلون فيه بظرفية جديدة بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢].

فالحق يطمئننا في الآية أنّ قوله: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٧] هي للدخول إلى الرحمة، وأنّ قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف:٤٢] أي أنها لا تنزع منهم أبداً، فهم خالدون فيها. اللهم اجعلنا منهم اللهم آمين.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

الخطاب في هذه الآية في الآخرة بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، وعبَّر عنه بالنداء، فلِمَ اختير النداء دون القول أي عندما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٤٤] ؟

الجواب:

إنّ في خطاب أصحاب الجنة لأصحاب النار بالنداء دون القول كناية عن بلوغه أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد، فإنّ سعة الجنة وسعة النار تقتضيان ذلك، لا سيما مع قوله: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ [الأعراف:٤٦].

السؤال الثاني:

قال في أصحاب الجنة: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف:٤٤] وقال في الكافرين: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الأعراف:٤٤] فما السبب ؟

الجواب:

قال في أصحاب الجنة: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف:٤٤] وقال في الكافرين: ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الأعراف:٤٤]، وذلك أنّ الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد والوعيد، وليسوا

منكرين لما وعدهم به فقط ،فكأنه قال: هل وجدتم وعد ربكم حقا ؟ بخلاف المؤمنين فإنهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربهم من الخير والكرامة.

وكذلك أطلق الوعد ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأنّ الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم، فأطلق لذلك.

السؤال الثالث:

إذا كانت الجنة في أعلى السماوات والنار في أسفل الأرضين، فمع هذا البعد الشديد كيف يصل النداء ؟

الجواب:

هذا بقدرة الله تعالى وفي الآخرة لا أسباب بل بـ(كن) التي هي لله، والبعد الشديد والقرب الشديد ليسا من موانع الإدراك.

السؤال الرابع:

هل هذا النداء يقع من كل أهل الجنة أم من البعض؟

الجواب:

الآية تفيد العموم، والجمع إذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد، وكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في الدنيا.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ هل (أنْ) مخففة أم مثقلة ؟

الجواب:

لفظة ﴿أَن﴾ في الآية ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ يحتمل أنْ تكون مخففة من الثقيلة، وأنْ تكون مفسِّرة.

السؤال السادس:

هلا قيل: ما وعدكم ربكم حقاً، كما قيل: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ ؟

الجواب:

قول المؤمنين﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ يدل على أنه تعالى خاطبهم بهذا الوعد، وفيه تشريف لائق بالمؤمنين؛ ولذلك قالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ .

أمّا الكافر فهو ليس أهلاً لأنْ يخاطبه الله تعالى؛ فلهذا السبب لم يذكر الله أنه خاطبهم بهذا الخطاب، بل ذكر تعالى أنه بيّن هذا الحكم، فقال تعالى: ﴿مَّا وَعَدَ﴾، لأنّ المراد أنْ يلفتهم إلى مطلق الوعد وليس الوعدالخاص بهم، والوعد العام المطلق لله هو أنّ أهل الجنة يدخلونها بإيمانهم وأعمالهم فضلاً من الله ورحمة، وأهل النار يدخلونها بكفرهم وعصيانهم عقاباً من الله.

وقوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ تدل على اعتراف الكفار يوم القيامة بأنّ وعد الله ووعيده حق وصدق.

السؤال السابع:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ الأذان هو التصويت بالإعلام والأذان للصلاة إعلام بها وبوقتها، وهذا المؤذن من الملائكة وهو صاحب الصور قاله ابن عباس.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: ينادي منادٍ من الملائكة يُسمع أهل الجنة وأهل النار بأنّ الطرد من رحمة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بعدم الإيمان وبالتكذيب باليوم الآخر.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم﴾ كيف يكون جواب (هل) ؟ وكيف يكون جواب الاستفهام بـ(الهمزة)، كما في آيتي: [الأعراف ٤٤ـ ومريم ٩٨]؟

الجواب:

جواب (هل):

يكون جوابها بـ (نعم) أو (لا)، كقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمۡ﴾.

وكذلك مع (أو) نحو: هل حضر محمد أو خالد ؟ وجوابه: نعم أو لا؛ لأنّ المعنى: هل حضر أحدهما ؟

قال تعالى: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٨].

جواب الهمزة:

١ ـ جواب الهمزة وحدها والسؤال مثبت: بـ(نعم) أو (لا) نحو: أحضر محمد ؟

٢ ـ جواب الهمزة مع (أو) والسؤال مثبت: بـ(نعم) أو (لا) نحو: أمحمد عندك أو خالد؟

٣ ـ جواب الهمزة مع (أم) المعادلة بالتعيين نحو: أمحمد عندك أم خالد؟ والجواب: عندي محمد.

٤ ـ تجاب الهمزة إذا كان السؤال منفياً: بـ (بلى) في الإيجاب و (لا) في النفي، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] ولو قالوا: (نعم) لكفروا.

جواب أسماء الاستفهام:

يكون جواب أسماء الاستفهام بالتعيين، وذلك بحسب اسم الاستفهام، نحو: من حضر؟ فيقال: حضر محمد، ويجوز: محمد حضر، بحسب القصد.

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار ﴿هُمْ﴾ [يوسف:٣٧] في الآية ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧] بينما في سورة الأعراف لم يكرر (هم) ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾؟ والمطلوب مقارنة بين آية الأعراف ٤٥ مع آيات [هود ١٩ ـ آية يوسف ٣٧ ـ فصّلت ٧] بشأن تكرار الضمير ﴿هُمْ﴾ .

الجواب:

١ـ التكرار يفيد التوكيد، و﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧] آكد من عدم ذِكر (هم). ومن أهم أغراض التكرار في اللغة التوكيد.

٢ـ إحدى الآيتين مؤكدة والأخرى ليست مؤكدة. نوضح المسألة:

أولاً ـ آيتا الأعراف ٤٥ وهود١٩:

أ ـ في الأعراف ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ الآية من دون تكرار (هم) أي: لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله.

ب ـ نأخذ آية شبيهة بها في سورة هود ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هود:١٨-١٩] كرّر (هم).

ج ـ لو لاحظنا الآيتين: زاد في آية هود الافتراء على الله الكذب ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ [هود:١٨] أمّا في الأعراف فما قال هذا، وإنما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ [هود:١٩]. في آية هود قال: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود:١٨] زاد على الأولى الافتراء على الله الكذب.

لو أردنا أنْ نضع (هم) نضعها في المكان الذي وضعت فيه؛ لأنّ هؤلاء زادوا الافتراء والكذب على الله فاستحقوا التوكيد.

ثانياً: آيتا يوسف ٣٧ـ الأعراف ٤٥.

في سورة يوسف ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧] أيّهما الأشد، الكافر أم الظالم؟ الكافر أشد؛ لأنّ الظالم قد يكون مسلماً. وفي الأعراف قال: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفي يوسف قال: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ أيهما الأولى بالتوكيد؟ الكافرون أولى؛ فوضع ﴿هُمْ﴾ مع الكافرين.

ثالثاً ـ آيتا فصلت ٧ والأعراف ٤٥:

في سورة فصلت ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ من الأشدّ، المشرك أم الظالم؟ المشرك أشدّ؛ فقال: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، إذن هو يؤكد حيث ينبغي التوكيد.

لذلك نجد أنّ أقل ما ذكر في الأعراف: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فلم يؤكد وكل المذكور بعده أشدّ، إمّا: أنه زاد الافتراء على الله فكرر وأكّد، وإمّا: أنه وصفهم بالكفر وهو أشد من الظلم، ووصفهم بالشرك وهو أعظم من الكُفر. إذن وضع كل تعبير في مكانه في البلاغة.

التكرار يفيد التأكيد، والكفر بعضه أشد من بعض، وهو ليس بمرتبة واحدة، فلمّا ذكر أموراً أشدّ أكّد الكفر، فكانوا أكثر كفراً وأبعد في الكفر فقال: ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فُصِّلَت:٧].

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في سورة الأعراف:﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ ما معنى الأعراف؟ وهل هي تشمل الرجال والنساء أم يقصد بها الرجال فقط؟

الجواب:

الأعراف حجاب حاجز بين أهل الجنة وأهل النار، وكلمة (الأعراف) أي: السور المضروب بين الجنة والنار، والأعراف جمع عُرف باعتباره عالياً.

وكلمة ﴿رِجَالٌ﴾ هو يتكلم عن مسألة معينة، الأعراف لمن تستوي حسناته وسيئاته سواء كان رجلاً أم امرأة، لكنّ الكلام في الآية عن رجال، ولا يتكلم عن أهل الأعراف جميعاً، وإنما الذين ينادون، فالحادثة هكذا كما تخبر عن شخص في مجموعة، وهذه الحادثة فيها رجال فيتكلم فيها عن الرجال.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿حِجَابٌ﴾ ما كلمات منظومة الحواجز في القرآن ؟

الجواب:

الكلمات هي:

الجدار:

باعتبار ارتفاعه، ويحسن الاختباء خلفه لارتفاعه:[الكهف ٧٧ـ الحشر ١٤].

الحائط:

هو الجدار حول أشخاص أو حول مجموعة من البيوت ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ﴾ [النمل:٢٢] أحاط بهم سرادقها، بمعنى أنّ النار يوم القيامة متحركة تؤتى بحبال وتحيط بالكافرين بحيث لا يخرجون منها: [التوبة ٤٩].

السور:

إذا كان الجدار محيطاً بمدينة أو قرية أو قطر يسمى سوراً كسور الصين.

وفي آية الحديد ١٣، حيث السور هو حائط بين الجنة والنار، ويبدو من نسق الآيات أنّ الجنة والنار متداخلتان ومن الصعب على العقل أنْ يدركهما، وقوانين الآخرة على الصراط يوم القيامة أنّ الظلمة هي الأصل، ثم يأتي كل عبد ومعه من النور ما يناسب عمله في الدنيا، ولهذا يقول الكفار للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم؛ لأنه ليس لهم نور.

وشعار الرسول ﷺ على الصراط: «**اللهم سلّم سلّم**».

الباب والسد والردم:

الباب يُفتح ويُغلق، والسد لا يفتح أبداً، والردم لا يهدم أبداً لمتانته.

السد:

السد من صنع البشر، وفي آية يس ٩ ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ هو سد معنوي جعله الله تعالى بين الرسول وكفار قريش؛ حتى لا يروه.

الردم:

جدار لا يهدم لقوته: [الكهف ٩٥ـ ٩٦] فهو لا يهدم إلا بأمر من الله تعالى.

البرزخ:

هو الحاجز غير المنظور بين أمرين: [الرحمن ٢٠].

الحاجز:

هو الحاجز المنظور بين أمرين: [النمل ٦١].

الحجاب:

جمعها (حجب)، وهو منع شيء مهم مثل حرمات المسلمين وحرمة النساء: [الأعراف ٤٦ـ الإسراء ٤٥].

❊❊❊❊

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ذُكر لفظ النسيان مرتين في الآية، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ انظر في الآية وتدبر ألفاظها. فالنسيان في الموضعين نسيان ترك وإهمال، لاحظ الآية ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ﴾ ولا حاجة لذكر اليوم لتمام المعنى دونه، ولكنّ الله آثر ذكر ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ لما فيه من إثارة تحسرهم وندامتهم، وذلك لون من ألوان العذاب النفسي، ودلّ معنى كاف التشبيه في قوله: ﴿كَمَا نَسُوا۟﴾ على أنّ حرمانهم من رحمة الله كان مماثلاً لإهمالهم التصديق باللقاء، وهذه المماثلة مماثلة اعتبارية مماثلة جزاء العمل للعمل.

السؤال الثاني:

في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف:٥١] ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧] و ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ﴾ [السجدة:١٤] كيف ينساهم الله تعالى؟

الجواب:

١ـ أحياناً نحن نأخذ الكلمة على معنى واحد من معانيها ونتحيّر فيها وننسى باقي المعاني، فمثلاً نحن نفهم النسيان بمعنى (غاب) عن ذاكرتي، هذا ليس المعنى الوحيد للنسيان في لغة العرب دائماً؛لأنّ هناك معنى ثانياً للنسيان وهو الترك والإهمال. وعندما

تقول:نسيت هذا الأمر بمعنى أهملته كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ فهم لم يكونوا متذكرين للقاء هذا اليوم حتى ينسوه، وإنما كانوا منكرين له مهملين له. ويكون المعنى أنّ الله لن يلقي لهم بالاً بنفس النمط الذي فعلوه من عدم اكترائهم بيوم القيامة.

فالنسيان هو الغياب عن الذاكرة، ويأتي أيضاً بمعنى الترك والإهمال،والنسيان، وهنا جاء بمعنى عدم الاكتراث والعبء بالشيء.

و في الآيات مقابلة: ﴿نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ﴾ ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ﴿نَسِيتُمْ﴾ ﴿نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة:١٤]، وهذا نوع من المقابلة اللفظية وتسمى المشاكلة.

٢ـ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء فلا يُنسب له النسيان، كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢].

٣ـ قوله تعالى في آية التوبة ٦٧ ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ هو أيضاً من قبيل المشاكلة.

٤ـ قوله تعالى في آية السجدة ١٤ ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي: أنتم ابتداء أهملتم هذا اليوم ولم تلقوا له بالاً، واليوم تُنسون في نفس النمط، فلا يُلقى لكم بال.

ومثال ذلك عندما تقول: بنى الأمير المدينة الفلانية، فهل تفهم من هذا أنه ذهب بنفسه ووضع الحجر أم أمر ببنائها؟ الجواب: هو أمر ببنائها، من أين فهمنا هذا المعنى؟ السياق ليس فيه أنّ الأمير بنى المدينة، وإنما من السياق والفكر والعلم يحملانك على القول بأنه ليس هو الذي قام عملياً بالبناء، وإنما أمر به.

٥ـ فعندما تأتي ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ الله سبحانه وتعالى لا يضل ولا ينسى، فلا ينسب له النسيان، وكذلك من اللفظ نفسه فهم لم ينسوا لقاء يوم القيامة وإنما ما أعدّوا له عدة ولم يكترثوا به، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه:١٢٦] فهو لما خوطب بآيات الله تعالى ابتداءً أهملها ولم يلق لها بالاً، فإذن اليوم تُنسى في نفس النمط أي لا يلقى لك بال، وليس هناك تعارض بين الآيات. وهذا كلام عربي يفهمه العربي، ومتعلّم العربية يفهمه أيضاً. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الإنكار والجحود والزور والبهتان ؟

الجواب:

١ـ الجحد: هو إنكار الشيء الظاهر أو إنكارك الشيء مع علمك به، وهو أخص من الإنكار، كقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلا ظاهراً.

وكقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل:١٤] فجعل الجحد مع اليقين.

٢ـ الإنكار: يكون مع العلم وغير العلم، كقوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣] فجعل الإنكار للنعمة، والنعمة قد تكون خافية أو ظاهرة.

٣ـ الكذب: هو الخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وقد يكون في إنكار وغير إنكار.

٤ـ الزور: هو الكذب الذي سُوِّيَ وحُسِّنَ في الظاهر ليحسب أنه صدق من قولك: زورت الشَّيء إذا سويته وحسنته.

٥ـ البهتان: هو مواجهة الإنسان بما لا يحبه وقد بهته.

❁❁❁❁

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ [هود:١٠٥] واجتزأ بالكسرة في آية هود ١٠٥ دون الآيتين الأنعام١٥٨ والأعراف ٥٣، فما الأسباب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٥٨.

السؤال الثاني:

ما دلالة التذكير والتأنيث في الفعل (جاء) في قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ؟

الجواب:

١ـ حسب القاعدة النحوية المعروفة أنه جائز باعتبار أنّ جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه.

٢ـ يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكّر الفعل. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران:١٨٣] فهؤلاء مجموعة من الرسل.

أما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٥٣﴾ [الأعراف:٥٣] فالمذكورون هم جميع الرسل، وهم أكثر من الأولى، لذا جاء الفعل مؤنثاً.

السؤال الثالث:

ما دلالة صورة هذا الترقب والانتظار في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ ؟

الجواب:

إنها لون من تفنن القرآن في تعبيره، فالآية هنا تتحدث عن انتظار الكفار لوعيدهم، فشبّه حال تمهلهم إلى الوقت الذي سيحل عليهم فيه ما أوعدهم به القرآن بحال المنتظرين، وهم ليسوا بمنتظرين ذلك؛ إذ هم جاحدون وقوعه. فهذه الصورة جاءت

جرياً على الاستعارة التي أريد بها التهكم بحالهم، فأنّى لهم أنْ يترقبوا عذاب الله، أوَ ينتظر الإنسان العذاب أم يفر منه؟! لكنه تهكم من جانب وإظهار لما اختبأ في صدورهم من جانب آخر.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الصورة في قوله تعالى في الآية ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ؟

الجواب:

انظر كيف يخلع القرآن الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية لترقى فتصبح حياة إنسانية، ففي هذه الآية يجعل البيان القرآني الليل والنهار شخصين يفيضان حياة وحركة، وقد صور لنا الليل هنا في سمت الشخص الواعي له إرادة وقصد، فهو يطلب النهار مسرعاً مستمراً دائماً لا ينقطع حتى قيام الساعة، ولكنه محال أن يلحق به، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴾ [يس:٤٠].

السؤال الثاني:

في آيات الإجمال كما في آية الأعراف ٥٤ جاء زمن الخلق في ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولكن في آية التفصيل في سورة فصلت [٩ـ١٣]جاءت في ظاهر الأمر أنها ثمانية أيام، فما حقيقة الأمر ؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام كاملة بلا زيادة ولا نقصان، أي: أنّ خلق الأرض كان في يومين وأتمها بالرواسي والأقوات في يومين آخرين فكان الانتهاء من إتمام خلق الأرض مع أقواتها ورواسيها في أربعة أيام كاملة، كما تقول مثلاً: احتجت للسفر من جدة إلى الرياض عشر ساعات وإلى الدمام أربع عشرة ساعة، فهذا يعني أنّ زمن السفر من الرياض إلى الدمام أربع ساعات لا أربع عشرة ساعة.

ثم ضم إليها خلق السماوات في يومين فيكون عدد الأيام التي تم فيها خلق السماوات والأرض ستة أيام.

والله تعالى لا يحتاج إلى علاج حتى يتطلب الزمن الممتد، إنّ ربنا يخلق بـ ﴿كُن﴾، بينما نحن البشر نعالج على حسب قدرتنا ونحتاج للزمن.

٢ـ ولكن لماذا جاء الحق بخبر الخلق في ستة أيام ؟

هناك فرق بين ميلاد الشيء وتهيئته للميلاد، فخلق الجنين مثلاً يكون من تزاوج بويضة وحيوان منوي، ويأخذ الأمر تسعة شهور، وسبحانه جلّ جلاله لا يعمل في خلق الجنين تسعة شهور، لكنه يترك الأمر ليأخذ مراحل تفاعلاته.

والله خلق السماوات والأرض بـ(كن)، وبعد ذلك ترك مكونات السماوات والأرض لتأخذ مراحلها؛ لأنّ ميلادها سيكون بعد ستة أيام، وفي القرآن آية أعطتنا لمحة عن هذه المسألة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨].

فالله خلق السماوات والأرض دون تعب؛ لأنّ ذلك يحدث بـ(كن)، فكانت السماوات والأرض، لكنه أمر بـ(كن) وترك المواد تتفاعل لستة أيام وذلك ليعلمنا التأني وألا نتعجل الأشياء.

ولذلك جاء بعدها في سورة (ق) قول الحق: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق:٣٩].

٣ـ إنّ خلق السماوات والأرض قد أنجزه الله مرة واحدة بكلمة (كن) وانفعلت الكائنات للقدرة مرة واحدة وتعددت استدامة انفعالات السامع لقدرة الله في كل جزئية من جزيئات الفعل، وأخذ الأمر ستة أيام واستقر الأمر بعد ذلك واستتب، وهذا هو المعنى العام لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فكأنّ هذا القول كناية عن تمام الأمور فقد خلقها وانتهت، وعلينا أنْ نأخذ كل شيء منسوب إلى الله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

السؤال الثالث:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ في سورة الأعراف ؟

الجواب:

المعاني اللغوية:

ـ الغِشاء: هو الغِطاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] و ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٩].

ـ الغاشية: القيامة؛ لأنها تغشى الناس بأفزاعها.

ـ يُغشي: فعل مضارع، وقُرىء (يغشّي) بالتشديد للدلالة على التكرار، الليل: مفعول به أول، والنهار مفعول به ثان.

ـ وذكر أبو حيان أنّ المفعولين إذا تعدى إليهما فعل وأحدهما فاعل من حيث المعنى يلزم أن يكون هو الأول منهما.

*** أمثلة:**

ضرب موسى عيسى — يجعل موسى هو الفاعل.

ملّكتُ زيداً عمراً — يجعل زيداً هو الفاعل.

يغشي الليل النهار — يجعل الليل هو الفاعل.

لذلك كلمة التغشية أنسب بالليل.

المعنى العام:

الله سبحانه خلق السماء والأرض للخليفة وهو الإنسان، وهيأ له فيها أصول الحياة الضرورية ليعمل فيها ويبذل الجهد، والجهد يقتضي الراحة فشاء الله سبحانه أنْ يبين أن

الليل والنهار متعاقبان من أجل هذا الهدف، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان:٦٢].

ولا يمكن أنْ يكون الليل والنهار كلاهما خلفة للآخر إلا إذا كان الله خلق الليل والنهار دفعة واحدة.

لذلك لا بد أنْ تكون الأرض كروية ليغشى النهار الجزء المواجه للشمس وليغشى الليل الجزء غير المواجه للشمس، وحين تدور الأرض يأتي النهار خلفة لليل والليل خلفة للنهار.

والله سبحانه ذكر (يغشي الليل النهار) ولم يذكر أنّ النهار يغشى الليل؛ لأنّ اللفظ يحتمله، والليل والنهار بمعنى كل ليل وكل نهار وهو متعاقب مستمر الاستبدال، فدلّ النص القرآني على تغيير كل منهما بالآخر بأخصر عبارة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يجعله غاشياً له، والله ذكر الغشيان هنا، وذكر الإيلاج في آية أخرى ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [الحج:٦١] وهذا هو التناكح المعنوي، وجعله سارياً في جميع الموجودات، وإنْ صح هذا القول نستطيع أن نفهم قولهم: الليلة حبلى، أو الليالي حبالى، والله أعلم.

السؤال الرابع:

قوله تعالى ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ جاءت في آية الرعد (٣) وجاءت أيضاً في هذه الآية، لكن جاء بعدها ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، فما دلالة ذلك في هذه الآية؟

الجواب:

آية الأعراف هذه تتحدث عن بدء خلق الكون وخلق الأرض منذ ملايين السنين، وكان طول الليل والنهار آنذاك هو أربع ساعات فقط وليس (٢٤) ساعة كما هو عليه الحال، ولذلك كان تعاقب الليل والنهار يتم بسرعة كبيرة ولهذا ناسب هنا قوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ وهذا من الأمور العلمية المعروفة عند علماء الفلك، وتم استنتاج ذلك من عدد حلقات الشعب المرجانية القديمة والحديثة. والله أعلم.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَثِيثًا﴾ ما كلمات منظومة السرعة في القرآن ؟

الجواب:

هذه هي منظومة كلمات السرعة في القرآن:

حثّ:

هو السير أسرع من المعتاد، وهو إسراع منظم دقيق لا يتخلله انقطاع، والحث يكون فقط في المسير المتتالي: [الأعراف ٥٤].

حضّ:

هو سرعة الفعل والحدث في غير المشي: [الحاقة ٣٤ـ الفجر ١٨].

أسرع:

الإسراع محمود والعجلة مذمومة، والإسراع هو تقصير زمن الحدث: [إبراهيم ٥١ـ آل عمران ١٣٣ـ الحديد ٢١ـ ق ٤٤ـ المعارج ٤٣].

عجل:

العجلة هي تقصير المدة ولكن بدون إتمام العمل، والإسراع هو أنْ تسرع فيما ينبغي الإسراع فيه، وأمّا العجلة فهي أنْ تسرع فيما لا ينبغي الإسراع

فيه، وهي مذمومة، وفي المثل: في العجلة الندامة: [الأنبياء ٣٧ـ ص١٦].

هرع:

هي السرعة مع الاضطراب الشديد: [الصافات ٧٠].

جمح:

الجموح هو سرعة قبيحة، والجموح هو المسارعة في الشر: [التوبة ٥٧].

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ؟

الجواب:

للوجود ثلاث مراتب:

١ـ الذات الإلهية وصفاتها: وهو وجود مطلق غير محكوم للمكان والزمان وهو حاكم للمكان والزمان، وإليه تعود كل الموجودات الأخرى.

٢ـ عالم الأمر: (كالروح والقرآن الكريم)، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وهو وجود غير محكوم للمكان والزمان، ولكنه ليس حاكماً للزمان والمكان. . وهذا الوجود يتعلق بصفات الله مباشرة.

٣ـ عالم الخلق: وهو يتكون من مرتبتين:

أ ـ وجود مخلوق غير محسوس:

(كالنفس البشرية)، وهذا الوجود على الرغم من أنه ينتمي إلى عالم ما فوق المادة والزمان والمكان، إلا أنه يخضع لقوانين المكان والزمان، كالنفس البشرية حينما تكون داخل الجسد.

ب ـ وجود مخلوق محسوس: مثل عالم المادة الذي تنتمي إليه أجسادنا وهو وجود محكوم بقوانين المكان والزمان.

وعالم الخلق والأمر يعودان لله تعالى. والله أعلم.

❋❋❋❋

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الخِيفة والخُفية في القرآن الكريم في آيتي الأعراف ٥٥ و ٢٠٥؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الأعراف ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ وقال تعالى في سورة الأعراف أيضاً: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾.

٢ـ في اللغة (الخُفية) من الخفاء ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣].

والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] **أنْ تعلم ما تقول أي:** لا تذكر ربك وقلبك غافل، وتضرعاً من التضرع، ودون الجهر من القول بمعنى أن تُسمع نفسك ولا ترفع صوتك، فلو ذكرت ربك بصوت غير مسموع، ولكن لم تعلم ما تقول فأنت لم تذكر ربك في نفسك.

٣ـ أما (الخِيفة) فهي من الخوف بمعنى التذلل والتمسكن والمسكنة والتوسل. فهي اسم وقد تكون مصدراً للهيئة، كما في الحديث «**إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة**» أو هو المصدر أو الشيء الذي تجده في النفس، كما يقال: (الجُرح) وهو مكان الشق الذي يسيل منه الدم، و(الجَرح) هو المصدر.

وكذلك (الوَقود) بمعنى الحطب الذي يوضع في النار، و(الوُقود) هو الاشتعال، و(الخيفة) يجعلونها إمّا إسماً مثل الدُهن والجُرح، وإمّا أنْ تكون الهيئة، أي: الشي الذي تجده في نفسك.

إذن(الخفية) من الخفاء، و(الخيفة) من الخوف.

السؤال الثاني:

لماذا ذكر الخوف في آيتي الأعراف ٥٥ـ ٢٠٥ ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، ولم يذكره في آية الأنعام ٦٣، وإنما قال: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والخُفية نقيض الجهر ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٦٣.

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ
قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ كلمة (رحمة) جاءت بالمؤنث و(قريب) بالمذكر، فما اللمسة البيانية في هذا؟ أي لماذا جاءت كلمة (قريب) في وصف الرحمة، ولم تأت (قريبة) في آية الأعراف ٥٦ ؟

الجواب:

لغوياً:

آ ـ القرب في (النسب) يذكر ويؤنث، تقول: هذا خالي وهذه عمتي.

ب ـ القرب في (غير النسب) يصح معه التذكير والتأنيث، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ . سورة الشورى.

نحوياً:

قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير والتأنيث بشرط أنْ يكون في الإمكان حذف المضاف والإبقاء على المضاف إليه مقامه، أو أنْ يكون المضاف يمثل كل المضاف إليه أو بعضه.

وهذا يُكسب توسعاً في المعنى كما سنرى.

* شواهد قرآنية:

آ ـ ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء: ٤]

أخبر عن الأعناق وهي مؤنثة، والقياس: خاضعة، ولكنه عاملها معاملة المذكر؛ لأنّ المضاف إليه مذكر والأعناق جزء منهم.

ب ـ ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ والقياس: قريبة؛ لأنّ الرحمة مؤنثة.

* أمثلة لغوية:

آ ـ (ذهبتْ بعضُ أصابعه): يمكن حذف المضاف، فتقول: ذهبت أصابعه.

ب ـ (عامة الإقليم منصرفٌ إلى الإصلاح والتعمير)، (عامةُ): مذكر اكتسب التذكير من المضاف إليه: منصرفٌ.

ج ـ (تواضعت سور المدينة)، يمكن حذف المضاف، فتقول: تواضعت المدينة، أمّا السور فمذكّر، ونلاحظ التوسع في المعنى، فقد أفاد أنّ المدينة تواضعت، وكذلك تواضع سورها؛ لأنه حصن المدينة وحِماها، وأنّث الفعل لإرادة المدينة.

وقد ورد هذا في قول الشاعر جرير:

لمّـــا أتـــى خـــبر الـــزبير تواضعـــت ... ســـورُ المدينـــة والجبـــالُ الخشّـــعُ

وقال الشاعر:

إنــارة العقــل مكشــوف بطــوع هــوى ... وعقــل عــاصي الهــوى يــزداد تنــويرا

* **بيانياً: تفيد آية الأعراف ٥٦ أنه:**

إذا كان القرب مختصاً بالرحمة فيصح أنْ تكون (قريبة)، ولكنّ الله تعالى أراد أن يشعرنا بقربه هو جل جلاله؛ فجاءت الآية ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا القرب مختص بالله تعالى، وبالتالي كسب معنيين وهما: قرب رحمة الله، وقرب الله جل جلاله ،وليست الرحمة وحدها قريبة.

وكما قال الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] فجمع المعنيين معاً: قربه وقرب رحمته، فقدّم الرحمة وأخبر عن الله، وهذا من باب التوسع في المعنى.

وتفيد آية الشعراء ٤ ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ فلم يقل (خاضعة)؛ وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحابها؛ فقدّم الأعناق للإسناد وأخبر عن المضاف إليه فجمع المعنيين بذلك.

إذن من الناحية النحوية يجوز، ومن الناحية اللغوية يجوز، ومن الناحية البيانية يجوز.

❁❁❁❁

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (ريح) و(رياح) في القرآن الكريم؟

الجواب:

كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧].

أما كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

لزيادة التفصيل في الريح والرياح انظر آية آل عمران ١١٧.

السؤال الثاني:

لماذا اختلاف صيغة الفعل في قوله تعالى في آية الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾؟

الجواب:

يعبّر أحياناً عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣] والأحداث الماضية بأفعال مضارعة حكاية للحال كأنها نريد أن نستحضر الحدث أمامنا، مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧] .

السؤال الثالث:

جاءت الأفعال بالمضارع في آيات الأعراف ٥٧ والروم ٤٨ ﴿يُرْسِلُ﴾ وجاءت الأفعال بصيغة الماضي في الفرقان ٤٨ وفاطر ٩ ﴿أَرْسَلَ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف ٥٧: تقدّمها في الآية ٥٤ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وتقدّمها في الآية ٥٥ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ فناسب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، لأن الدعاء إنما يكون لما يأتي.

٢ـ آية الروم٤٨: تقدمها في الآية ٤٦ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ فناسب بعدها في الآية ٤٨ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ .

٣ـ آية الفرقان ٤٨: تقدمها أفعال ماضية كقوله تعالى: ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ و ﴿لَجَعَلَهُۥ﴾ و ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ و ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ و ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ﴾، فناسب ذلك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ .

٤ـ آية فاطر٩: تقدمها في الآية ٣ قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو المطر، وإنما يذكّر الله بشكر النعم الماضية على زمن الشكر؛ فناسب ﴿أَرْسَلَ﴾ ماضياً.

السؤال الرابع:

ما دلالة وصف السحاب في الآية(٥٧) الأعراف ؟

الجواب:

١ـ كلمة السحاب وردت في تسعة مواضع، والسَّحاب هي بفتح السين وليس لها وجه آخر، والسَّحابة بفتح السين.

وفي سورة الأعراف أول موضع من المواضع التي وصف فيها السحاب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ قال فيها: ﴿بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ﴾ فالرياح مبشرات.

٢ـ والعربي عندما يشم رائحة الهواء يقول: هذا وراءه غيث، ولو بعد نصف نهار يشمّه، وهذا من الخبرة والتجربة.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ وصفه بالثقل أي: ماؤه كثير.

٤ـ وقوله تعالى: ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (البلد ميت) معناه الأرض ميتة، أي: ليس فيها نبات؛ لأنه في حقيقة الحال لولا الماء والنبات فالحيوان يموت والناس تموت.

السؤال الخامس:

ما دلالة تنوع الأوصاف للسحاب وتصنيفها في القرآن ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٨﴾ [الروم:٤٨] ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور:٤٣] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ [النبأ:١٤] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة(١٦٤).

❁❁❁❁

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ بغير (واو) في آية الأعراف (٥٩) ومع (واو) في آيتي هود(٢٥) والمؤمنون(٢٣) ؟

الجواب:

١ـ في الأعراف: كلام مبتدأ لم يتقدمه دعوى نبوة، فبدأ بدون واو.

٢ـ في هود: تقدم ما يشعر ذلك في الآية ١٧ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ فحَسُنَ العطف عليه بالواو.

٣ـ آية المؤمنون: تقدم ذكر نعم الله على المكلفين بحملهم على الفلك الذي كان سبباً لوجودهم ونسلهم فعطف عليه بالواو.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

زاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية ٦٦ من سورة الأعراف دون أنْ يزيدها في الآية ٦٠ من نفس السورة، فلماذا ؟

الجواب:

الآية (٦٠) هي في قصة سيدنا نوح عليه السلام، والآية ٦٦ هي في قصة سيدنا هود عليه السلام، ونجد أنه زاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على ملأ قوم
هود دون ملأ قوم نوح ، وقيل إنّ السبب:

١ ـ لأنه كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مثل: مرثد بن سعد ـ الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ، فلم يكن كلُ الملأ من قومه قائلين: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ بينما لم يكن في أشراف قوم نوح من آمن عند قولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

٢ ـ وربما يقول قائل: هذا الجواب منقوض بقوله تعالى عن قوم نوح في سورة هود ٢٧: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وجواب هذا النقض أنه: يجوز أنّ القول كان وقع مرتين، والمرة الثانية وقعت بعد إيمان بعضهم، كما يجوز أنْ يكون وصفاً وارداً للذم فقط.

السؤال الثاني:

قوله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام في الأعراف ٦٠: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾، بينما جاء في قصة ثمود (قوم صالح) في الأعراف ٧٥: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ ، فما السبب؟

الجواب:

أنّ نوحاً عليه السلام لم يؤمن أحد من أشراف قومه، وصالح عليه السلام آمن بعض أشراف قومه، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

في سورة الأعراف قال في الآية ٦٢: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾، وقال في الآية ٦٨: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ (الضلال) فعل يتجدد بترك الصواب إلى ضده ويمكن تركه في الحال فناسبه الصيغة الفعلية ﴿وَأَنصَحُ﴾ .

٢ـ تقدم الآية ٦٨ قوله تعالى في الآية ٦٦: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ والسفاهة صفة لازمة لصاحبها، فقابلها بجملة اسمية ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ .

٣ـ كلمة ﴿وَأَنصَحُ﴾ فعل مضارع يفيد الاستمرارية والتجدد، بينما كلمة ﴿نَاصِحٌ﴾ على وزن اسم الفاعل يدل على الثبات، كقولك: صابر.

٤ـ الآية ٦٢: على لسان نوح عليه السلام وقومه اتهموه بالضلال، والضال هو التائه البعيد عن الصواب، وهو وصف غير ثابت يتغير بكثرة، ويقولون له: أنت ضال فتحول إلينا وتحول إلى أفكارنا، عُد إلى عبادة ما نعبد، وتغير إلى عبادة أصنامنا.

فلمّا كان الأمر يتعلق بشيء سهل التغيير استعمل (الفعل) في الرد عليه، أي: لمّا كانت التهمة بفعلٍ استُعمل الفعل في الجواب.

٥ـ الآية ٦٨: هي على لسان هود عليه السلام وتهمتهم له أنه في سفاهة وهي الحمق والطيش والخِفة وكل ذلك أمور شبه ثابتة يصعب تبدلها بسرعة، فالسفيه يحتاج إلى مدة طويلة ليتحول عن سفهه، هذا إنْ تحول.

ولذلك لمّا كانت التهمة ثابتة استعمل معها اسم الفاعل الذي يدل على الثبات، والكوفيون يسمون اسم الفاعل بالفعل الدائم؛ لأنّ فيه معنى الدوام. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ جاء في الآية أمران، وهما: تبليغ الرسالة وبذل النصيحة، فأمّا تبليغ الرسالة فيتضمن تعريفهم أنواع التكاليف والأوامر والنواهي، وأمّا النصيحة ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ فهو

في ترغيبهم في الطاعة وتحذيرهم عن المعصية مع خلوص النية، وأنه يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي: أعلم أنه يعاقبكم إن عصيتم أمر الله في الدنيا بالطوفان أو في الآخرة في جهنم.

أو أعلم من توحيد الله وصفات جلاله ما لا تعلمون، بمعنى ارجعوا إليّ في طلب تلك العلوم. والله أعلم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ بالجمع في قصة نوح الآية ٦٢، وهود الآية ٦٨، وشعيب الآية ٩٣، بينما أفرد في قصة صالح آية ٧٩، فقال: ﴿رِسَالَةَ﴾ ، فما السبب ؟

الجواب:

أنّ قصة نوح وهود وشعيب تضمنت أنواعاً من التبليغات، وإنْ لم تذكر هنا مع طول مدة نوح، فجمع لذلك، وقصة صالح ليست كذلك؛ فأفرد. وبيان ذلك:

آيات قصة نوح ٥٩ـ٦٢: (رسالات)

ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

البيـــان:

١ـ قيل: تنوع التبليغات بمعنى مفردات الأوامر والنواهي؛ لأنّ كل أمر رسالة.

٢ـ قيل: أراد رسالته ورسالة غيره من الأنبياء ممن قبله كإدريس عليه السلام.

٣ـ قيل: تعددها بسبب طول المدة ٩٥٠ سنة؛ ولذلك جاء بعد ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ﴾ بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد؛ لأنّ قومه كانوا يبالغون في السفاهة عليه، ومع ذلك يعود إليهم في اليوم التالي ويدعوهم إلى الله، فناسب هذا التجديد المستمر ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾.

آيات قصة هود ٦٥ـ٦٨: (رسالات)

ـ ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

البيـــان:

١ـ قيل: تنوع التبليغات وتفصيل أحكامها.

٢ـ قيل: أراد رسالته ورسالة غيره من الأنبياء ممن قبله في الأمور التي لم تنسخ.

٣ـ جاء بعد (رسالات ربي) قوله تعالى: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات، أي: معروف بالنصح لكم وأمين على الرسالة لا أكذب.

آيات قصة صالح ٧٣ـ٧٧: (رسالة)

ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا

قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ
﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾

البيـان:

١ـ قصة صالح في أمر واحد، وهو الناقة، وهي مفردة وسماها ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالإفراد.

٢ـ أفرد: ﴿أُرْسِلَ بِهِ﴾ ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فناسب إفراد ﴿رِسَالَةَ﴾ .

٣ـ جاء بالفعل ﴿وَنَصَحْتُ﴾ وعدّاه باللام (لكم) دلالة على أنه خاص بهم.

آيات قصة شعيب ٨٥ـ٨٦: (رسالات)

ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم
بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ
كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

البيـان:

١ـ ذكر الله في الآيات أموراً متعددة من التبليغات: إيفاء الكيل والميزان ـ لا تبخسوا الناس أشياءهم ـ لا تفسدوا في الأرض.

٢ـ شعيب عليه السلام أُرسل إلى مدين وأصحاب الأيكة فتعددت رسالته فناسب: رسالات.

٣ـ قيل: المقصود رسالته ورسالة الرسل السابقين في الأمور التي لم يحدث فيها نسخ.

❁❁❁❁

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ ولِمَ قدّم الإنجاء على الإغراق؟

الجواب:

تأمل كيف يختصر البيان الإلهي الزمن، فمع وجود الفاء في قوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ الدالة على التعقيب، فأنت تعلم بأنّ التكذيب كان من القادة ثم العامة، ثم أعقب الوحي وصناعة الفلك، ثم بعد ذلك يرتب الوقائع بحسب الأهمية، فالله أسرع في هذا الإخبار بالإنجاء وجعله مقدماً على الإخبار بالإغراق، مع أنّ مقتضى العبرة تقديم إغراق المكذبين ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾، فقدّم الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلاً لمسرّة السامعين من المؤمنين.

السؤال الثاني:

قال في آية الأعراف ٦٤ وآية الشعراء١١٩ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ وفي آية يونس٧٣ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعراض الآيات:

آيات سورة الشعراء ١٠٥ ـ ١٢٠: (فأنجيناه)

ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟
أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ
﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ
إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

آيات سورة يونس ٧١ ـ ٧٣: (فنجيناه)

ـ ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

البيـان:

القصة في سورة الشعراء ذُكرت أكثر تفصيلاً، والموقف أشد محاجة، والمحاجة أطول، والتهديدات أشد، وبيان ذلك:

ـ وصفوا المؤمنين بأنهم أراذل.

ـ طلبوا طرد المؤمنين.

ـ هددوا نبيهم نوحاً عليه السلام بالرجم إنْ لم يكف عن دعوتهم.

ـ شكا نوح إلى ربه تكذيب قومه.

ـ دعا بالنجاة له ولمن معه من المؤمنين.

فاستدعى لذلك الإسراع في انجائهم، فاستعمل ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ بخلاف ما في سورة يونس التي لم يكن فيها شيء من ذلك.

وكذلك الأمر في آيات الأعراف أيضاً، فاستعمل ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾.

ومن المعلوم أنّ القرآن يستعمل (أنجى) عند الإسراع، بخلاف (نجّى).

السؤال الثالث:

قال في آية الأعراف٦٤: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾، وقال في آية يونس ٧٣ وآية الشعراء ١١٩: ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

استعمل في آية يونس والشعراء ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، واستعمل في آية الأعراف ٦٤ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾.

وذلك أنّ القصة في يونس والشعراء أشد محاجة منها في سورة الأعراف، ولذلك نجد أنه:

أ ـ استعمل ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ في يونس والشعراء، أي في موقف الشدة حيث يكون عدد المؤمنين في وقت الشدة قليلاً، كما هو حال عدد المسلمين في مكة، و(من) تستعمل للمفرد والمثنى والجمع.

ب ـ بينما استعمل في الأعراف وفيها القصة ذات الطابع الأقل شدة (الذين) وهي للجمع فقط.

لأنّ عدد المؤمنين أكثر في الأوقات الأقل شدة، كما هو عدد المؤمنين في المدينة المنورة، حيث زاد عددهم كثيراً.

ج ـ القصة في الأعراف أطول مما في يونس وإن كلمة ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ أطول من كلمة ﴿وَمَن﴾، فناسب في مقام الإطالة أنْ يأتي بأطول الكلمتين.

د ـ وردت كلمة (من) في يونس ٢٤مرة وفي الأعراف ١٨ مرة، بينما وردت كلمة (الذين) في الأعراف ٤٧ مرة وفي يونس ٢٨ مرة.

فناسب كل تعبير موضعه من كل وجه. والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين السفينة والفلك في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ السفينة: هي الفُلك، غير أن العرب استعملت السفينة خاصة بالمفردة المؤنثة، واستعملت الفُلك بشكل عام للواحد والاثنين والجمع، واستعملتها مذكرة ومؤنثة؛ لذلك فـ (الفلك) أعم من السفينة في الاستعمال اللغوي.

وكذا استعمله القرآن:

آ ـ بالإفراد والتأنيث، كما في المؤمنون ٢٧ بقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ وهود ٤٢: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ﴿وَهِىَ تَجْرِى﴾.

ب ـ واستعمله بالإفراد والتذكير كما في آية الشعراء ١١٩ والصافات ١٤٠: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ .

ج ـ واستعملها جمعاً، كما في آية فاطر ١٢ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ و(مواخر) جمع، وكما في يونس ٢٢: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع وأنَّث.

٢ـ القرآن يستعمل (الفلك) بالتذكير في حال ملئها بالحمل؛ لأنّ التذكير أقوى من التأنيث، والمذكر أقوى من المؤنث، كما هو ظاهر في الآيات التالية:

ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾ [الشعراء:١١٩] والمشحون هو المملوء.

ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس:٤١]

ـ ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصافات:١٤٠] عن سيدنا يونس عليه السلام حيث أُلقي في البحر؛ لأنّ السفينة كانت ملأى، ولا بدّ أن يُخفف من حملها فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت.

٣ـ في آية هود ٤٠ وهي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ فاستعملها بالتأنيث مع وجود الحمل ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ .

وكذلك الأمر في آية المؤمنون ٢٧ ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ﴾ فاستعملها بالتأنيث مع وجود الحمل ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ .

والسبب أنّ الآيتين لا تدلان على الملء، فهو لم يقل (مملوءة)؛ لأن عدد الراكبين قلة بدليل ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ وبدليل أنّ في السفينة متسعاً فدعا ابنه للركوب.

وأما في آية (المؤمنون): فقد ذكر أنه أمره أنْ يسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهله ولم يذكر من آمن فلم يصرح بالملء بخلاف التصريح بالشحن ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء:١١٩].

٤ـ من معاني﴿ٱلْفُلْكِ﴾ موج البحر والماء الذي حركته الريح، وفَلك البحر كأنها سُميت بذلك لَّما كانت تركب الموج.

أمّا السفينة فمشتقة من (السَّفَن)، وهو القَشْر وسُميت بالسفينة؛ لأنها تسفن وجه الماء، أي: تقشره.

ولذلك معاني الفلك أعم من معاني السفينة.

وقد استعمل القرآن السفينة في مقام التخصيص فقط تناسباً مع معناها اللغوي، بخلاف الفلك فقد استعملها عامة وخاصة.

٥ـ استعمل القرآن السفينة في المملوكة دون غيرها، قال تعالى:

ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف:٧١] وهذه السفينة كانت لمساكين يعملون في البحر.

ثم قال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ أي: أراد أنْ يملكها بالقوة.

ـ ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت:١٥] وكلمة الأصحاب قد تأتي بمعنى المالكين، وإنْ لم تكن كذلك في قصة نوح، وإنما على تقدير: وأصحابه في السفينة.

والقرآن استعمل السفينة فقط في سورة الكهف ومع سفينة نوح وهي كلها تخص مالكها.

٦ـ أما الفلك فقد تكون خاصة، كما في فلك نوح، وقد تكون مطلقة تصلح لجميع الأزمنة، قال تعالى:

ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ [لقمان:٣١].

ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ [الجاثية:١٢].

ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم:٤٦].

٧ـ من لطيف الاستعمال أنه ذكر السفينة الخاصة به في سورة العنكبوت وخصّص معها مدة لبث سيدنا نوح عليه السلام، وخصّصها بأنها آية للعالمين. انظر قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)﴾ [العنكبوت:١٤-١٥].

فما ألطف هذا التناسب !!

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ ؟

الجواب:

لو قرأنا قصص الرسل في الأعراف سنجد: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ معطوفة على ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ثم تأتي قصة نوح، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ هذه الواو واو العطف،، ويعني (وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً)، (أخاهم) مفعول به منصوب، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾ تكلم عن عاد وما فيها ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾.

❁❁❁❁

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

زاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية ٦٦ من سورة الأعراف دون أن يزيدها في الآية ٦٠ من نفس السورة فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٠.

السؤال الثاني:

قال في آية الأعراف ٦٦: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾، وقال في آية الشعراء ١٨٦: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ﴾، فما السبب في اختلاف درجة التأكيد؟

الجواب:

القاعدة اللغوية:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال فيقول: (إنْ) مع التخفيف، و (إنّ) مع زيادة التوكيد.

آيات الأعراف ٦٥-٦٨: (وإنّا لنظنك)

- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾

آيات الشعراء ١٨٥-١٨٩: (وإنْ نظنك)

- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾

البيـان:

١- قال في سياق آيات الأعراف: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ وفي سياق آيات الشعراء قال: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ وبالنظر إلى السياق نجد أنّ التكذيب في

آيات الأعراف أشد منه في آيات الشعراء، فقد قال في الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ بخلاف آيات الشعراء فإنه قال: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الشعراء:١٨٥].

وأنت ترى الفرق بين القائلين، ففي آيات الأعراف قول الملأ الذين كفروا، والقائلون في الآيات الثانية مختلطون؛ إذ فيهم الشديد التكذيب والقليل والإمعة والخائف، فهو تكذيب مختلط لا يصل إلى تكذيب الذين كفروا خصوصاً، ويدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات الشعراء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ أي: أنّ فيهم قلة مؤمنة، فهو قد نسب الكلام إلى أصحاب الأيكة عموماً، بخلاف آيات الأعراف فإنه نسب الكلام إلى الذين كفروا خاصة.

٢ـ ثم انظر إلى تعقيب الرسول لكلام قومه في الموطنين، فإنّ هوداً عليه السلام رد على قومه بآيات عدة ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ بخلاف آية الشعراء فإنه لم يزد على قوله: ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾، ومن هنا يتبين الفرق واضحاً بين التعبيرين.

❁❁❁❁

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة ﴿نَاصِحٌ﴾ باسم الفاعل ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾، مع أنها جاءت بعدها بصيغة الفعل في الآيات [٦٢ـ ٧٩ـ ٩٣] ؟

الجواب:

عند النظر في كلام الله سبحانه وتعالى يظهر أو يتبين عِلل الاختيار:

١ـ في الآية الأولى ٦٢: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ هذه مع نوح عليه السلام فاستعمل الفعل ﴿وَأَنصَحُ﴾ بالفعل المضارع الذي فيه معنى التجدد والاستمرار؛ لأنه مستمرٌّ في نُصحهم.

٢ـ الآية الأخرى (٦٨) في السورة نفسها، وتتكلم عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ استعمل اسم الفاعل ﴿نَاصِحٌ﴾.

٣ـ علماؤنا هنا يقولون: هناك فرق بين التُّهمتين:

أ ـ التهمة الأولى الضلال: اتهموا نوحاً بأنه في ضلال، والضلال هو التيه، أي: بعيد عن الصواب، بعيد عن الحق، وهو وصف غير ثابت يتغير بسرعة. تقول للإنسان مثلاً: هذا طريق ضلال، انحرف إلى هنا، تحوّل إلى هنا، فيتحول فليس فيه هذا التشبث أو التمسك، فلما كان الأمر يتعلق بشيء سهل التغيير استعمل الفعل في الرد عليه؛ لأنّ الفعل يدل على التجدد والحدوث.

ب ـ التهمة الأخرى هي السفاهة: والسفاهة نوع من الحمق.

لكـــــــل داء دواء يســــــتطب لـــــــه   إلا الحماقـــة أعيـــت مـــن يـــداويها

فالضلال أمر طارئ يمكن أنْ يتحول عنه، أمّا السفه فيمكن أنْ يتحول عنه لكن بعد مدة طويلة، فلمّا كان الأمر يتعلق باتهام ثابت يكاد يكون ثابتاً احتاج لنفيه إلى أنْ يستعمل اسم الفاعل الذي هو دالٌّ على الثبات.

فاستعمل النصح الثابت ﴿نَاصِحٌ﴾ في مقابل التهمة الثابتة، واستعمل النصح المتغير المتطور ﴿وَأَنصَحُ﴾ في مقابل الصفة المتغيرة المتحولة العارضة، فهناك مناسبة في استعمال هذا اللفظ؛ ولذلك قال العلماء: ﴿نَاصِحٌ﴾ لا تستقيم في المكان السابق، وكلمة ﴿وَأَنصَحُ﴾ لا تستقيم في هذا المكان.

فهم لمّا استعملوا الشيء العارض ناسب أنْ تجيبهم بشيء عارض، ولمّا استعملوا الشيء الثابت ينبغي أن تجيبهم بشيء ثابت.

٣ـ الآية ٧٩ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ والآية ٩٣ الكلام فيهما بصيغة الماضي، فلا موضع لاسم الفاعل فيهما؛ ولذا فهما ليسا مما يقابل الآية ٦٨.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿بَسْطَةً﴾ بالسين في آية البقرة ٢٤٧، بينما وردت في آية الأعراف ٦٩ بالصاد ﴿بَصْۜطَةً﴾، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٧.

❁❁❁❁

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (نزّل وأنزل)، كما في آيات الأعراف ٧١ـ يوسف ٤٠ـ النجم ٢٣ـ آل عمران ٣ـ الفرقان ٣٢ وكذلك في آية القدر ١ ؟

الجواب:

١ـ الفعل (نزّل) يمكن أنْ يستعمل لأكثر من معنى:

أ ـ فقد يكون للتدرج والتكثير، بينما (أنزل) عامة، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران:٣].

والقرآن نزل منجماً مفرقاً، والتوراة والإنجيل أنزلتا جملة واحدة، فقال: (أنزل).

وقسم ردوا التدرّج بقوله تعالى في آية الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢]. وقسم قالوا: هذا ليس فيه تدرج؛ لأنّ(لولا) هنا من حروف التحضيض.

لذلك كلمة (أنزل) عامة سواء كان متدرجاً أم غير متدرج.

ب ـ وقد يكون للمبالغة والاهتمام، فما ذكر فيه ﴿نَزَّلَ﴾ يكون أهم وآكد مما استعمل فيه ﴿أَنزَلَ﴾.

٢ـ (الإنزال) عام لا يخص التدرج أو غير التدرج، لكن (التنزيل) هو الذي يخص التدرج، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل منجماً.

٣ـ لكن الذي يبدو أنّ الفرق بين (نزّل وأنزل) أنّ (نزّل): تفيد الاهتمام نظير (وصّى وأوصى) و(كرّم وأكرم) ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ (نزّل)، والتي دونها يأتي بـ (أنزل).

* شواهد قرآنية:

- في الأعراف ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١)﴾ [الأعراف:٧١].

- وقال في يوسف: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف:٤٠].

- وقال في النجم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾ [النجم:٢٣].

أ - ننظر السياق: في الأعراف محاورة شديدة، حيث قال: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١)﴾ [الأعراف:٧٠-٧١] ففيها تهديد وكلام شديد من قومه، بمعنى: كيف نترك آلهتنا ونعبد الله !!! فقال: ﴿نَزَّلَ﴾.

ب - في سورة يوسف قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف:٤٠] لم يردّ عليه السجينان وليس فيها تهديد؛ إذن الموقف يختلف عن آية سورة الأعراف، فقال (أنزل).

ج ـ في النجم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم:١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣] لم يردّوا عليه ولم يكن هنالك محاورة ولا تهديد، فقال (أنزل).

إذن (نزّل) آكد وأقوى في موطن الاهتمام وأشد من (أنزل).

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على (الرجس والغضب) ؟

الجواب:

تأمل التقديم والتأخير في الآية، فكلاهما يدل على بلاغة كلام الله تعالى، فقدّم ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ للاهتمام بتعجيل ذكر المغضوب والغاضب إيقاظاً لبصائرهم لعلهم يبادرون بالتوبة، وأخرّ الغضب عن الرجس؛ لأنّ الرجس- وهو خبث نفوسهم- قد دلّ على أنّ الله فطرهم على خبث بحيث كان استمرارهم على الضلال أمراً جلياً، فدلّ ذلك على أنّ الله غضب عليهم لمّا وقع منهم من فسق ورجس. وقبل ذلك كله تجيء كلمة ﴿قَدْ﴾، لتؤذن بتقريب زمن الماضي من الحال، مثل قولك: (قد قامت الصلاة).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول:

في آية الأعراف ٧٣ وصف العذاب بالإيلام ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ وفي آية هود ٦٤ وصف العذاب بالقرب ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ وفي آية الشعراء ١٥٦ وصف يوم العذاب بالعظمة ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فما دلالة اختلاف الوصف؟

الجواب:

في آية الأعراف ذكر قوم صالح وكثرة تحديهم واستهزائهم وعتوهم، ولم يذكر مثل ذلك في السور الأخرى، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

فقد ذكر عنهم أنهم: ٤٥

١ ـ أعلنوا كفرهم.

٢ ـ عتوا عن أمر ربهم.

٣ ـ تحدوا نبيهم بالعذاب.

وليس الأمر كذلك في المكانين الآخرين؛ فقد قال في هود: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ فليس فيه هذا

التحدي ولم يذكر أنهم عتوا عن أمر ربهم ولم يصرحوا بكفرهم، بل ذكروا أنهم في شك؛ لذلك فالسياق في كل من الموطنين يختلف عن الآخر.

وكذلك ما جاء في سورة الشعراء، فإنه لم يذكر تحديهم ولا عتوهم واستكبارهم فاستحقوا أن يذكر لهم العذاب الأليم في سورة الأعراف.

جاء في كتاب «البرهان» للكرماني: أنه في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وأمّا في سورة هود، فقد وصف العذاب بالقرب لما ذكر قبله ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وأمّا في الشعراء فقد وصف اليوم لما ذكر قبلها ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ .

❁❁❁❁

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام في الأعراف ٦٠ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾، بينما جاء في قصة ثمود قوم صالح في الأعراف ٧٥ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ فما الفرق ؟

الجواب:

أنّ نوحاً عليه السلام لم يؤمن أحد من أشراف قومه، بينما صالح عليه السلام آمن بعض أشراف قومه، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ما كلمات منظومة (جثا) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

الكلمات هي:

جثا:

هو الجلوس على الركبة، ولا يكون إلا من خوف أو تضرع أو تذلل: [الجاثية ٢٨- مريم ٦٨].

جثم:

الجاثم يأخذ هيئة الجلوس، ولكنه ثقيل جداً كأنه التصق بالأرض؛ ولذا يقال: جثمان لأنه صار ثقيلاً: [الأعراف ٧٨].

جلس:

إذا كان الشخص واقفاً أو متكئاً فجلس وعكسها (وقف)، وهي حركة يومية فيجلس الإنسان للحكم والقضاء والعلم.

قعد:

قعد من القيام، وهو ليس حركة يومية لكنها تدل على هيئة وعمل معين، والمتخلف عن الخير يقال له:(قاعد)، والقعود من التخاذل وليس من الراحة: [الجن ٩ـ التوبة ٩٠].

اتكأ:

الاتكاء يكون للراحة والترف والسعادة:[الإنسان ١٣].

استند:

يقال في حال الضعف حتى لا يقع، والاتكاء والاستناد جلسة، والمهموم لا يتكئ، إنما يجثو على ركبتيه:[المنافقون ٤].

استوى:

جلس متمكناً مع سيطرة كاملة، واستوى على العرش بمعنى (استولى)؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، والاستواء معلوم والكيفية مجهول، والسؤال عن ذلك بدعة:[الفرقان ٥٩ـ طه ٥]

السؤال الثاني:

قال في آيتي الأعراف ٧٨ و ٩١: ﴿دَارِهِمْ﴾ بصيغة الإفراد، بينما قال في آيتي هود ٦٧ـ و ٩٤: ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ بالجمع، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الصيحة: هي أشمل وأهم من الرجفة؛ لذا تصيب عدداً أكبر، حيث إنّ الصوت يمتد أكثر من الرجفة، ولهذا تؤثر في ديار عديدة؛ لذا جاء استخدام كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ مع الصيحة، كما في آيتي سورة هود.

أمّا الرجفة فيكون تأثيرها في مكانها فقط، لذا جاء استخدام كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ مع الرجفة، كما في آيتي سورة الأعراف.

٢ـ ولم ترد في القرآن الكريم كلمة﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة، ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ بالجمع في سورة الأعراف في قصة نوح الآية ٦٢ وهود الآية ٦٨ وشعيب الآية ٩٣، بينما أفرد في قصة صالح آية ٧٩ فقال: ﴿رِسَالَةَ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٢.

السؤال الثاني:

في سورة الأعراف: لماذا جاء في آية الأعراف ٧٩ قوله تعالى: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ في قصة سيدنا صالح، وجاءت بالجمع: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ مع باقي الرسل في الآيات[٦٢ـ ٦٨ـ ٩٣] في قصص نوح وعاد وشعيب على الترتيب، وجاءت ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ في قصة موسى عليه السلام في الآية ١٠٥؟

الجواب:

١ـ في قصة صالح عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ جاءت ﴿رِسَالَةَ﴾ بالإفراد.

و نجد فيها أنّ الكلام في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ فهناك معجزة، وهي الناقة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ .

وفي هذا تحذير من الله عز وجل بشأن هذه الناقة إلى قوم صالح أنه إذا مسستموها بسوء سيأخذكم عذاب أليم، فالكلام ليس عن الرسالة التي هي الشريعة والدين، وإنما المقصود بالرسالة في الآية هو التحذير من قتل الناقة، فهذه هي الرسالة (أحذّركم من أنْ تقتلوا الناقة) ولكنهم قتلوها فوقع عليهم العذاب،.

إذن هي ليست الرسالة السماوية ولو كانت الرسالة السماوية لقال (رسالات)، كما جاءت عند الأنبياء الآخرين بمعنى مفردات الأوامر والنواهي؛ لأنّ كل أمر هو رسالة.

٢ـ وعندما ننتقل إلى بقية ذكر الرسل الآخرين نجد الآيات على ألسنة أنبياء:

أ ـ الأولى على لسان نوح، هم قالوا: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف:٦٠] فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف:٦١-٦٢] أي هذه الجزئيات.

ب ـ والثاني على لسان هود: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف:٦٨].

ج ـ والثالثة على لسان شعيب: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف:٩٣].

فعندما يستعمل كلمة (رسالات) يعني الدين أو الشريعة بهذه الجزئيات المتعددة والمتفرقة، والرسالة كانت لقضية واحدة ولتحذير واحد.

٣ـ ورد على لسان موسى عليه السلام في الآية ١٠٥ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ وفيها قراءتان: (حقيقٌ عليّ)، وهذه قراءة سبعية، و(حقيقٌ على أنْ لا أقول) هذه قراءة جمهور القرّاء، والكلام من موسى إلى فرعون ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥].

أ ـ موسى عليه السلام عاش في بيت فرعون مدة طويلة، وفرعون كان يقول لهم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩] و ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] ومن حوله يقولون ما قاله، وهو من صغره لم يكن يعلم هذه المقولة ولكنها قيلت له.

ب ـ فرعون يعلم أنه ليس ربّاً؛ لأنه لا يملك أن يصنع شيئاً كما يفعله الربّ سبحانه وتعالى، فيعلم أنّ من حوله يكذبون، وموسى عليه السلام يعلم أنّ من حول فرعون زمرة تعيش بالكذب على فرعون ويكذبون عليه.

ج ـ فرعون يتعامل مع السحرة ويعلم أنهم يكذبون وموسى يعلم أنهم يكذبون.

د ـ وعندما نأتي إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ [الأعراف:١٢٣] وفي قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الشعراء:٤٩] فرعون يعلم أنّ موسى ليس كبير السحرة؛ لأنّ موسى نشأ في بيت فرعون، لكنه يريد أنْ يشيع كلمة يخرج بها إلى الناس، وهي أنه حدثت مؤامرة على فرعون من كبير السحرة موسى والسحرة تلامذته فخدعوا فرعون؛ ولذلك سيقتص منهم.

هـ - وموسى عليه السلام يعلم أنّ هذا الرجل محاط بكذابين ويعتقد أنّ كل من يكلمه كذاب؛ لذلك لا بدّ أنْ ينبههم، فكلمة ﴿حَقِيقٌ﴾ بمعنى: جدير وخليق بي أنْ لا أقول على الله إلا الحق، وإنني إنسان صادق ولست كالذين يكذبون عليك، فكان من الضروري أنْ ينبههم إلى أنه هو إنسان صادق، ليس كهؤلاء الذين يحيطون به.

و ـ فالقضية هنا ليست قضية (إني جئت مرسلاً)، وإنما أنا صادق في قولي ورسول من رب العالمين.

ز ـ لاحظ رسالة موسى عليه السلام كم هي محدودة، ولذلك فاليهود إلى الآن لا يرضون أنْ يدخل أحد في دينهم، وكذلك رسالة عيسى عليه السلام (إنما جئت لهداية الخِراف الضالة من بني إسرائيل)، فرسالته محصورة ببني إسرائيل، ثم هم أخرجوه.

والرسالة العالمية الوحيدة هي رسالة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكل رسالة موسى عليه السلام هي: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٧﴾ [الشعراء:١٧] فقط.

❁❁❁❁

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين العوالم والعالمين ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٢.

السؤال الثاني:

لماذا صرفت كلمة ﴿لُوطٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

صرف (لوط) ومن قبل(نوح)؛ لخفته، فإنه مركب من ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط.

السؤال الثالث:

إن قيل: كيف يجوز أن يقال: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ مع أنّ الشهوة داعية إلى ذلك العمل أبداً؟

الجواب:

أ ـ الكثير يستقذر ذاك العمل؛ فلذلك لا يبعد انقضاء كثير من الأزمنة بحيث لا يقدم أحد على هذا العمل.

ب ـ لعلّهم بكليتهم أقبلوا على هذا العمل، والإقبال بالكلية مما لم يوجد في العصور السابقة.

السؤال الرابع:

تكررت لفظة ﴿مِنْ﴾ مرتين في الآية، فماذا تفيد في كلٍ منهما ؟

الجواب:

كلمة ﴿مِنْ﴾ الأولى تفيد التوكيد والاستغراق، و ﴿مِنْ﴾ الثانية للتبعيض.

❊❊❊❊

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأعراف ٨٢ في قصة لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾ وقال في آية العنكبوت ٢٩: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ ولفظة ﴿إِلَّآ﴾ للحصر، فكيف الجمع بينهما ؟

الجواب:

لعلّ ذلك في مجالس متعددة، ففي مجلس اختصر بذكر إتيان الفاحشة

فناسب ذكر ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ كيلا يعيب عليهم.

وفي مجلس آخر عدّد ذنوبهم فناسب مطالبتهم بسخرية (بإتيان العذاب) عليها فحصر الجواب في كل مجلس بما ذُكر فيه وناسبه.

وقد يكون أنّ الجوابين من طائفتين فلم تجيبا إلا بما ذُكر عنهما. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية العنكبوت ﴿نَادِيكُمُ﴾ ما النادي؟ وما دلالة ذكره هنا في الآية؟

الجواب:

النادي هو مكان اجتماع الناس من الفعل (ندا القوم) أي: دعاهم إلى الاجتماع في مكان ما، و(تنادوا) أي: كلٌّ نادى صاحبه، ومنه دار الندوة.

وكأنّ الله تعالى يريد أنْ يرينا مجاهرة قوم لوط بالفاحشة بحيث يمارسونها مجاهرة في النادي أمام بعضهم، مثل نوادي العراة في البلاد الغربية، وفي هذا إظهار لمدى الجرأة في مجاهرتهم بإتيان الذكور وهي الفاحشة التي ابتدعوها ما سبقهم بها من أحد من العالمين، فاستحقوا العذاب من الله سبحانه.

السؤال الثالث:

قال في آية الأعراف ٨٢: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالواو، وفي آية النمل ٥٦ بالفاء فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾، فلماذا؟

الجواب:

هاتان الآيتان في قوم لوط، لكنه قال في آية الأعراف ٨٢ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ وفي آية النمل جاء بالفاء فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ ممّا يدل على أنّ الجواب في سورة النمل كان أسرع منه في آية الأعراف وسياق كل من الآيتين يقتضي ما ذكر:

قال في الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ .

وقال في سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

من النظر في الآيات نجد أنّ الإنكار والتقريع في سورة النمل أشد منه في سورة الأعراف، يدل على ذلك عدة أمور منها:

١ـ قوله في الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ وفي النمل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ بإدخال همزة الاستفهام الدالة على الإنكار والتوبيخ.

٢ـ قوله في الأعراف: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ وفي النمل: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ والوصف بالجهل فيه زيادة تقريع؛ لأنّ نسبة الإنسان إلى الإسراف أهون عليه من نسبته إلى الجهل، فإذا قلت لشخص: أنت مسرف في هذا الأمر، كان أهون عليه من

قولك له: أنت جاهل؛ ولذلك بادروا بالرد عليه بسرعة ولم يتريثوا؛ لأنه أغاظهم في الكلام في سورة النمل أكثر مما أغاظهم في سورةالأعراف، فجاء بـ(الفاء) في آية النمل.

٣ـ ومما يدل على شدة غيظهم ذكر اسمه صراحة في النمل: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ بخلاف الأعراف فقد جاؤوا بالضمير ﴿أَخْرِجُوهُم﴾.

٤ـ وقد تقول: وهل هناك تناقض بين القولين والقصة واحدة ؟

والجواب: لا؛ وذلك لأن الواو لا تناقض الفاء فإن الواو لمطلق الجمع، فقد يكون ما بعدها واقعاً في عقب ما قبلها، وقد يكون متأخراً عنه وقد يكون متقدماً عليه، وأما الفاء فتفيد الترتيب، فهي تفيد أحد معاني الواو، فذكر معنى الترتيب والتعقيب في النمل؛ لأنّ الموطن يقتضيه وأطلق ذلك في الأعراف؛ لأنّ الموطن لا يقتضي التعقيب.

كما يمكن أنْ يقال: إنّ النصيحة تكررت من لوط في أزمنة مختلفة وبأساليب مختلفة، فيمكن أنه قال بعضها بصيغة أشد من الأخرى، وذلك كلما تكررت الدعوة وتكررت النصيحة كان ذلك مدعاة إلى المبالغة في القول والنصيحة، وكل ذلك جائز. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في امرأة لوط: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر:٦٠] وقوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] وقوله ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف:٨٣] ؟

الجواب:

١ـ في آية الحجر كان الكلام على لسان الملائكة: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١﴾ [الحِجر:٥١] وضيف إبراهيم الملائكة ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢﴾ [الحِجر:٥٢]، و الجو الذي جاء فيه الملائكة كان فيه وجل ورهبة، قالوا: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٥٣﴾ [الحِجر:٥٣] قال: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾ [الحِجر:٥٤] إذن عنده نوع من التشكك. ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝٥٥﴾ [الحِجر:٥٥] أي: لا تيأس من رحمة الله، ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦﴾ [الحِجر:٥٦] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحِجر:٥٧-٥٨-٥٩-٦٠].

لاحظ التأكيدات وإبراهيم عليه السلام يحتاج عندها لمؤكدات؛ لأنه وجلٌ وشاكٌّ من الملائكة، ثم جاءت الآية: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحِجر:٦٠] تأكيد بإنّ وباللام. وهذا هو من كلام الملائكة، ولاحظ كلمة ﴿قَدَّرْنَا﴾ وهم لا يقدّرون؛ لأنهم وسيلة تنفيذ قدر الله سبحانه وتعالى فرخصوا لأنفسهم أن يقولوا: (قدّرنا) ولكن ما قالوا: (قدرناها) ولم يربطوا الضمير بالتقدير: (بأنفسهم)؛ لذلك أبعدوها مع وجود إنّ المؤكدة.

٢ـ آية النمل هي من كلام الله سبحانه وتعالى المباشر في سورة النمل: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۝٥٦ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل:٥٦-٥٧].

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ [النمل:٥٧] خبر، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل:٥٧] ما قال: (قدرنا إنها) وما أبعدها وما احتاج إلى تأكيدات؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأمر: وهو أنّ قوم لوط أجابوا بهذه الإجابة، فالله سبحانه وتعالى أنجاه وأهله إلا امرأته قدّرها رب العزة من الغابرين.

وانظر كيف ربط الضمير بالفعل مباشرة ولم يبعده ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ [النمل:٥٧]؛ لأنّ هذا قدره سبحانه وتعالى، فما احتاج إلى إبعاده. و(الغابرين) قالوا بمعنى الهالكين.

ولمّا قال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل:٥٨] فانتهى الكلام على ذكر الأمم، وكانت النهاية ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل:٥٩] فلم يذكر أمة أخرى وراءها.

٣ـ آية الأعراف ٨٣ ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف:٨٣]. الله سبحانه وتعالى يحكي لنا ما حدث ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف:٨٢-٨٣].

هناك ﴿ قدرناها من الغابرين﴾ وانتهى الكلام عن الأمم، لكنَّ الكلام هنا كأنه كلام تاريخي، والكلام التاريخي يصلح معه ﴿كَانَ ﴾ [الأعراف:٨٢].

لأنه ذكر كلاماً تاريخياً فقال: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف:٨٣-٨٤] فاستعمل ﴿كَانَ ﴾.

فعندما يكون الكلام عن جانب تاريخي يستعمل ﴿كَانَ﴾ وأمّا عند الحديث عن قدرة الله عز وجل يستعمل كلمة (قدّرنا) والله سبحانه وتعالى أعلم.

❊❊❊❊

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (المطر والغيث) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

ـ المطر:

ذُكر في القرآن ٦ مرات وجميعها في موضع الانتقام، كما في الآيات:

[الشعراء ١٧٣ ـ النمل ٥٨ ـ الفرقان ٤٠ ـ الأحقاف ٢٤ ـ الأعراف٨٤]

ـ الغيث:

ذُكر في القرآن ٤ مرات وجميعها في موضع الخير، كما في الآيات: [الشورى ٢٨ ـ يوسف ٤٩].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿عَاقِبَةُ﴾ هل تستعمل في القرآن بالتذكير أو التأنيث ؟

الجواب:

إذا قصدنا باللفظ المؤنث معنى المذكر جاز تذكيره، وهو ما يسمى (الحمل على المعنى):

١ ـ ومثال ذلك أنه في كل مرة يأتي بكلمة الضلالة أو العاقبة بالتذكير تكون الضلالة أو العاقبة بمعنى (العذاب) ويكون الكلام عن الآخرة؛ لأنه ليس في الآخرة ضلالة والأمور كلها تتكشف في الآخرة.

٢ ـ وعندما تكون الضلالة أو العاقبة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا وتكون بمعناها المؤنث.

* شواهد قرآنية على كلمة الضلالة:

ـ في آية الأعراف ٣٠ ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ﴾ جاءت كلمة الضلالة بالتذكير؛ لأنّ معنى الضلالة هنا هو العذاب، والكلام هو في الآخرة ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾

ـ في آية النحل ٣٦ ﴿حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ جاءت كلمة الضلالة بالتأنيث على معناها المعتاد والكلام هو في الدنيا.

٣ـ كلمة العاقبة: لها معنيان: العذاب أو الجنة.

وفي كل القرآن إذا ذُكّر الفعل مع العاقبة تكون بمعنى (العذاب)، وإن أُنّث الفعل مع العاقبة تكون بمعنى (الجنة).

* شواهد قرآنية على كلمة العاقبة:

في الآيات: [الأنعام ١١ ـ يونس ٧٣ ـ الأعراف ٨٤ ـ الصافات ٧٣]. المقصود بالعاقبة هنا محل العذاب، فجاء الفعل مذكراً.

وأما في الآيات: [القصص ٣٧ ـ الأنعام ١٣٥] العاقبة بمعنى الجنة، فجاء الفعل بالتأنيث.

❁❁❁❁

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين البخس والنقصان ؟

الجواب:

البخس هو النقص بظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي: لا تنقصوهم ظلماً، وأما النقصان فيكون بالظلم وغيره. والله أعلم.

السؤال الثاني:

لماذا ترد أحيانا ﴿أَخَاهُمْ﴾ مع شعيب عليه السلام، كما في آية الأعراف ٨٥، وهود ٨٤ والعنكبوت ٣٦ وأحيانا لا ترد كما في آية الشعراء ١٧٦؟

الجواب:

١ـ من مراجعة الآيات نجد أنه حيثما ذُكِرت الرسالة وأنّ شعيباً مرسل إلى قومه يقول: أخوهم، فيذكر الأخوّة عندما يتحدث عن الرسالة، كأنما فيها إشارة إلى أنّ واجبه معهم ورعايته لهم بحكم أنه أخوهم يريد لهم الخير، وإذا لم يذكر الرسالة لا يقول (أخوهم).

فهذه هي القاعدة العامة، حيثما ذكر الإرسال قال: ﴿أَخَاهُمْ﴾ وفي غير ذلك ذكر الاسم مجرّداً.

٢ـ ذُكر شعيب في القرآن إحدى عشرة مرة في عشر آيات، وذُكر الإرسال في ثلاثة مواضع، وهي:

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف:٨٥].

- ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود:٨٤].

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت:٣٦].

وفي ثمانية مواضع لم يُذكر الإرسال، فذكر الاسم مجرّداً:

- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف:٨٨].

- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأعراف:٩٠].

- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف:٩٢].

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود:٨٧].

- ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود:٩١].

- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود:٩٤].

- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الشعراء:١٧٧].

وليس في هذه المواضع كلام عن الرسالة، فهنا في هذه الآيات الثماني ليس فيها ذكر للرسالة وليس فيها ذكر للأخوّة، وهذا مضطرد في القرآن، برغم أن القرآن نزل منجما، وهذا من دلائل النبوة نبوة محمد ﷺ.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية آل عمران ٩٩ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ وفي آية الأعراف٨٦ ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ بزيادة (الواو)، فلماذا؟

الجواب:

في آية آل عمران جملة ﴿تَبْغُونَهَا﴾ حال من الضمير (تصدون) أو (من السبيل)، وإذا كان الفعل حالاً لا يدخله الواو.

وأما في آية الأعراف، فهي جملة معطوفة على جملة، ولذلك كانت ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾، كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون.

❁❁❁❁

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة لفظة ﴿فَٱصْبِرُوا﴾ في الآية ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾ لتنفع في التعبير عن الأمر بالصبر للذين آمنوا تأنيساً لهم، ونفعت في كشف المصير الذي ينتظر الذين لم يؤمنوا تهديداً لهم.

فصبر المؤمنين يقودهم إلى الجنة، وصبر الكافرين، إمّا أن يخجلوا من أنفسهم فيؤمنوا وإمّا أن يجدوا العذاب.

❊❊❊❊

﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ (٨٩)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم الجار والمجرور في آية الأعراف، فقال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ ؟

الجواب:

١ ـ قدّم الجار والمجرور في آية الأعراف ٨٩ فقال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ للدلالة على الاختصاص؛ وذلك لأنّ التوكل لا يكون إلا على الله وحده، والإنابة ليست إلا إليه وحده.

٢ ـ وفي آية الملك ٢٩ قدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ وقدّم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وذلك أنّ الإيمان لمّا لم يكن منحصراً في الإيمان بالله فقط، بل لا بدّ معه من الإيمان بالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر وغيره مما

يتوقف عليه صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين، لذلك قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأنّ غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه.

❁❁❁❁

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آيتي الأعراف ٧٨ و ٩١: ﴿دَارِهِمْ﴾ بصيغة الإفراد، بينما قال في آيتي هود ٦٧ و ٩٤: ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ بالجمع، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الصيحة: هي أشمل وأهم من الرجفة؛ لذا تصيب عدداً أكبر، حيث إنّ الصوت يمتد أكثر من الرجفة، ولهذا تؤثر في ديار عديدة، لذا جاء استخدام كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ [هود:٦٧] مع الصيحة، كما في آيتي سورة هود.

أمّا الرجفة فيكون تأثيرها في مكانها فقط؛ لذا جاء استخدام كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ [الأعراف:٧٨] مع الرجفة، كما في آيتي سورة الأعراف.

٢ـ ولم ترد في القرآن الكريم كلمة ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالصيحة ولم ترد كلمة ﴿دَارِهِمْ﴾ إلا مع العذاب بالرجفة.

٣ـ لذلك ترى أنه حيث ذكر (الصيحة) (جمع الدار) وحيث ذكر (الرجفة) وهي الزلزلة الشديدة (أفرد الدار)؛ وذلك لأنّ الصيحة تبلغ أكثر مما تبلغ الرجفة، فالرجفة

تختص بجزء من الأرض، أمّا الصيحة فإنما يبلغ صوتها مساحة أكبر من مساحة الرجفة، فلذلك وحّد مع الرجفة وجمع مع الصيحة، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ بالجمع في قصة نوح الآية ٦٢ وهود الآية ٦٨ وشعيب الآية ٩٣، بينما أفرد في قصة صالح الآية ٧٧ فقال: ﴿رِسَالَةَ﴾ فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٢.

❁❁❁❁

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنعام ٤٢: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ وفي آية الأعراف ٩٤ ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ بالإبدال والإدغام، فما السبب ؟

الجواب:

١ ـ قال في الأنعام: ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ وفي الأعراف ﴿فِي قَرْيَةٍ﴾ والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلمّا طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾، ولمّا كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ فجاء بما هو أقصر في البناء.

٢ ـ استعمل في الأنعام ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ﴾ وفي الأعراف ﴿أَرْسَلْنَا فِي﴾ والإرسال إلى شخص ما رسالة يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، وأمّا الإرسال في القرية فإنه يقتضي التبليغ والمكث، فإن ﴿فِي﴾ تفيد الظرفية وهذا يعني بقاء النبي بينهم يبلغهم ويذكرهم بالله ولا شك أنّ هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه. فجاء بالصيغة الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها.

السؤال الثاني:

ما البأساء والضراء ؟

الجواب:

البأساء: لغة هي الشدة عموماً والمشقة والبؤس والفقر والحرب، ولكنّ أكثر ما تستعمل في الأموال والأنفس.

الضراء: لغة تكون للمرض في الأبدان وما يصيب الأموال.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قول «فتح الله لك» وليس «فتح الله عليك»؟

الجواب:

يقال: (فتح لك) وفتح عليك، لكنّ (فتح عليك) يكون من فوق وقد يكون في الخير والشر.

* شواهد قرآنية:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر:١٤].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون:٧٧].

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة:٧٦].

إذن (فتح الله عليك) تأتي في الخير والشر بحسب ما يُبين الداعي أو المخبر أو ينويه، لكن تأتي من فوق. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين(الفاء والواو) العاطفتين في بعض آيات القرآن في سورة:

(الأعراف ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠)؟

الجواب:

١ـ الفاء كما هو معلوم للتعقيب مع السبب، والتعقيب معناه أنْ يأتي بعدها مباشرة في عقب الشيء. والفاء تفيد التعقيب وتأتي للسبب، أي سببية نحو: درس فنجح.

٢ـ أما الواو فهي لمطلق الجمع وليس فيها سبب ولا يدل على ترتيب أو تعقيب كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الشورى:٣].

٣ـ الآية ٩٧ ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأعراف:٩٧]. جاء بالفاء، لأننا نلاحظ قبلها قال: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] أفأمن أهل القرى هذا سبب، ولمّا قال: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ ينبغي أنْ لا يأمن الإنسان للظالم.

٤ـ الآية بعدها ٩٨ عطف ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ هذا عطف على سبب، وليست الأولى سبباً للثانية.

٥ـ الآية ٩٩ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ هذا سبب على مجموع الأمرين السابقين فبدأت بالفاء.

٦ـ الآية ١٠٠ ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ليس فيها تعقيب فجاء بالواو.

٧ـ الفاء تدل على التعقيب والترتيب والسبب، فإذا كان ما قبلها سببا لما بعدها يؤتى بالفاء وإذا كان مجرد العطف مطلقاً يأتي بالواو.

❁❁❁❁

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾

السؤال الأول:

لقد أَمِنَ الأنبياءُ مكرَ الله باصطفائهم للرسالة، وهناك من يسأل: كيف إذن لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ؟

الجواب:

لقد جاء في منهج الرسل جميعاً أنّ الذي يأمن مكر الله هو الخاسر، والله هو الذي أنزل المنهج للإنسان ليختار به كسب الدنيا والآخرة إنْ عمل به، وإنْ لم يعمل به فسوف يخسر طمأنينة الإيمان في الدنيا حتى وإنْ كسب فيها مالاً أو جاهاً أو علماً، ويخسر الآخرة كذلك فهو إذن أخسر الخاسرين؛ لأنه أوقع نفسه في الدنيا في الضرر وفي الآخرة في أشد العذاب.

والمكر هو الالتفاف أو الخداع فلا تكون المسائل واضحة، وبنسبته إلى الله يكون المراد به استدراجه العبد العاصي حتى يهلكه في غفلته.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأعراف ١٠٠: ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ بدون لام التوكيد، وقال في آية الزخرف ٦٠: ﴿لَجَعَلْنَا﴾ مع لام التوكيد، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

٢ـ وهنا قال في الأعراف ١٠٠: ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ بدون لام التوكيد، وقال في الزخرف ٦٠: ﴿لَجَعَلْنَا﴾ مع لام التوكيد، والسبب:

أنه نزع اللام من آية الأعراف؛ لأنّ فعلها أيسر من الآية الثانية، فأكّد ما هو أعسر وأشق وإنْ لم يكن على الله شيء عسير.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين نسبة الرسل إلى الله تعالى في الآية ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة:٣٢] ونسبتهم إليهم في الآية ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف:١٠١] ؟

الجواب:

عندما يذكرالقرآن الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: رسلنا، وعندما يتكلم بما يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: رسلهم. نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة:٣٢] هذه جاءت عن الله تعالى، وذكر فيها أحكام.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف:١٠١] وهنا يتكلم عن موقف القوم من الرسل حيث كان عليهم أنْ ينتفعوا بالرسل، لكن عندما يتكلم القرآن

عما جاء به عن الله تعالى يقول: (رسلنا) وعندما يذكر موقفهم وما أصابهم وكان يمكن الانتفاع بهم يذكر (رسلهم) أي: جماعتهم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (جاء) و(أتى) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

السؤال الثالث:

لماذا حذف (الباء) من آية الأعراف ١٠١ ﴿كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾، وذكرها في آية يونس ٧٤ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ؟

الجواب:

١ـ الإطلاق هو سياق الأعراف، والتخصيص هو سياق سورة يونس، فأطلق التكذيب ولم يذكر (بما كذبوا) في الأعراف، بينما ذكر سياق التكذيب في يونس، فقال: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس:٧٣].

٢ ـ في الأعراف قال: ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم﴾ [الأعراف:٩٦] وقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:١٠١] فلم يذكر (بما كذبوا) في الموطنين.

٣ ـ في يونس قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس:٧٣] وقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:١٠١] فذكر (ما كذبوا به) في الموطنين، فاستدعى كلُّ سياق ما ورد من ذكر وحذف.

٤ ـ بعد كل من الآيتين: انظر إلى آية الأعراف ١٠٣ وآية يونس ٧٥، حيث ذكر في الأعراف أنه بعث موسى، وفي يونس أنه بعث موسى وهارون، فزاد ذكر ﴿وَهَٰرُونَ﴾ فانظر أنه لما زاد ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في الآية ٧٣ زاد ﴿بِهِۦ﴾ في الآية ٧٤ وزاد ﴿وَهَٰرُونَ﴾ في الآية ٧٥.

٥ ـ جاء في كتاب «البرهان» للكرماني: أنّ أول القصة في سورة الأعراف في الآية ٩٦ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ ثم قال في نفس الآية: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ وليس بعدها الباء فختم القصة بمثل ما بدأ به.

وفي سورة يونس بدأها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ فختم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾ بمثل ذلك.

❁❁❁❁

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

السؤال الأول:

قارن بين قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف والقصة نفسها في الشعراء.

الجواب:

أولاً ـ هناك ملاحظة عامة، وهي أنّ جميع السور التي يبدأ مطلعها بالحروف المقطعة بحرف الطاء – وهي أربع سور– تكون قصة موسى عليه السلام هي أول قصة فيها.

كما أنّ السورة التي تبدأ بالأحرف المقطعة ويكون آخرها حرف الميم تكون قصة موسى فيها مفصلةً الأحداث أكثر من الأخرى. انظر الجدول التالي:

السورة	مطلع السورة	صفة أحداث قصة موسى
طه	﴿طه﴾	تفصيل أقل
الشعراء	﴿طسٓمٓ﴾	تفصيل أكثر
النمل	﴿طسٓ﴾	تفصيل أقل
القصص	﴿طسٓمٓ﴾	تفصيل أكثر

وبالتالي فإن سورة الشعراء هي من السور التي تضمنت موضوع قصة موسى عليه السلام بشكل مفصل، وهي تحمل السمتين البارزتين التاليتين:

آ ـ التفصيل في سرد الأحداث.

ب ـ قوة المواجهة والتحدي.

أمّا القصة في سورة الأعراف، فقد بنيت على الاختصار من ناحية، كما أنه ليس فيها قوة المواجهة التي في الشعراء.

ثانياً ـ استعراض الآيات:

آيات الأعراف: ١٠٣ـ١٢٦:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ
(١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ
جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ

وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا
إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ
عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ
إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا
مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾.

آيات الشعراء: ١٠ـ٥١:

﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ
﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ
فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ

حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ
وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ
﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ
أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

ثالثاً: ما يعنينا هنا هو ذكر الجانبين المتشابهين وما بينهما من أوجه التشابه والاختلاف في التعبير بين القصتين بحسب السياق الذي وردت فيه.

انظر الجدول التالي:

مسلسل	سورة الأعراف	سورة الشعراء
١	﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف:١٠٩]	﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الشعراء:٣٤]
٢	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف:١١٠]	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشعراء:٣٥]
٣	﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ [الأعراف:١١١]	﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ [الشعراء:٣٦]
٤	﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ [الأعراف:١١٢]	﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ [الشعراء:٣٧]
٥	﴿قَالُوٓاْ﴾ [الأعراف:١١٣]	﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء:٤١]

٦	﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف:١١٣]	﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء:٤١]
٧	﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف:١١٤]	﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء:٤٢]
٨	—	﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء:٤٤]
٩	﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف:١٢٠]	﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء:٤٦]
١٠	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ﴾ [الأعراف:١٢٣]	﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ﴾ [الشعراء:٤٩]
١١	—	﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الشعراء:٤٩]
١٢	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف:١٢٣]	﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء:٤٩]
١٣	﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف:١٢٤]	﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء:٤٩]
١٤	﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف:١٢٥]	﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشعراء:٥٠]

رابعاً ـ الملاحظات حول النقاط المبينة أعلاه بحسب رقم المسلسل:

١ـ في الأعراف القائلون هم ملأ فرعون في حين القائل في الشعراء هو فرعون نفسه لبيان زيادة غطرسته.

٢ـ زاد في الشعراء كلمة ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ لمناسبة مقام التفصيل فيها وللتأكيد على السحر.

٣ـ قال في الأعراف ﴿وَأَرْسِلْ﴾ وفي الشعراء ﴿وَٱبْعَثْ﴾ والبعث فيه معنى الإنهاض والإرسال، فكان طلب فرعون من يبعث؛ ليثير المجتمع على الإثارة والتهييج.

٤ـ قال في الأعراف: ﴿سَٰحِرٍ﴾ وفي الشعراء: ﴿سَحَّارٍ﴾ بصيغة المبالغة لتتناسب مع المبالغة في التحدي وغضب فرعون واندفاعه للنيل من موسى.

للعلم ذكرت لفظة (السحر) في الشعراء عشر مرات وفي الأعراف سبع مرات، وهذا يتناسب مع جو كل سورة.

٥ـ ذكر في الشعراء أنهم قالوا لفرعون، ولم يذكر في الأعراف أنهم قالوا له ليتناسب مع السياق، حيث إن فرعون تولى هذه المهمة بنفسه، فناسب ذلك أنْ يواجهوا فرعون بالقول بخلاف ما في الأعراف.

ولا يفهم من هذا أنّ ثمة تناقضاً بين الموقفين، فقد قال فرعون هذا القول ورده ملؤُه، فذكر القول عنه مرة وذكره عن الملأ مرة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق.

٦ـ حذف همزة الاستفهام في الأعراف وذكرها في الشعراء، وذلك لمّا كان المقام مقام إطالة ومبالغة في المحاجّة جيء بهمزة الاستفهام لتشترك في الدلالة على قوة الاستفهام والتصريح به.

٧ـ زاد كلمة ﴿إِذًا﴾ في الشعراء؛ لتدل على قوة الوعد وتوكيده، ثم إنّهم لّما أكّدوا السؤال بزيادة الهمزة في الشعراء أكّد لهم الجواب بذكر ﴿إِذًا﴾.

٨ـ أقسم السحرة بعزة فرعون في الشعراء، ولم يقل مثل ذلك في الأعراف، ذلك أنّ المقام في الشعراء مقام الانتصار لعزة فرعون في مواجهته لموسى، وذكر هنا الحبال والعصي في الشعراء، وهو المناسب لمقام التفصيل فيها، ولم يذكر ذلك في الأعراف؛ لأنّ المقام مقام إجمال.

٩ـ ثم انقلب المشهد مباشرة من غير مهلة بعد تأكيد الوعود من فرعون وتمنية السحرة بالقربى منه والقسم بعزته ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

وهذا المشهد هو المناسب لقوة التحدي، فإنّ سرعة النصر الحاسم بعد قوة التحدي هو المناسب لمثل هذا المقام.

في حين لا تجد مثل هذا التعقيب في الأعراف ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

١٠ـ ولا ندري كم مضى من الوقت بين انقلابهم صاغرين وسجودهم، فإنه جاء بالواو في الأعراف ﴿وَأُلْقِيَ﴾ والواو لا تفيد التعقيب، وجاء بالفاء التي تفيد التعقيب في الشعراء ﴿فَأُلْقِيَ﴾، لأنّ الموقف يتطلب ذلك.

وليس ثمة تناقض بين القولين؛ فإن الفاء لا تناقض الواو، وإنما هي واقعة في أحد أزمنتها المحتملة.

١١ـ قال في الأعراف: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ وفي الشعراء ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ والضمير ﴿بِهِۦ﴾ يعود على الله، وفي ﴿لَهُۥ﴾ يعود على موسى؛ وذلك أنّ موسى أغضبه في الشعراء أكثر مما في الأعراف، فذكره في الشعراء ولم يذكره في الأعراف.

١٢ـ قال في الشعراء: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ ، ولم يقل مثل ذلك في الأعراف، وهذا يدل على شدة غضب فرعون من موسى.

١٣ـ قال في الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بزيادة اللام ليؤكد تهديده، وذلك لأنّ الموقف موقف غضب زائد.

١٤ ـ قال ﴿ثُمَّ﴾ في الأعراف، أي: أعطاهم مهلة؛ لأنّ (ثم) تفيد التراخي، ولم يعطهم مهلة في الشعراء؛ وذلك لزيادة غضبه واحتراق قلبه.

١٥ـ زاد في الشعراء كلمة ﴿لَا ضَيْرَ﴾ وهو المناسب لمقام التفصيل ومناسب للرد على مقام التهديد الشديد من فرعون ليبينوا لفرعون أنهم أقل اكتراثاً حتى من تهديده الكبير.

وقد تقول: لماذا لم يذكروه في الموطنين ؟

والجواب: أنّ ذكره في الموطنين مخل بالإيجاز في سورة الأعراف التي بنيت القصة فيها على الاختصار، وذكرها في الشعراء؛ لأنّ القصة فيها مبنية على التفصيل.

وغني عن القول إنّ اختيار الألفاظ والعبارات كان مقصوداً لخدمة الناحية الفنية في أدق معانيها وأكمل صورها، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ في آية الأعراف ١٠٥ ؟ ولماذا لم يذكر الرسالة هنا ؟

الجواب:

١ـ في الآية الكلام من موسى عليه السلام إلى فرعون.

٢ـ موسى عليه السلام عاش فترة طويلة في بيت فرعون، وكان فرعون يدعي الألوهية ويعرف هو بنفسه أنه ليس رباً وأنّ كل من حوله يكذبون عليه بمن فيهم السحرة، وفرعون يعرف موسى وأنه ليس من السحرة وليس كبيرهم، ولكنه يريد أنْ يشيع كلاماً يخرج به إلى الناس، وهو أنه حدثت عليه مؤامرة من كبير السحرة موسى والسحرة تلامذته؛ ولذلك سيقتص منهم.

٣ـ وموسى عليه السلام يعلم أنّ فرعون يعيش بالكذب ومحاط بالكذب فأراد أنْ ينبهه على وضعه فقال: ﴿حَقِيقٌ﴾ أي: أنه إنسان صادق ليس كهؤلاء الذين يحيطون به، والقضية هنا ليست قضية الرسالة، وإنما: أنا صادق في قولي ورسول من رب العالمين إلى

بني إسرائيل، فرسالته ورسالة عيسى عليهما السلام محدودتان محصورتان في بني إسرائيل، وكانت رسالة موسى إلى فرعون فقط ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء:١٧]

٤ـ هناك قراءتان ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ ﴾ وهي قراءة سبعية، والأخرى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وهي قراءة جمهور القراء. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأعراف ١٠٥ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾، بينما قال في آية طه٤٧ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ [طه:٤٧]، فلماذا ؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف١٠٥: الكلام فيها على لسان موسى عليه السلام وحده، فقال: ﴿مَعِىَ﴾.

٢ـ في آية طه٤٧: المرسل فيها موسى وهارون عليهما السلام، فقال: ﴿مَعَنَا﴾.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ متى تكتب: (أن لا) منفصلة؟ ومتى تكتب متصلة:(ألا)؟

الجواب:

قاعدة الوصل والفصل ليست باتفاق المصاحف، فهناك قسم متفق على فصله، وآخر متفق على وصله، وقسم ثالث مختلف عليه.

لفظة (ألاّ):

توصل ألاّ: في جميع القرآن إلا في عشرة مواضع بالاتفاق، وهي:

[الأعراف ١٠٥ و ١٦٩ـ التوبة ١١٨ـ هود ١٤ و ٢٦ـ الحج ٢٦ـ يس ٦٠ـ الدخان ١٩ـ الممتحنة ١٢ـ القلم ٢٤].

السؤال الرابع:

قوله تعالى في الآية ﴿حَقِيقٌ﴾ ما كلمات منظومة أنّ الأمر قد وقع وثبت ؟

الجواب:

الكلمات هي:

لا جرم:

هي بمعنى حقاً وأنّ الأمر ثبت، ولكنه وعيد بالمستقبل، أي: أنّ الوعد ليس ناجزاً الآن، بل في المستقبل:[هود ٢٢ـ النحل ١٠٩].

حق:

عندما ينفذ الوعيد أي حق العذاب ولا مجال لهروب الكافر:[الصافات ٣١ـ ص ١٤ـ يس ٧].

حاق:

بمعنى (أحاط)، وتعني الشدة في تنفيذ الأمور، كما في الآية: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر:٤٥]

حقيق: وتعني التأكيد على شيء ثابت مقرر، وهي من مشتقات كلمة (حقَّ): [الأعراف ١٠٥].

وجب: بمعنى: حقه أنْ يوجد، ومنه قول الفقهاء: الواجب، أي: إذا لم يفعله يستحق العذاب: [الحج ٣٦].

لزم: تدل على طول المكث والمدة:[الفتح ٢٦ـ طه ١٢٩].

❋❋❋❋

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ورد في القرآن الكريم ذكر عصا موسى عليه السلام بأوصاف مختلفة مرة بالجان ومرة بالثعبان ومرة بالحية، فما الفرق بينها؟

الجواب:

المعاني اللغوية:

١ـ الجان: هو فرخ الحية خفيفة سريعة الحركة تتلوى بسرعة.

٢ـ الثعبان: هو الحية الطويلة الضخمة الذَّكَر.

٣ـ الحية: عامة في غلظها وطولها، وتشمل الصغيرة والكبيرة، فالثعبان حية، والجان حية.

طريقة الاستعمال في القرآن:

أ ـ كلمة (ثعبان) لم يستعملها إلا أمام فرعون في مكانين ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف:١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء:٣٢] وذلك لإخافة فرعون من ثعبان ضخم يُدخل الرهبة في قلبه فذكر الثعبان فقط أمام فرعون.

ولم يذكر الجان مع فرعون؛ لأنه مع الملأ الموجودين إذا كانوا مئات وتأتي بجان واحد ماذا يؤثر؟ لذا اختار(ثعبان)؛ لأنه يحتاج إلى ضخامة وقوة.

ب ـ كلمة (الجان) ذكرها مرتين في موطن خوف موسى عليه السلام في القصص ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص:٣١] وفي النمل ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل:١٠] واختيار كلمة (جان) هو في مقام الخوف ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [النمل:١٠] وفي القصص ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص:٣١] عصا يلقيها فتكون جاناً، واختيار كلمة (جان)؛ لأنّ الإنسان يخاف من الجان، والجان يخيف أكثر من الثعبان، فمع الخوف استعمل كلمة جان، وسمي جاناً؛ لأنه يستتر بمقابل الإنس (الإنس للظهور والجن للستر)، هذا من حيث اللغة.

وقد يظهر الجان بشكل أو يتشكل بشكل، كما حدث مع أبي هريرة رضي الله عنه، فقد يظهر الجان بشكل من الأشكال.

ج ـ الحية جاءت في مكان واحد لبيان قدرة الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه:٢٠-٢١] لم يقل إن موسى هرب أو فزع.

فالقرآن ذكر الثعبان مع فرعون؛ لأنه مخيف، وذكر الجان مع موسى؛ لأنه يدخل الرعب على قلب موسى، وذكر الثعبان مرتين أمام فرعون والجان مرتين أمام موسى.

❋❋❋❋

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البعث والإرسال) ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف:١١١] و ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء:٣٦] ؟

الجواب:

١ـ الإرسال: أنْ ترسل رسولاً تحمّله رسالة لطرف آخر.

٢ـ البعث: فيه معنى الإرسال وزيادة في المعاني مثل (بعث الموتى) بمعنى يقيمهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة:٢٤٧] أي: أقامه منكم.

وفيه تهييج كقولهم: إنّ للفتنة بعثات، أي: إثارات، كما في آية الإسراء ٥ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ حيث بيّن فيها البأس الشديد والقوة والقسوة والجوس وما فيه من إثارة.

لذلك البعث يستعمل فيما هو أشد.

٣ـ نضرب مثالاً في قصة موسى عليه السلام في الشعراء والأعراف:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء:٣٦] و ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف:١١١].

القصة قصة موسى عليه السلام في الحالتين: الملأ يقولون لفرعون ﴿وابعث في المدائن وأرسل في المدائن﴾، ننظر لتكملة كل آية من الآيتين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء:٣٧] صيغة مبالغة، والثانية ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف:١١٢] (ساحر) ليس فيها مبالغة، بينما (سحّار) فيها مبالغة؛ لأنه في الشعراء المحاجّة أشد مما كانت في الأعراف.

و لو قرأنا قصة موسى وفرعون في الشعراء نجد أنّ المواجهة فيها أشد من الأعراف، وفرعون كان غاضباً، فقالوا: (وابعث في المدائن)، أي: أرسل وأقم من المدينة من يهيّج عليه أيضاً، وهذا معنى ﴿وَٱبْعَثْ﴾ [الشعراء:٣٦] أن تبعث؛ أي تهيّج و تقيم؛ لذا قال بعدها: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء:٣٧] ولمّا قال: (أرسل) قال: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف:١١٢]. فالبعث هو أشد وفيه حركة، أمّا الإرسال فلا.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣﴾ [الأعراف:١١٣] و﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١﴾ [الشعراء:٤١] حيث حذفت الهمزة من آية سورة الأعراف ١١٣، ولم تحذف من آية الشعراء ٤١، فلماذا؟

الجواب:

أ ـ الأصل أنه يجوز حذف همزة الاستفهام إذا دلّ عليها دليل.

أمثلة شعرية:

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً بسبعٍ رَمَينَ الجمر أم بثمانِ؟

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب؟

أي: أبسبع رمين الجمر؟ فقد حذف الهمزة في البيت الأول، كما حذفها في البيت الثاني: أذو الشيب يلعب؟

ب ـ وفي القرآن حذفت الهمزة من آية سورة الأعراف ١١٣ ولم تحذف من آية الشعراء ٤١، فلماذا ؟

الجواب يكمن في السياق لكلٍّ من السورتين، فالموقف في سورة الشعراء موقف تحدٍّ كبير ومحاجّة شديدة طويلة أشد وأطول مما هو في سورة الأعراف، فوضع لكل سياق ما يناسبه من الألفاظ، وزاد الهمزة في مقام زيادة التحدي والمحاجّة وحذفها في الموطن الآخر، وإليك بيان ذلك من نماذج الاختلاف في التعبير بين السياقين:

١ـ في سورة الشعراء سأل فرعون موسى عليه السلام عن رب العالمين، وأجابه إجابة طويلة ورمى فرعون موسى بالجنون وهدده بالسجن ولم يرد ذلك في الأعراف.

٢ـ قال في الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ وقال في الشعراء: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فنسب في الشعراء القول إلى نفسه دلالة على زيادة ضيق فرعون.

٣ـ قال في الأعراف: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ وفي الشعراء: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فزاد في الشعراء كلمة ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ .

٤ـ قال في الأعراف: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ وفي الشعراء ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ بصيغة المبالغة ﴿سَحَّارٍ﴾ ، لاحتدام الموقف وشدة المبالغة في الخصومة والمحاجّة.

٥ـ قال في الأعراف: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ وفي الشعراء: ﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ بزيادة الهمزة في الشعراء؛ ليدل على قوة الاستفهام وشدة اللهفة إلى استماع الجواب من فرعون، إضافة أنه أضمر المقول له والهمزة بالأعراف وصرح بهما في الشعراء.

٦ـ قال في الأعراف: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وفي الشعراء ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ فزاد ﴿إِذًا﴾ في الشعراء، وهي مناسبة للسياق.

٧ـ قال في الشعراء: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ فأقسموا بعزة فرعون، ولم يذكر ذلك في الأعراف.

٨ـ قال في الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ وفي الشعراء ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فزاد اللام في الشعراء زيادة في التوكيد.

٩ـ قال في الأعراف: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ وفي الشعراء ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فزاد في الشعراء ﴿لَا ضَيْرَ﴾ زيادة في التبكيت وعدم الاهتمام بعذاب فرعون، وهذه الزيادة تناسب الجو والسياق.

١٠ـ وإليك ملخصاً لأهم ما ذُكر أعلاه:

الأعراف	الشعراء
في الأعراف ذكر أنّ ملأ فرعون هم الذين قالوا إن موسى ساحر ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٩]	في الشعراء تتسم القصة بسمتين بارزتين أولهما التفصيل في سرد الأحداث والآخر قوة المواجهة والتحدي؛لأن موسى أمام فرعون ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . في الشعراء فرعون هو الذي قال وليس الملأ ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لأن الكلام كان شديداً بينه وبين موسى. في الشعراء ناسب أن يواجهوا فرعون بالقول؛ لأنه هو الذي قال.
في الأعراف قال ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ لم يقل (قالوا لفرعون)؛ لأنّ المتكلم كان الملأ، والقائل الأول ليس فرعون.	وفي الشعراء قالوا ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .
﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ - استفهام لكن لم يذكروا همزة الاستفهام. الفرق بين ﴿ إِنَّ ﴾ وأئن، هو أن (أئن) استفهام مضمر (هل تذهب؟) أحياناً حرف الاستفهام يضمر ولا يذكر لكن يفهم من السياق تذهب معي؟ أصلها أتذهب معي؟.	في الشعراء قالوا لفرعون ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ لم يقولوا إن زيادة في التوكيد وزيادة في سرد الأحداث لما كان التفصيل أكثر قال (أئن). الوضع فيه شدة وحدة وتفصيل أكثر والاستفهام أدل على هذا الأمر وصرحوا بالهمزة ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .
حتى في الجواب قال في الأعراف ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ	وفي الشعراء قال ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ

﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾	﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أضاف (إذن)؛ لأن الموقف مختلف، يريد أن ينتصر، وكان الكلام شديداً مع موسى، ولا يمكن أن يواجهه الحجة.

١ـ وهذا جدول بأهم الفروق بين القصتين بشكل مختصر:

سورة الأعراف	سورة الشعراء
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ (قول الملأ)	﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ (قول فرعون)
﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾
﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾	﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾
﴿قَالُوٓاْ﴾	﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ﴾
﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾	﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾
﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾	﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾
	﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾
﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾	﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾	﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾
	﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾
﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾	﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾	﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾	﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

❀❀❀❀

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التقديم والتأخير في ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ في آية الأعراف ١٢٢ ـ والشعراء ٤٨ و ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ في آية طه ٧٠؟

الجواب:

١ ـ ننظر الآيات: في سورة طه ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ في الشعراء، وفي الأعراف قال ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ .

٢ ـ لو نلاحظ ذكر هارون نجده قد تكرر كثيراً في سورة طه، وجعله تعالى شريكاً في تبليغ الدعوة، أمّا في الشعراء فلم يذكر هارون إلا قليلاً.

في سورة طه قال: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٢:٥٠].

﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾

[طه: ٦٣] بينما في الشعراء قال: ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ وينتهي، ولم يرد بعدها ذكر هارون.

٣ـ ثم إن الخطاب من فرعون موجه لموسى وحده، وهارون ليس له دور كبير في الشعراء، وإنما الكلام كان بين موسى وفرعون، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ في الشعراء التركيز على موسى، أمّا في طه فالتركيز مشترك.

٤ـ وفي طه ذكر خوف موسى لمّا ألقى السحرة ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ ولم يذكر خوف هارون فقدم (هارون)، بينما في الشعراء الكلام كله لموسى ولم يذكر الخوف؛ فقدّم موسى.

وفي الأعراف لم يرد ذكر لهارون إلا في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ فقط، فلا يستوي أنْ يقدّم هارون في الأعراف والشعراء.

٥ـ إذن مسألة التقديم والتأخير تراعي سياق الحال الذي يتكلم عنه القرآن الكريم.

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في الآية ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ القرآن لم يستعمل مطلقاً مضارعاً للفعل (جاء)، ولم يستخدم إلا الفعل الماضي (جيء، جاء) ولم يستعمل فعلاً مضارعاً لجاء، ولا فعل أمر ولا اسم مفعول ولا اسم فاعل، وإذا أراد أن يستخدم مضارعاً يستعمل الفعل (يأتي).

٢ـ يقولون: المجيء بمعنى الإتيان، لكنّ الإتيان أيسر من المجيء، ويستعمل القرآن الفعل (جاء) لما فيه صعوبة، والفعل (أتى) لما هو أيسر وأسهل.

٣ـ جاء في الآية ﴿أُوذِينَا﴾ في الماضي؛ لأنه تاريخ، وجاء ﴿تَأۡتِيَنَا﴾ في المضارع؛ لأنّ القرآن لا يستعمل مضارع (جاء)، ثم جاء الفعل ﴿جِئۡتَنَاۚ﴾ بالماضي على طريقة القرآن، وفيه دلالة منهم على زيادة الأذى عليهم بعد ما جاء موسى عليه السلام إليهم.

٤ـ جاء في الآية أولاً ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ باستخدام ﴿أَن﴾، ثم قال: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ باستخدام ﴿مَا﴾ .

و (ما) تحتمل أنْ تكون مصدرية أي: إتيانك شخصياً، ويمكن أنْ تكون موصولة أي: بعد الذي جئتنا به، وهو الرسالة، وهذا من باب التوسع في المعنى؛ لأنّ موسى عليه السلام جاء هو بنفسه ومعه الرسالة، ولو قال: من بعد أنْ جئتنا، لأعطت معنى واحداً.

٥ـ الفرق بين ما المصدرية وما الموصولة: السياق يحددها، لكن هنالك أمراً يقطع بذلك، وهو أنه إذا كان العائد موجوداً، وهو الضمير الذي يعود على الاسم الموصول فهذا يقطع بأنها اسم موصول، وفي حالة عدم وجود العائد نبحث عن المعنى: هل يحتمل المصدرية أو الموصولة، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] (ما) هنا اسم موصول، أي: صدقوا الذي عاهدوا الله عليه، ولو حذف في غير القرآن (عليه)، لو قال: (صدقوا ما عاهدوا الله) يكون: صدقوا عهد الله نفسه والعهد الذي عاهدوا عليه.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿عَسَىٰ﴾ في القرآن الكريم بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ ﴿عَسَىٰ﴾ هي من أفعال الترجي و﴿لَعَلَّ﴾ فيها معنى الإطماع والإشفاق.

٢ـ قسم من المفسرين يقولون: (عسى) في القرآن واجب، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن الكفار قالوا: (عسى) انظر [الشعراء ١٢٩ـ طه ٤٤ـ غافر ٣٦].

٣ـ قسم قيدوها وقالوا: هي من الله واجب وليست في القرآن واجبة: [المائدة ٥٢ـ الأعراف ١٢٩ـ التحريم ٥].

٤ـ قسم قالوا: ليست من الله واجبة، وإنما يذكره الله تعالى ليكون الإنسان راجياً من الله:[الأنفال ٤٥].

٥ـ أي ليس هناك حكم مطلق بخصوص عسى ولعل، وتقدر كل حالة بقدرها، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ ما الفرق بين عام وسنة وحول وحجج ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٣.

❁❁❁❁

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

كم مرة ورد الفعل ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾ مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة في القرآن الكريم؟ وماذا يفيد في دلالته ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٨١.

❁❁❁❁

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة اليم ٨ مرات و لفظة البحر ٨ مرات في قصة موسى وورود لفظة البحرين مرة واحدة؟

الجواب:

١ـ وردت لفظة ﴿ٱلْيَمِّ﴾ في قصة موسى عليه السلام ثماني مرات ووردت لفظة ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ في القصة نفسها ثماني مرات أيضاً، والقرآن يستعمل اليم مرة والبحر مرة أخرى في القصة نفسها.

٢ـ ﴿ٱلْيَمِّ﴾ أصلها عبراني: يما، وجاءت في قصة موسى عليه السلام أي في قصة العبرانيين، وهذا من التناسب اللطيف، ومن الملاحظ أنّ القرآن لم يستعمل اليم إلا في مقام الخوف والعقوبة، ولم يستعمل اليم في مقام النجاة، وهذا من خصوصية القرآن في الاستعمال كونها خاصة بالخوف والعقوبة.

والعرب لا تجمع كلمة (يم)، فهي مفردة، وقالوا: لم يسمع لها جمع ولا يقاس لها جمع، وإنما جمعت كلمة بحر (أبحر وبحار).

٣ـ ﴿ٱلۡبَحۡرَ﴾ عام، والقرآن يستعمل اليم في مقام الخوف والعقوبة، والبحر في مقام النجاة أو العقوبة، واستعملها القرآن في النِّعم لبني إسرائيل وغيرهم.

ووردت كلمة (البحرين) مرة واحدة في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، كما في آية الكهف ٦٠.

٤ـ يستعمل اليم للماء الكثير وللنهر الكبير المتسع وللبحر أيضاً.

* شواهد قرآنية: اليم:

ـ ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [القصص:٧]. هذا خوف.

ـ ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه:٣٩]. هذا خوف.

ـ ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ [القصص:٤٠]. هذه عقوبة.

ـ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الأعراف:١٣٦]. هذه عقوبة.

ـ ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه:٧٨]. هذه عقوبة.

* شواهد قرآنية: البحر:

ـ ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ [الشعراء:٦٣]. في النعم.

ـ ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة:٥٠]. في النجاة.

ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [النحل:١٤]. في النعم.

ـ ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [النمل:٦٣]. في النعم.

ـ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الإسراء:٦٧] في النعم.

- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة:٥٠] في الإغراق والإنجاء.

- ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي أنجيناهم.

- ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه:٧٧]. في النجاة.

❁❁❁❁

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة (القوم) و(مشارق) في الآية ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ ؟

الجواب:

فعل (أورثنا) ينصب مفعولين، وعليه فإنّ القوم: مفعول به أوّل، ومشارقَ: مفعول به ثان لفعل (أورثنا).

وهذا ينطبق أيضاً على قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧] أرضهم: مفعول به أول، وديارهم: مفعول به ثان.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ بصيغة المبني للمعلوم، بينما في آيات أخرى يقول: ﴿أُورِثُوا﴾ [الشورى:١٤] **بصيغة المبني للمجهول، فما دلالة ذلك ؟**

الجواب:

يسند الله الأمر إلى ذاته في مقام المدح، ويبني الفعل للمجهول في مقام الذم.

لذلك نجد أنّ الفعل ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ وهو مبني للمعلوم يأتي في سياق الخير وذكر النعم من الله تعالى، بينما الفعل المبني للمجهول يأتي في سياق الذم والعقوبات على أهل الكتاب أو الأقوام السابقة.

* شواهد قرآنية: أورثنا:

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ [غافر:٥٣-٥٤].

- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ [الأعراف:١٣٧].

* شواهد قرآنية: أورثوا:

- ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى:١٤].

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في آية البقرة ٤٩ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ وفي آية إبراهيم٦ ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم:٦] وفي آية الأعراف١٤١ ﴿يُقَتِّلُونَ﴾، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤٩.

السؤال الثاني:

قال في آية البقرة ٤٩﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾، وفي آية الأعراف١٤١﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾ فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤٩.

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة ٥١: ﴿وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقوله في آية الأعراف ١٤٢: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١] وقال في سورة الأعراف: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ آية فيها إجمال وآية فيها تفصيل، لكنْ لماذا جاءالإجمال في موضع والتفصيل في موضع آخر؟

لو عدنا إلى سياق سورة البقرة نجد أنه وردت فيها هذه الآية فقط في هذا المجال، بينما في المشهد نفسه في سورة الأعراف تفصيل كبير في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ الكلام طويل والقصة والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف ولم تذكر في البقرة؛ لأنّ المسألة في البقرة فيها إيجاز فناسب التفصيل في سورة الأعراف والإيجاز في سورة البقرة؛ لذا جاء في الأعراف أنّ موسى عليه السلام صام ثلاثين يوماً ثم أفطر، فقال تعالى: صم، فصام عشرة أيام أخرى، أمّا في سورة البقرة فجاءت على سبيل الإجمال (أربعين يوماً).

السؤال الثاني:

ما دلالة وعد الله تعالى لموسى عليه السلام في الآية ؟ ولماذا كان التحديد هنا بالليالي؟

الجواب:

وَعْدُ الله تعالى لموسى عليه السلام كان لإعطائه المنهج لإبلاغ بني إسرائيل.

وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائماً بالليالي، والسبب أنك تستطيع أن تحدد الزمن بمجرد أنْ تنظر إلى القمر، فتقول: القمر هلالاً أو بدراً أو أول الشهر، وأما قرص الشمس في النهار فلا يحدد لك في أي وقت من الشهر نحن.

والبدوي في الصحراء يستطيع أنْ يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالي فيقول لك مثلاً: هذا القمر ابن كذا ليلة.

وكلمة (وعد) هي الإخبار بشيء سار، و(الوعيد) هو الإخبار بشيء سيء.

❁❁❁❁

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في الآية ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ ومقام العبودية في قوله تعالى في آية الإسراء ١ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ ؟

الجواب:

الإنسان عندما يقول عن نفسه: أنا عبد الله، فهذا تواضع، والله تعالى عندما يقولها عن عبد يكون تكريماً: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم:١٠] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص:١٧] هذا من الله تكريم.

ولذلك يقولون إنه لمّا قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] أي لمّا ذكر كلمة (عبد) عرج به إلى السموات العلى وإلى سدرة المنتهى، ولمّا ذكر موسى باسمه قال: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣]. إذن مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ ؟

الجواب:

قضية رؤية الله في الدنيا محسومة وأنه لا سبيل إلى ذلك، والإنسان في جسده البشري المحكوم بقوانين دنيوية، وأمّا في الآخرة فنكون خَلقاً محكوماً بقوانين تختلف عن قوانين الدنيا.

فالجسد البشري في الدنيا له فضلات وفي الآخرة لا مخلفات، وفي الدنيا يحكمنا الزمن، وأمّا في الآخرة لا زمن ولا فضلات.

ولقد حسم الله تعالى المسألة مع سيدنا موسى عليه السلام بأنْ أراه العجز البشري؛ لأنّ الجبل بقوته وجبروته لم يستطع احتمال نور الله فجعله دكّاً فصعق موسى عليه السلام.

وإذا كان موسى عليه السلام قد صعق برؤية المتجلَّى عليه، فكيف لو رأى المتجلِّي؟!!!

والإنسان حين يعجز عن إدراك شيء في الدنيا؛ لأنه مخلوق بهذه الإمكانات يكون العجز عن الإدراك إدراكاً.

والحق يبين لنا في سورة البقرة قصة الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥] و كذلك في قصة موسى عليه السلام فقد أصيب بالصاعقة أيضاً.

ولكن هناك فرقاً بين الحالتين، فمع موسى قال الله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ أي: أن الصاعقة أصابته بنوع من الإغماء، ولكنْ مع قوم موسى قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فكأنّ القوم ماتوا فعلاً من الصاعقة، ثم بُعثوا لعلهم يشكرون، أمّا موسى عليه السلام فقد أفاق من تلقاء نفسه.

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال (إن) في الآية ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ ؟ ولماذا لم يستعمل (إذا) ؟

الجواب:

ـ إنْ: تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

شواهد للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

شواهد للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

شواهد للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

شواهد للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

ـ إذا: تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات:[البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

شواهد وأمثلة مشتركة تتضمن إذا وإن معًا: [التوبة ٥ ـ البقرة ١٨٠ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥].

السؤال الرابع:

ما دلالة قول تعالى في الآية ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ ؟

الجواب:

التقدير بإضمار اللام، أي: لأنظر إليك، وليس إنْ تُرني أنظر إليك. والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ ؟

الجواب:

هذا قول موسى عليه السلام أنه أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا ولم يرد الإيمان الذي هو بمعنى الدين. والله أعلم.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، لأن رؤية موسى عليه السلام لله عز وجلّ في هذا العالم المادي المحكوم بإطار المكان والزمان تقتضي أنّ الله ـ تعالى عن ذلك ـ يكون من مادة، وبالتالي محكوم بإطار المكان والزمان، وهذا يتنافى مع صفات الألوهية لله عز وجل؛ ولذلك قال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾.

وحتى يقرب الله تعالى هذه المسألة لموسى عليه السلام قال له: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فلمّا نظر موسى عليه السلام إلى الجبل، ذلك الكائن المادي المحكوم بإطار المكان والزمان، وأحاط بصره من وجود هذا الجبل في إطار المادة والمكان والزمان، عند ذلك تجلّى الله تعالى للجبل، أي: ظهر نوره للجبل في إطار المكان المحيط بهذا الجبل.

وعندما نقارن بذهننا بين الطاقة المودعة في مادة هذا الجبل وعظمة النور الإلهي وقدرته، ندرك أنه لم يبق في ذلك المكان الذي كان يشغله الجبل أي شيء من مادته، فلم يُبق منه شيئاً ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وعندما أدرك موسى عليه السلام جوهر هذه القضية خرّ صعقاً، وأدرك أنّ هذه المسألة مرتبطة بصفات الكمال المطلق لله تعالى، وأنه أسمى من أنْ يحيط به مكان محدد، وما يقتضيه ذلك من عدم إدراك الأبصار له، وعدم قدرة الحواس عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾

السؤال الأول:

قال في الأولى١٤٤: ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ وقال في الآية الثانية ١٤٥: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ فذكر القوة، ولم يذكرها في الآية الأولى. فلماذا ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في الإيتاء، والآية الثانية في الإيتاء والتبليغ، فقد أمره الله أنْ يأخذ ما آتاه بقوة ويبلغ قومه، وقال له: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ وهذا أمر بالتبليغ، والتبليغ يحتاج إلى قوة وجهد وعزيمة.

٢ـ في الآية الثانية طلب من قومه أنْ يأخذوا بأحسنها، ولم يقل يأخذوا بها، والأخذ بالأحسن أقوى من عموم الأخذ.

وإذا كان قومه مأمورين أنْ يأخذوا بالأحسن كان من المناسب أنْ يأخذها بقوة.

٣ـ في الآية الثانية تفصيل ليس في الأولى، فلمّا أجمل في الأولى أجمل في الأمر بأخذها، ولمّا فصّل في الثانية فصّل في الأمر بأخذه، فناسب الإجمال الإجمال والتفصيل التفصيل.

٤ـ ومما حسّن ذلك أن الآية الأولى جاءت عقب إفاقة موسى بعدما خرّ صعقاً كما ورد في الآية ١٤٢، والصعق في الآية هو أنْ غشي عليه، ولمّا أفاق من الصعق كان واهن القوى، فلم يذكر الأخذ بالقوة بعد ذكر الإفاقة مباشرة. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة رسم الواو في القرآن في قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾؟ ولماذا زيدت الواو ؟

الجواب:

١ـ تفيد زيادة الواو على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعلى طبقة وأعظم رتبة في العيان.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف:١٤٥].

ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾ [الأنبياء:٣٧].

فقد زيدت الواو تنبيهاً على ظهور ذلك الفعل للعيان بأكمل ما يكون، والآيتان جاءتا للتهديد والوعيد.

٢ـ قواعد زيادة الواو:

اتفقوا على زيادة واو ـ تكتب ولا تقرأ ـ فيما يلي:

آ ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾ [الأنبياء:٣٧].

ب ـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ١٤٥﴾ [الأعراف:١٤٥].

ج ـ بعد الهمزة نحو: ﴿أُوْلُواْ﴾ ﴿أُوْلَـٰتِ﴾ ﴿أُوْلَآءِ﴾ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ ﴿أُوْلَـٰٓئِكُمْ﴾.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الرُّشد والرَّشَد) مع أنّ (الرَّشَد) مستخدمة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ الرُّشد معناه: الصلاح والاستقامة، و يكون في الأمور الدينية والدنيوية،أي في الأمور الدنيوية والأخروية.

٢ـ الرَّشَد: ويكون في أمور الآخرة. والكثير من الرَّشَد أنه يستعمل في أمور الدين.

أي: أنّ الرُشد يكون في أمور الدنيا والآخرة، والرَّشَد في أمور الآخرة.

* شواهد قرآنية: الرُّشد:

ـ ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء:٦] أمر دنيوي.

ـ ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾ [الكهف:٦٦] أمر دنيوي موسى يتبع الرجل الصالح.

ـ ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾ [البقرة:٢٥٦] أمر أخروي.

ـ ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف:١٤٦] أمر أخروي.

* شواهد قرآنية: الرَّشَد:

- ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف:١٠].

- ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف:٢٤] وأغلب ما تستعمل في أمور الدين.

هذا ما قاله قسم من اللغويين، وإنْ كان قسم قالوا: هاتان لغتان، لكنْ هما في القرآن هكذا، فيستعمل الرُّشد في أمور الدنيا والدين، والرَّشَد في أمور الدين. وقسم قالوا: هذا من خصوصيات الاستعمال القرآني. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ في آية الأعراف ١٤٧؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

حبطت الدابة تحبط حَبَطاً، أي: انتفخ بطنها من كثرة الأكل أو من أكل ما لا يوافقها.

حبط الماء في البئر، أي: غار في الأرض وذهب تماماً.

الحباط هو وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الأكل أو لأكل ما لا يوافق، فيظن أنها سمينة متينة ولكنها في الحقيقة متورمة مريضة هزيلة وظاهرها يخدع عن باطنها وحقيقتها.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥].

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الأعراف:١٤٧].

- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥].

ورد في الحديث النبوي «**إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم**» وهذا الحديث هو مثلٌ للإنسان الحريص البخيل الذي يفرط في جمع المال ويمنع من إنفاقه في الوجوه المشروعة، فهو ممتلىء مالاً ولكنه بخيل يقتل نفسه ويقتل غيره بحرصه الشديد.

وفي الحياة تقابل أصنافاً من الناس غرقوا في الحياة، وهم يجمعون المال بطرائق متعددة وينفقونها بطرائق تغضب الله ورسوله، كما تجد قوماً آخرين يذهبون ويعودون ويعملون أعمالاً كثيرة متنوعة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولكنهم مع الأسف واقعون في وهم كبير؛ لأنّ أعمالهم لا يقصد بها وجه الله تعالى، بل ربما تحارب دين الله وتخالف أحكامه.

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الجسد والجسم ؟

الجواب:

الجسم: يطلق على البدن الذي فيه حياة وروح وحركة.

الجسد: يطلق على التمثال الجامد أو بدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه.

السؤال الثاني:

استعمل القرآن (أنّ) الثقيلة في آية الأعراف ١٤٨ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ بينما استعمل (أنْ) الخفيفة في آية طه ٨٩ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

جاء في آية الأعراف١٤٨ بأنّ الثقيلة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ ﴾ وفي آية طه بأنْ المخففة ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ ﴾ [طه:٨٩]

والسبب هو الفرق في السياق بين الآيتين، فإنّ آيات الأعراف تذكر قصة بني إسرائيل وعصيانهم لربهم ومخالفتهم لموسى عليه السلام، بخلاف سورة طه، فسياقها في نجاة بني إسرائيل من فرعون.

لذا جاءت (أنّ) ثقيلة في سورة الأعراف ومخففة في سورة طه، وذلك يتناسب مع مقام التبكيت في الأعراف بخلاف سورة طه. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ فنسب الله الفعل لهم مع أن المتخذ هو السامري ؟

الجواب:

لأنهم كانوا راضين به فكأنهم اجتمعوا عليه، والآية تفيد العموم فكلهم عبدوا العجل غير هارون عليه السلام، وكما يقال: بنو تميم قالوا كذا مع أنّ القائل قد يكون واحداً.

السؤال الرابع:

لمِ قال: ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ والحلي كانت في أيديهم على سبيل العارية ؟

الجواب:

أنه لمّا أهلك الله قوم فرعون بقيت هذه الأموال في أيديهم وصارت ملكاً لهم.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ مع أنه جسد ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿لَهُۥ خُوَارٌۚ﴾ أي: صوت أشبَهَ الخوار، فلذلك أطلق لفظ الخوار عليه. والعجل ليس حقيقياً، وإنما هو جسد له خوار، فاتضح الأمر أكثر من اجتماع البدل والمبدل منه، وهذا هو أهم أغراض البدل للإيضاح والتبيين.

❁❁❁❁

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية الأعراف ٢٣: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾، وكذلك في آية هود ٤٧ ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ فاستعمل (إنْ) ولم يستعمل (لئن) كما في آية الأعراف ١٤٩ ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٢٣.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف (يا) في قوله تعالى: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ في آية الأعراف ١٥٠ و﴿يَبۡنَؤُمَّ﴾ في آية طه ٩٤؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف:١٥٠].

وقال في سورة طه: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ [طه:٩٤]،

أ ـ ذكر الحرف وعدم ذكره له دوافع، والقاعدة العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر الحرف سواء كان ياء أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز ويحذف الحرف إذا لم يؤد ذلك إلى التباس في المعنى، كما جاء في سورة الأعراف.

ب ـ ففي سورة الأعراف حذف الحرف؛ لأنّ الموقف جاء ذكره باختصار ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف:١٥٠].

أما في سورة طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسّطة وذُكرت فيها كل الجزئيات؛ لذا اقتضى ذكر (يا). قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾.

٢ـ كما كُتبت في طه ٩٤ ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾، وذلك لأنّ همزة الوصل تسقط في الكلام المتصل، فاتصلت الألف من (يا) بالباء الساكنة من كلمة (ابن)، فأدى ذلك إلى تقصير الألف لوقوعها في مقطع مقفل، وحُذف رمزها وهو الألف فاتصلت الياء المتبقية من حرف النداء بكلمة (ابن).

وقد تتصل الياء بالكلمة التي تليها حتى ولو لم تقصر الفتحة الطويلة الألف نحو: يَقَومِ.

السؤال الثاني:

يرد في القرآن خطاب هارون لموسى بقوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ فهل هذا أسلوب استعطاف وتليين أم هو أسلوب يشير إلى أنهما ليسا إخوة أشقاء؟

الجواب:

على الأرجح أنّ موسى وهارون كانا أخوين شقيقين، لكن يقولون هذا للترقيق، ثم هنالك أمر آخر وهو أنّ ربنا ما ذكر أبا موسى وإنما ذكر أن أمه هي التي خافت وكادت لتبدي به لولا أنْ ربط الله على قلبها، وقالت لأخته قصيه، وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً، وهي التي قاست، فهذا تذكير بأمه فقال﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ وليس معنى هذا أنهما ليسا من أب واحد، هما شقيقان، ولكنْ هذا تذكير بأمه لما قاست.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ﴾ هل هو فعل لازم أم متعدٍّ ؟

الجواب:

١ـ الفعل (رجع) يأتي لازماً ومتعدياً في القرآن الكريم، ومن أمثلة الفعل اللازم قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ومن أمثلة الفعل المتعدي قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٨٣] أي: بمعنى ردّك.

والفرق بين اللازم والمتعدي أنّ اللازم رجع بذاته، أمّا المتعدي فقد أرجعه غيره.

ورجعك مثل: أرجعك، والفعل: رجعك، يكون الرجوع في ظاهر الأمر منك وبدون دوافع خارجية. أمّا: أرجعك، فهو رغماً عن إرادتك.

والفرق بين الرد والرجع أنه يجوز أنْ ترجعه من غير كراهة له، كما في آية التوبة ٨٣، ولا يجوز أنْ ترده إلا إذا كرهت حاله.

٢ـ لذلك الفعل: رجَعَ، فعل قاصر ومتعدٍّ. تقول: رَجَعَ زيدٌ ورجعتُه أنا، أي: أرجعته في لغة هذيل.

وفي حديث السحور: ﴿فإنه يُؤَذّن بليلٍ ليَرجِع قائمكَم ويُوقظ نائمَكم﴾ والقائم هو الذي يصلي صلاة الليل، ورجوعه هو عَوْدُه إلى النوم أو قعوده عن الصلاة إذا سمع الأذان، والفعل رجع هنا متعدٍّ ليزاوِجَ يُوقِظُ.

ويقال: أرجع الله همه سروراً، ويقال: ارتجع المرأةَ وراجعها، أي: رجعها إلى نفسه.

السؤال الرابع:

في قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٨٣] الفاعل هو الله والضمير مفعول به والفعل متعدٍّ، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٠] موسى هو الفاعل، ولا يوجد مفعول به، والفعل لازم، وفي قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ [طه:٤٠] فيه فاعل ومفعول به. فما السبب؟

الجواب:

١ـ في آية الأعراف ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ [الأعراف:١٥٠] هو قرار اختياري من موسى.

٢ـ في آية طه ٤٠ ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ موسى كان رضيعاً لا يستطيع أنْ يرجع بذاته، فهيأ الله له من يحمله ويرجعه.

٣ـ في آية التوبة ٨٣ ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ يدل على أنّ زمام محمد ﷺ في الفعل والترك، ليس بيده، والله يريد أنْ نعرف دائماً أنّ ذهاب محمد ﷺ ورجوعه من أي مكان ليس ببشرية رسول الله ﷺ بل بإرادة الحق سبحانه، وكما حدث في أمر الهجرة إلى المدينة، فلم يهاجر ﷺ حتى أُمر بذلك.

٤ـ في آية التوبة٨٣ يتحدث الحق عن الطائفة التي تخلفت عن الجهاد بلا سبب، وهي تملك المال والسلاح، وهي التي فرحت بالتخلف عن القتال، أمّا الطوائف الأخرى فكانت عيونها تفيض بالدمع من الحزن على عدم اشتراكهم في الجهاد.

فالمقصود هنا طائفة المنافقين الذين استمروا على نفاقهم، فمن تاب منهم قبل نزول هذه الآية قبلت توبته، ومن مات منهم قبل نزول هذه الآية فإنما حسابه على الله. وبقيت طائفة المنافقين الذين فرحوا وضحكوا عندما بقوا في المدينة، وكان عقاب الله لهم بأنْ مسح أسماءهم من ديوان المجاهدين في سبيل الله، ومنعهم الثواب الكبير للجهاد.

السؤال الخامس:

قوله تعالى في الآية:﴿وَلَمَّا رَجَعَ﴾ ما كلمات منظومة الرجوع عن الخطايا والتوبة والاستغفار ؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة التوبة والاستغفار والرجوع عن نوع من أنواع الخطايا.

استغفر:

هو بداية السالكين إلى الله تعالى؛ لأنّ الاستغفار يأتي قبل التوبة، وهو يعني طلب التوبة والمغفرة.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣].

تاب:

تأتي بعد الاستغفار ومراحل التوبة:

آ ـ الاعتراف لله بالذنب.

ب ـ الندم عليه.

ج ـ العزم على عدم العودة.

أناب:

الإنابة هي السرعة في التوبة، وكل منيب تائب، وليس كل تائب منيباً: [غافر ١٣.].

الأوبة والإياب:

أوّاب هو الرجوع في القضايا الفكرية، والإياب هو الرجوع إلى نقطة الانطلاق ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص:٣٠].

أفاء والفيء:

هو خاص بالحركات التي تعتبر من الفتن، ومن ضمنها البغي، وهو التمرد على الشريعة، والفيء هو الغنائم من غير قتال، والفيء أيضاً أن تعود لوضعك الأصلي الذي كنت عليه:[الحجرات ٩].

انتهى:

الانتهاء هو استقامة العقل، والعقل هو الذي ينهى صاحبه عن الخطأ، ولهذا سمي العقل نُهىً: [طه ٥٤].

أسَف:

هي أن ترجع إلى الله عن فعل الآخرين:[الأعراف ١٥٠].

تسلسل مراحل التوبة:

مستغفر ـ تائب ـ منيب ـ أواب ـ يفيء ـ منتهي ـ أسف.

أنواع التائبين:

١ـ السابقون: وهم أصحاب النفوس المطمئنة، وهم قلّة.

٢ـ الصالحون: وهم يتوبون عن الكبائر والفواحش، ولكنْ قد يرتكبون بعض الصغائر عَرَضاً، وليس مقصوداً ويندم إذا ارتكبها، وهم أصحاب النفوس اللوامة.

٣ـ رجل مستقيم تأتيه فترات ضعف ثم يتوب، وهذا يُخشى عليه أن يأتيه الموت، وهو في ساعة ضعفه وهو في معصية.

اللهم اعف عنا يا كريم.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ ما كلمات منظومة الجر والجذب في القرآن؟

الجواب:

هذه هي كلمات منظومة الجر والجذب، وكيف يساق الناس يوم القيامة:

جرّ:

الجذب لجهة الجاذب: [الأعراف ١٥٠]، ومنه الجريرة، وهي الذنب الذي يجذبك إلى الحاكم.

سحب:

هو الجذب على الأرض تماماً ووجه المسحوب وصدره وجسمه على الأرض كما تزحف الحية. [القمر ٤٨ـ غافر ٧١].

سحل:

أصلها من سحل الحديد أي برده، ومأخوذة من الساحل للماء حيث يسحل الرمل من الشاطىء بهدوء:[طه ٣٩].

سفع:

هو الجذب من الناصية، وهو يدل على شدة انقياد المجذوب وعجزه فيصبح ذليلاً ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥].

نتق:

هو شدة الاقتلاع، ويحتاج إلى قوة هائلة: [الأعراف ١٧١].

ساق وسيق:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر:٧١].

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

السؤال الأول:

مرة يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف:١٥١] ومرة يقول: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ الرحمة موجودة في الحالتين، في الأولى قال: ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ وفي الثانية قال: ﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وفي آية جعل خاتمة الآية رحمة، وفي الثانية مغفرة، والقاعدة أنه إذا ذكر ذنباً عقّبّ بالمغفرة، وإذا لم يذكر ذنباً عقّبّ بالرحمة.

ففي الآية الأولى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف:١٥١] هذا قول موسى، ولم يذكر لهما ذنباً فقال﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، بينما الآية ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف:١٥٥] عندما ذكر ذنباً قال: ﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

ونظير ذلك قوله تعالى في آية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾ [المؤمنون:١٠٩]. لأنه لم يذكر ذنباً.

٢ـ إذن عموماً هذا خط عام في ذكر هاتين الفاصلتين، إذا ذكر ذنباً ذكر (الغافرين)، وإذا لم يذكر قال: (الراحمين).

❋❋❋❋

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾

السؤال الأول:

ما معنى (سكت الغضب)؟ وما اللمسة البيانية في الآية ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ ؟

الجواب:

هذه استعارة مكنية كأن الغضب آمرٌ ناه، يهيج موسى ويدعوه إلى الغضب ويلهبه، ثم أثبت له السكوت على طريقة تغيير الاستعارة، استعارة مكنية يشبهه بشخص وحذف الشخص، والغضب فاعل وفي الآية مبالغة كبيرة حيث إنّ موسى كان غضبان كأنّ الغضب كان يلحّ عليه ويهيجه ويثيره.

السؤال الثاني:

لماذا جاءت لربهم باللام ﴿لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ ؟

الجواب:

١ـ يمكن أن يوصل المفعول به باللام، وتسمى اللام المقوية، فيُدخل اللام على المفعول به، أي: فيما هو لو حذفناها يرجع مفعولاً به فنأتي باللام (لام المقوية) ويتقدم المفعول به على فعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ والمقصود يرهبون ربهم (لربّهم مفعول به مقدّم).

٢ـ والغرض منها عند النحاة أنّ الفعل إذا تقدّم يكون في أقوى حالاته في العمل، فإذا تأخر كان أضعف في العمل، فيؤتى باللام للتقوية، أي: فيؤتى باللام الزائدة المؤكِّدة زيادة في التوكيد للحدث.

٣ـ والتوكيد الذي يُدرس في النحو هو توكيد صناعي، والتوكيد باب كبير في اللغة، وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد، مثلاً التوكيد بالجار والمجرور، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨] فالمعلوم أن الطائر يطير بجناحيه، ومع هذا جاءت كلمة بـ (جناحيه) للتوكيد، والظرف المؤكّد كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١] فالإسراء يكون ليلاً، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦] والسقف سيخّر بالتأكيد من فوقهم، فكلها فيها توكيد.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ
تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ﴾

السؤال الأول:

ماالفرق بين (كفّر عنهم سيئاتهم) و(غفر لهم ذنوبهم) و (حطّ عنهم خطاياهم)؟

الجواب:

١ـ السيئات هي الصغائر أي صغار الذنوب، والذنب أكبر ومنها الكبائر، والخطيئة عامة.

٢ـ يستعمل القرآن الكريم مع السيئات التكفير، والمغفرة مع الذنوب، كما في الآية ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران:١٩٣] ؟

وذلك لأنّ التكفير في الأصل هوالستر، وكفّر الشيء، أي: ستره، وأصله كفر البذرة، أي: غطاها وسترها بتراب،والليل سمي كافراً؛ لأنه يستر الناس.

والمِغفر هو الآلة التي تتقي بها السهام في الحرب فتحفظك، والليل كافر وهل إذا ضربت أحدهم بالسهم هل سيحفظه الليل؟ لا، لكن المِغفر يحفظه.

فلما كان الذنب هو أكبر من السيئة فيستعمل معه المغفرة؛ لأنه لمّا كان أكبر احتاج لوقاية أكبر.

٣ـ والخطيئة عامة، قد تكون لأكبر الذنوب وقد تكون للصغائر.

٤ـ جملة: (حُط عنا خطايانا) الحط هو الوضع والإنزال من فوق، كما في الآية ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] هذه أحمال وأوزار يحطها عنهم؛ أي يضعها عنهم.

٥ـ فالخطايا عامة، السيئة للصغائر والذنب أكبر، ويستعمل (كفّر عنا سيئاتنا)؛ لأنها صغيرة، ومع الذنوب يقول: (غفران).

السؤال الثاني:

ما دلالة العدد (سبعين) في الآية ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]؟

الجواب:

١ـ العدد إمّا أن يكون المراد منه حقيقة العدد، كما في الأحكام والكفارات وكفارة اليمين أو الإخبار عن الأمور التي وقعت ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة:٧] أو يدل العدد على التكثير.

٢ـ ولقد اختلف المفسرون في حقيقة العدد، ويبدو من آية التوبة ٨٠ أنّ الرسول ﷺ أراد حقيقة العدد؛ لأنّ الرسول ﷺ قال: «**لأستغفرن الله لهم سبعين وسبعين وسبعين**» لكن نزلت آية أخرى نسخت آية التوبة ٨٠، وهي قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون:٦] فدلت هذه الآية على أن المراد من العدد التكثير، وليس حقيقة العدد من الآية السابقة، والله أعلم.

السؤال الثالث:

قال في آية الأعراف١٥٥ : ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾ بدون (لام) في جواب لو، وقال في آية النحل٩ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ مع (لام) التوكيد في جواب لو، فلماذا؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم (اللام) كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

٢ـ قال في الأعراف ١٥٥ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾ بدون لام في جواب لو، وقال في النحل ٩ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ مع لام التوكيد في جواب لو.

والسبب أنه لم يذكر اللام في جواب (لو) في آية الأعراف بخلاف آية النحل؛ وذلك لأنّ هداية الناس أصعب وأعسر من الإهلاك، فإهلاك الألوف ممكن بوسائل الفتك والتدمير والظواهر الطبيعية، ولكنّ هدايتهم عسيرة فجاء باللام لما هو شاق عسير، ونزعها مما هو أيسر.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن قَبْلُ﴾ ظرف زمان بُني على الضم، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ٤ .

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ
قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ
عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ
ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى
قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ في آية البقرة ٦٠ و ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ في آية الأعراف ١٦٠ في قصة موسى؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٠.

السؤال الثاني:

المطلوب عمل مقارنة في قصة موسى عليه السلام بين آيات البقرة ٥٨ـ٦٠ وآيات الأعراف ١٥٩ـ ١٦٢

الجواب:

انظر الجواب في آيات البقرة (٥٨ـ٦٠).

السؤال الثالث:

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾ وفي آل عمران ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾ بدون (كانوا) ؟

الجواب:

في عموم القرآن عندما يتكلم عن الحال؛ أي الوقت الحالي، وليس الزمن الماضي، وإنما بشكل مطلق، يقول: ﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾، وعندما يتكلم عن الأقوام البائدة القديمة الماضية يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾.

انظر كذلك الآيات: العنكبوت ٤٠ـ التوبة ٧٠ـ البقرة ٥٧.

❁❁❁❁

﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ [البقرة:٥٨] وفي آية أخرى: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾ [الأعراف:١٦١] ما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٥٨.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ اجتماع إنّ واللام سيؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها، أو باللام وحدها.

٢ـ قال هنا: ﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ﴾ أي: بالتوكيد بإنّ واللام؛ وذلك لتأكيد سرعة العقاب؛ لأنّ العقاب هنا عاجل لبني إسرائيل بالذل والنقمة وأداء الجزية بعد المسخ، وهو في سياق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأنعام ١٦٥: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ وقوله في آية الأعراف ١٦٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ﴾ بزيادة لام التوكيد، فلماذا ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٥.

❁❁❁❁

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٦٩) ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية يوسف ١٠٩: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وفي آية الأعراف ١٦٩: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ في آية يوسف عليه السلام لفظ: ﴿وَلَدَارُ﴾ هي مضاف إلى موصوف محذوف معرّف وأبقى صفته المطابقة له وهي لفظ ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾.

و بيان ذلك في قوله تعالى في نفس الآية: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ﴾ بيّن حالة مصارع الأمم المكذبة؛ لأنّ للناس حالتين: حال الدنيا وحال الآخرة. وعلى هذا يكون المعنى: دار حال الآخرة.

٢ـ في آية الأعراف لمّا تقدمها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ناسب عطف الدار على (هذا الأدنى) للمقابلة، والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية الأنعام ٣٢ ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي مع التوكيد باللام، وكذلك في آية النحل ٣٠ ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لكن القرآن لم يؤكد باللام، كما في آية الأعراف ١٦٩، حيث قال: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣٢.

❁❁❁❁

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ هل (المصلحين) وصف لهم؟

الجواب:

هي إجابة عامة، والمقصود بها إرادة العموم، وهناك في القرآن أمثلة كثيرة على هذا النمط، مثل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] فلا يكون الجواب منحصراً بالشخص المذكور، ولكن تأتي للعموم، وهي أشمل، كما جاء في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ

بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف:١٧٠] جاءت للعموم، ولم يقل تعالى (لا نضيع أجرهم) للأفراد.

❊❊❊❊

﴿۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمال كلمتي الجبل والطور في آيات البقرة ٦٣ والنساء ١٥٤ والأعراف ١٧١؟ وما اللمسة البيانية في تقديم وتأخير ذكر الجبل عن بنى إسرائيل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٦٣.

❊❊❊❊

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحرف (بلى)؟ وكم مرة وردت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

(بلى) حرف جواب لاستفهام فيه حرف نفي، كقولك: ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾. وفي «مختار الصحاح»: (بلى) جواب للتحقيق توجب ما يقال لك؛ لأنها ترك للنفي، وهي ضد (لا).

وقيل الألف في (بلى) أصلية، وقيل: الأصل (بل)، والألف زائدة، وقيل هي للتأنيث بدليل إمالتها.

وقد وردت (بلى) في القرآن الكريم في (٢٢) موضعاً، وفي (١٦) سورة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ـ الوقف عليها: وهو اختيار القرّاء وأهل اللغة؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها، وذلك في عشرة مواضع: [البقرة موضعان(٨١-١١٢) آل عمران موضعان (٧٦ـ ١٢٥) الأعراف (١٧٢) النحل (٢٨) يس(٨١) غافر(٥٠) الأحقاف (٣٣) الانشقاق(١٥)]، وقد أجاز بعضهم الابتداء بها، وليس بمختار، والله أعلم.

٢ـ ما لا يجوز الوقف عليه لتعلق ما بعدها بما قبلها، وذلك في سبعة مواضع: [الأنعام (٣٠) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ وفي النحل (٣٨) سبأ (٣) الزمر(٥٩) الأحقاف (٣٤) التغابن(٧) القيامة(٤)].

٣ ـ وفيه الخلاف بين جواز الوقف ومنعه، والأحسن عدم الوقف لاتصالها بما قبلها، وذلك في خمسة مواضع:

[البقرة (٢٦٠) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ، الزمر (٧١) الزخرف (٨٠) الحديد (١٤) الملك (٩)].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين أدوات الجواب التالية: نعم ـ بلى ـ أجل ـ أي ـ جلل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٥٣.

السؤال الثالث:

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات ٣٠-٣٨، وجاء في آيتي الأعراف ١١-١٢ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ والمطلوب بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم أن نبين ترتيب مراحل هذه المسألة.

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١١.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات في سورة الأعراف ؟

الجواب:

تضمنت آيات سورة الأعراف آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرئاسات والشهوات، وقد ذمت الآيات هذه الآفة من وجوه:

١ـ أنه ضلال بعد علم.

٢ـ أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً، فإنه قد انسلخ من الآيات بالجملة.

٣ـ أنّ الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به ولهذا قال: ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ولم يقل: تبعه.

٤ـ أنه غوى بعد الرشد، والغي هو الضلال في العلم والقصد.

٥ـ أنه سبحانه لم يشأ أنْ يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه، ولو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.

٦ـ أنه سبحانه أخبر عن خسة همته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

٧ـ أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض ولزوم دائم لها.

٨ـ أنه رغب عن هداه واتبع هواه فجعل هواه إماماً له يقتدي به.

٩ـ أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة وأبخلها وأشدها كَلَباً ولهذا سمي كلباً.

١٠ـ أنه شبّه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه أو الحمل عليه بالطرد.

وكل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال الريّ وحال العطش، فضربه الله مثلاً للكافر، إنْ وعظته فهو ضال وإنْ تركته فهو ضال.

❁❁❁❁

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر وحذف الياء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء:٩٧] والكهف ١٧ و: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ [الأعراف:١٧٨] ؟

الجواب:

١ـ كلمة (المهتدي) أطول من (المهتدِ). وعندما يكون أطول يكون فيه هداية إضافة إلى أمور أخرى تظهر لنا في الجواب.

نضرب مثالاً قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الأعراف:١٧٨] وقبلها قال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف:١٧٥] هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هل كان مهتدياً أول مرة أم لا؟ كان مهتدياً، لكنْ كان يحتاج إلى قدر من الهداية أكبر حتى لا ينسلخ؛ لذلك عقّب عليها بـ ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾، لأنّ الهداية التي كانت عنده ما عصمته من الانسلاخ، فكان يريد هداية أكثر وأطول حتى يرسخ ولا يزلّ ولا يضل، ولذلك عقب ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ .

٢ـ أمّا في سورة الإسراء فقد جاء: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء:٩٧] في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ وهؤلاء من أصحاب النار.

ما الذي ينجي من الخلود في النار؟ أنْ يكون عنده هداية بسيطة (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وقسم من الفروض، فكان يكفيهم قدر بسيط من الهداية يخرجهم من هذا، أمّا ذاك فكان يحتاج إلى هداية كبيرة حتى لا ينسلخ، أمّا هؤلاء فتكفيهم هداية قليلة.

٣ـ من الناحية النحوية الإعرابية: ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ تقدّر الحركة على الياء المحذوفة (فهو المهتد: المهتد خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة).

٤ـ ثم هناك إضافة إلى ما ذكرنا، وهو ما نسميه السمة التعبيرية للسورة، مثلاً سورة مريم فيها الرحمة من أولها إلى آخرها. ولو أخذنا سورة الأعراف وسورة الإسراء والكهف نلاحظ لفظ (الهداية) تردد في الأعراف أكثر مما تردد في الإسراء وفي الكهف. في الأعراف تردد ١٧ مرة وفي الإسراء ٨ مرات وفي الكهف ٦ مرات أي: مجموع ما تردد في السورتين الإسراء والكهف ١٤ مرة، فلما تردد لفظ الهداية أكثر في الأعراف زاد الياء.

٥ـ أنّ المهتدي هو الذي يهتدي ويسير على هدى الله، وهي تكون بمقام اسم الفاعل وفيه الاستمرارية، أما في قوله: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ فهومن تم له الاهتداء إلى الله تعالى فصار مهتدياً ، وهنا ينطبق عليه الحديث القدسي «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها**» وذلك بدليل ما لحق بالآية ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف:١٧].

❀❀❀❀

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ ما خصوصية القرآن الكريم في استعمال كلمة أعين وعيون ؟

الجواب:

١ـ حيثما وردت (أعين) في القرآن أُريد بها الأعين الباصرة، ولم يرد بها القلة، وقد جاء هذا الجمع في ٢٢ موضعاً، منها:

آـ بمعنى الرعاية في أربعة مواطن:[هود٣٧ـ المؤمنون٢٧ـ الطور٤٨ـ القمر١٤].

ب ـ بمعنى الباصرة في ١٨ موضعاً، منها:[الأعراف ١٧٩ـ الكهف ١٠١].

٢ـ ووردت كلمة (عيون) في القرآن الكريم في ١٠ مواضع كلها بمعنى عيون الماء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥﴾ [الحجر:٤٥] وقوله: ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ [المرسلات:٤١].

❁❁❁❁

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٨٠﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ من الفعل (لحد)، ما كلمات منظومة: (جنح ولحد) في القرآن ؟

الجواب:

هذه هي مجموعة (جنح)، وتشمل كل أنواع الميل، وكلها صغائر تدل على أن الفعل المحرم لم يُرتكب.

جنح:

هي بداية الميل في الغالب، وليس ميلاً كاملاً: الأنفال ٦١.

زاغ:

هو الميل من الصواب إلى الخطأ، والزيغ هو النقص في الصواب.

جنف:

خاص بالحكم عندما يكون قاضياً فيميل عن الحق قليلاً، مثل أنْ يميل قلب الأب إلى الذكور، وليس هو الحكم بالظلم: البقرة ١٨٢.

حنف: ميل من الباطل إلى الحق ومن الخطأ إلى الصواب ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران:٦٧] وحنفاء، أي: ليس لديهم أي ميل للشرك، وهو عكس الزيغ.

راغ: هو ميل لكن لاحتيال ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] وراغ هو من باب اللياقة في إكرام الضيف بأنْ يميل المضيف إلى أهله بطريقة خفية حتى يهيئ الطعام لضيفه.

عدل:

عَدَلَ بمعنى مال مع اعترافه بأن ميله ليس صحيحاً ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠].

زلّ:

ميل مرغم عليه ولا يقصده، كما يقال في زلة اللسان أو زلة القدم ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة:٢٠٩]

ألحد: هو الميل إلى كتمان الحق، وهو أخطر أنواع الميل، والملحد هو الذي مال إلى كتمان التوحيد: الأعراف ١٨٠.

❁❁❁❁

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معاني كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ في القرآن الكريم على أربعة معانٍ:

١ـ بمعنى الملة أو العقيدة. أمثلة: [البقرة ٢١٣ ـ يونس ١٩ ـ الأنبياء ٩٢].

٢ـ بمعنى الجماعة. أمثلة: الأعراف ١٨١.

٣ـ بمعنى الزمن. أمثلة: [هود ٨ ـ يوسف ٤٥].

٤ ـ بمعنى الإمام القدوة الذي يعدل أمة. أمثلة النحل: ١٢٠.

❁❁❁❁

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ ما معنى (عسى) في القرآن؟

الجواب:

١ـ عسى: طمع وترجٍ وتوقع، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة:٥٢] ويكون الإنسان راجياً: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢]

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف:١٨٥] أي: ألا ينظرون في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها عليهم فيرتدعوا ويسارعوا إلى التوبة؟ ألا يتوقعون حدوثها في أي لحظة؟ ألا يتوقعون أنّ آجالهم مقتربة؟ فعسى هنا بمعنى: توقّع، كما في الآيات ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢١٦] أي: ينبغي أن تتوقع أنه فيما تحب قد يكون فيه شر، وقد يُتوقع أنه مما تكره وقد يكون فيه خير.

٢ـ لذلك (عسى) فيها معنى الترجي، وقد تأتي للتوقع ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد:٢٢] أي: هل توقعتم أن تفعلوا.

والفيصل في تحديد المعنى هو السياق، والمعجم يعطي معنى الكلمة مفردة، ولا يصح الاستناد إلى المعجم وحده للفهم، حتى في كل اللغات الأخرى لا يمكن ترجمة النص من مجرد المعجم، وإنما السياق.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية الأعراف ١٨٥: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ وفي آية ق ٦ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾ أي بدخول همزة الاستفهام، وفي آية الأحقاف ٤ ﴿أَمْ﴾ بدون دخول همزة الاستفهام، فما الفرق بينهما ؟

الجواب:

١ـ عندما تقول: أزيدٌ في الدار وقد طلعت الشمس ؟ فهذا للإنكار.

وعندما تقول: أوَ زيداً في الدار بعد وقد طلعت الشمس ؟ فكأنه بالواو يشير إشارة خفية إلى قبح عمله.

٢ ـ الفرق بين ﴿أَوَلَمْ﴾ في آية الأعراف ١٨٥ و ﴿أَفَلَمْ﴾ في آية ق ٦ أنه في سورة (ق) سبق منهم إنكار الرجع في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾ [ق:٣] فجاء بحرف الفاء تعقيباً بمخالفه، أي: أنهم لما استبعدوا أمر الرجع استبعد الله استبعادهم، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

أما (الواو) فهي تومىء بالإنكار وتدل على أمر مغاير لما بعدها، ولذلك قال بعدها في سورة ق: ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقل في السماء؛ لأن النظر في الشيء ينبىء عن التأمل والمبالغة، وقوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ تأكيد آخر، وهو ظاهر فوق رؤوسهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

لماذا سميت القيامة بالساعة؟ وما دلالة قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟

الجواب:

١ـ الساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا، وسميت القيامة بالساعة لوقوعها فجأة، أو لأنّ حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة.

٢ـ أيان: سؤال عن الزمان بمعنى (متى)، و(أين) سؤال عن المكان.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ المرسى هنا مصدر بمعنى الإرساء؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ وقوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٢] فكأنّ الرسو ليس لمطلق الثبات، بل هو اسم لثبات الشيء إذا كان ثقيلاً، ولمّا كان أثقل شيء على الخلق هو

الساعة بدليل قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٧] سمَّى الله وقوعها وثبوتها بالإرساء.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: لا يعلم وقت قيامها إلا الله تعالى، ثم أكّد هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهرها في وقتها المعين إلا الله سبحانه حصراً.

ولا يعلم أحد من الملائكة المقربين ولا أحد من الأنبياء المرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها، وهي من الغيب الذي اختصه الله لنفسه فقط حصراً.

٢ـ قوله تعالى:﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهي ثقيلة بأحداثها عظيمة بزلزلتها شديدة بعذابها.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: لا تجيء إلا بغتة على حين غفلة من الخلق، وجاء في الحديث «**إنّ الساعة تفجأ الناس فالرجل يصلح موضعه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه**».

السؤال الرابع:

ما معنى كلمة ﴿حَفِيٌّ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وفي (الحفي) وجهان:

أـ معناه (عالم بها).

ب ـ الحفي (البار اللطيف) من الحفاوة، أي: يسألونك عنها كأنك حفي بهم أو كأنّ بينك وبينهم مودة توجب برهم، ويؤيد ذلك ما جاء أنّ قريشاً قالت لمحمد ﷺ: إنّ بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة؟

ج ـ ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: كثير السؤال شديد الطلب لمعرفتها، من الإحفاء وهو الإلحاح.

٢ـ وجاء الجواب بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فأسند وأكد أنّ علمها موكول إلى الله وحده، وبيّن أنّ أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفى الله تعالى معرفة وقتها عن الخلق.

٣ـ وأمّا قوله تعالى في الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ فهو سؤال عن وقت قيام الساعة، فأجاب الله عنه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ .

وأما قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فهو سؤال عن كنه ثقل الساعة وشدتها، فأجاب الله عنه بقوله: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ .

والفرق بين الصورتين أنّ السؤال الأول كان واقعاً عن وقت قيام الساعة فقال: ﴿عِندَ رَبِّي﴾، ولا يخفى ما في كلمة الرب من معان.

بينما السؤال الثاني كان واقعاً عن مقدار شدة القيامة، فقال: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ باستعمال الاسم الدال على غاية المهابة، وهو ﴿ٱللَّهِ﴾ ، والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾

السؤال الأول:

جاء تقديم النفع على الضرر في آية الأعراف ١٨٨، والرعد ١٦، وجاء تقديم الضر في يونس ٤٩، والسؤال: متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟

الجواب:

القدامى بحثوا في هذه المسألة وقالوا: حيث يتقدم ما يتضمن النفع يسبق النفع، وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدم الضر.

*** شواهد قرآنية في تقديم النفع:**

- ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف:١٨٨] قدّم النفع على الضر، وقال قبلها ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ﴾ [الأعراف:١٧٨] فلما قدّم الهداية قدّم النفع. وقال بعدها

في نفس السياق: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨] فقدّم النفع على الضر.

*** شواهد قرآنية في تقديم الضر:**

ـ ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس:٤٩] هنا قدّم الضر، وقبلها قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ [يونس:١١] وهذا ضر، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ [يونس:١٢] وبعدها قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس:٥٠] فتقديم الضر أنسب.

ـ مثال آخر في سورة الرعد ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ﴾ [الرعد:١٦] وقبلها ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥].

ـ وفي سورة سبأ قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [سبأ:٤٢] وقبلها قال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ:٣٩] (يبسط الرزق) نفع و(يقدر) ضر.

لذلك قالوا: حيث يتقدم ما يتضمن النفع يقدم النفع، وحيث يتقدم ما يتضمن الضر يقدم الضر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الضُّرِّ والضَّرِّ والضَّرَرِ ؟

الجواب:

الضُّرُّ: يكون في البدن من مرض وغيره ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣].

الضَّرُّ: مصدر بما يقابل النفع ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨].

الضَّرَرُ: الاسم، وهو عام، أي: النقصان يدخل في الشيء، يقال دخل عليه ضرر ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أي الذين فيهم عِلّة.

❁❁❁❁

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية النساء١:﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وفي الأعراف١٨٩: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فما الحكمة ؟

الجواب:

١ـ آية النساء١: هي في آدم وحواء عليهما السلام؛ لأنها خلقت منه، فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

٢ـ آية الأعراف ١٨٩: في أحد من المشركين ولم تتخلق زوجته منه، فقال: ﴿وَجَعَلَ﴾ لأنّ الجعل لا يلزم منه الخلق، ومعناه: جعل من جنسها زوجها.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنعام ٩٨: ﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ولم يقل مثل ذلك في سائر سور القرآن، في حين قال: ﴿خَلَقَكُم﴾ في المواطن الأخرى في آيات [النساء ١ـ الأعراف ١٨٩ـ الزمر ٦]، فما السبب ؟

الجواب:

الفعل ﴿أَنشَأَ﴾ ورد في سورة الأنعام في أربعة مواضع، وهي الآيات: [٦ـ ٩٨ ـ ١٣٣ ـ ١٤١].

ولم يرد أصلا في السور الثلاث الأخرى، فاستعمله للتناسب اللفظي في هذه السورة دون غيرها. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ ؟

الجواب:

المعنى العام هو: أيشركون في عبادة الله من لا يخلقون شيئاً وهم أنفسهم مخلوقون لله، وهذه الأصنام التي تعبدونها ليست قادرة على نصرة نفسها أو نصرة غيرها.

وكانوا في الجاهلية حين يفزعهم أمر جسيم ينادون آلهتهم: يا هبل يا لات يا عزى، وإنْ لم يصبهم أمر سكتوا عن نداء الأصنام، والله يخبرهم أنّ دعوتهم للأصنام لاتفيد في أي أمر تماماً كصمتهم، أي: أنّ عدم الاستجابة من آلهتهم متحقق فيهم وعدم النصر لأنفسهم ولغيرهم متحقق منهم.

وبالتالي هناك في هذه الآيات خمس مراحل في الحوار مع المشركين حول أصنامهم:

١ـ جميع الآلهة دون الله لا تخلق.

٢ـ جميع الآلهة دون الله مخلوقة.

٣ـ جميع الآلهة دون الله ضعيفة لا تستطيع أنْ تنصر نفسها.

٤ـ جميع الآلهة دون الله ضعيفة لا تستطيع أنْ تنصر غيرها.

٥ـ إنْ أردت أنْ تدعوهم إلى الهدى أو العلم فلا يقبلون ذلك.

السؤال الثاني:

قال تعالى: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ ولم يقل: أدعوتموهم أم صمتم، فلماذا؟

الجواب:

١ـ قال تعالى: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾ ولم يقل: أدعوتموهم أم صمتم؛ لأنّ الفعل يقتضي الحدوث، وكانوا في الجاهلية حين يفزعهم أمر جسيم ينادون آلهتهم، أمّا

بقية الوقت فقد كانوا لا يكلمونهم أبداً؛ لذلك جاءت صامتون بالصيغة الاسمية التي تقتضي الثبوت والاستمرار.

٢ـ فرّق بين طرفي التسوية فقال: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ بالفعل، ثم قال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ بالاسم ولم يسوّ بينهما، فلم يقل: أدعوتموهم أم صمتم بالفعلية أو: أأنتم داعوهم أم صامتون بالاسمية.

وذلك أنّ الحالة الثابتة للإنسان هي الصمت، وإنما يتكلم لسبب يعرض له، ولو رأيت إنساناً يكلم نفسه لاتهمته في عقله، فالكلام طارىء يحدثه الإنسان لسبب يعرض له؛ ولذا لم يسو بينهما، بل جاء للدلالة على الحالة الثابتة بالاسم ﴿صَٰمِتُونَ﴾ وعلى الحالة الطارئة بالفعل ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ أي: أأحدثتم لهم دعاء أم بقيتم على حالكم من الصمت.

❃❃❃❃

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية هود ٥٥: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ وقال في آية الأعراف١٩٥: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ فقدم الفاء وأخر﴿ثُمَّ﴾ في آية هود، وقدم ﴿ثُمَّ﴾ وأخر الفاء في آية الأعراف، فما السبب؟

الجواب:

أولاً ـ من الطريف والعجيب أنه حيث اجتمعت (ثم والفاء) في سورة الأعراف قدمت (ثم) على الفاء.

وفي سورة هود بالعكس، وهذا أغرب شيء وأعجبه. انظر الآيات:

سورة الأعراف:

ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الأعراف:١١].

ـ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ... فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ [الأعراف:٩٥]

ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الأعراف:١٠٣]

ـ ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)﴾ [الأعراف:١٩٥].

سورة هود:

ـ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥)﴾ [هود:٥٥].

ـ ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود:٦١].

ثانياً ـ حذف الياء واجتزأ بالكسرة في الأعراف ﴿كِيدُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥] وذكرها في هود ﴿فَكِيدُونِي﴾ [هود:٥٥] وذلك لاختلاف السياقين والمقامين:

١ ـ المقام في هود مقام تحد كبير ومواجهة، فأظهر نفسه زيادة في التحدي؛ إذ المتحدي لا بدّ أن يظهر نفسه.

فقد دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود:٥٠] ونصح لهم بالتوبة والاستغفار ليرضى عنهم خالقهم ويزيدهم من فضله فرفضوا قوله وردوا عليه قائلين: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ فهم لم يكتفوا برد دعوته وعدم التصديق به، بل قالوا له: إنّ بعض آلهتهم اعتراه بسوء مما جعله يتحداهم ويتحدى آلهتهم فأشهد الله وأشهدهم على البراءة من آلهتهم، ثم دعاهم جميعا إلى كيدهم له ثم لا يمهلونه إنْ استطاعوا فزاد كلمة ﴿جَمِيعٗا﴾ زيادة في التحدي رداً على قولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ فهم قالوا له: إنّ أحد آلهتهم اعتراه بسوء فتحدى الجميع ثم أظهر نفسه، فذكر(الياء) زيادة في التحدي.

٢ـ وليس الأمر كذلك في الأعراف، فإنه ليس فيها هذا التحدي، فقد قال في آيات الأعراف:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

٣ـ من ناحية ثانية إنّ التحدي والمواجهة في هود أطول وأكثر مما في الأعراف [انظر الآيات ٥٠ ـ ٥٨] فذكر الياء في هود؛ لأنّ الياء أطول من الكسرة، وحذف الضمير واجتزأ بالكسرة في الأعراف، فناسب بين طول الكلمة والسياق، فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل والكلمة المجتزأة للسياق المجتزأ.

٤ـ تردد ذكر (ياء الضمير) في هذا الموطن مرات عديدة في هود وليس الأمر كذلك في الأعراف، فقد ذكر في هود ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ ﴿أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾.

بينما في الأعراف لم يظهر الياء في السياق إلا مرة واحدة، وهي قوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ فناسب ذكر الياء ما ورد في هود وناسب الاجتزاء بالكسرة سياق ما ورد في الأعراف.

٥ـ قال في الأعراف ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أدخل ﴿ثُمَّ﴾ على الكيد والفاء على الإنظار.

بينما قال في هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ أدخل الفاء على الكيد و[ثم] على الإنظار، ومعلوم أنّ الفاء تفيد التعقيب، أمّا (ثم) فتفيد التراخي.

فقد طلب منهم في الأعراف عدم المهلة في الإنظار، وهذا مناسب لسياق سورة الأعراف، وهو تعجيل العقوبات لمستحقيها في الدنيا، بخلاف سورة هود، فإنّ سياقها في الإمهال في إيقاع العقوبات، ويتبين ذلك من الآيات التالية للسورتين المذكورتين:

فقد بدأت الأعراف في الآية الرابعة بقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾ فذكر حلول العقوبات وإهلاك الأمم.

وقال في الأعراف: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥﴾ فكان الأخذ بعد الاستدراج.

بينما قال في هود: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فذكر تأخير العذاب إلى أجل، وهو الإمهال.

وانظر كذلك إلى التناظر بين الآيتين [٩٥ و١٩٥] في سورة الأعراف:

- ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ و ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ فكلاهما بثم وكلاهما إمهال.

- ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ و ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ فكلاهما بالفاء وكلاهما عدم إنظار.

٦- ثم انظر إلى القصص في السورتين ترَ الفرق واضحا بين السياقين، فمثلا قصة نوح عليه السلام في الأعراف موجزة، وظاهر فيها عدم الإمهال، قال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فجاء بالفاء دالا على سرعة إنزال العقوبة وعدم الإنظار ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾.

أما في هود فالكلام طويل وهناك مهلة حتى استبطؤوا ما وعدهم به ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وكذلك قصة عاد، فقد قال في خاتمتها في الأعراف: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وقال في هود ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

فانظر كيف عجّل العقوبة لهم في الأعراف فجاء بالفاء الدالة على عدم الإمهال بخلاف ما في سورة هود.

وكذلك قصة صالح، فقد قال في نهايتها في الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

وقال في هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ فذكر إنزال العقوبة بالفاء في الأعراف ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف:٧٨] وبالواو في هود ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود:٦٧].

وهكذا فأنت ترى أنّ سياق الأعراف هو عدم المهلة في الإنظار، بخلاف السياق في سورة هود، فكان من المناسب أنْ يأتي بالفاء مع عدم الإنظار في الأعراف، فيقول: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ وأن يأتي بـ﴿ثُمَّ﴾ معه في هود فيقول: ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ فما أجمل هذا التناسق وما أجل هذا الكلام !!!!.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (تنظرون وتبصرون)؟

الجواب:

العين آلة البصر، والبصر اسم للرؤية، وأبصرت الشيء رأيته، والنظر قد يكون فيه رؤية، وقد يكون من غير رؤية، ويعني توجيه الحاسة إلى مكان معين، تقول: أنا أنظر إليه الآن، لكن ليس بالضرورة أنك تبصره ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧].

لذلك (أبصرت الشيء): رأيته؛ لكن هناك احتمال أنّ الإبصار يُحسّه ببصره ويحتمل توجيه الحاسة إلى مكان معين لكن لا تحدث الرؤية، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ إذن يبصر من الرؤية بإدراك الحاسة.

والنظر فيها احتمالان قد يكون النظر إدراكاً، وقد يكون النظر من دون رؤية، وإنما توجيه النظر إلى مكان معين.

❁❁❁❁

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما القيمة الفنية في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾؟

الجواب:

هذه الآية من الآيات التي وقف عندها علماء البلاغة والبيان لما فيها من إيجاز، ويمكن أنْ نقول إنها تمثل صورة مما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم.

وهذه الآية الكريمة تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات:

١ ـ فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

٢ ـ وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ دخل فيه صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار.

٣ ـ وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ دخل فيه الحض على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

السؤال الثاني:

هل هذا الترتيب (خذ وأمر وأعرض) مقصود بذاته؟

الجواب:

١ـ هذا الترتيب: (خذ، أمر، أعرِض) مقصود بذاته حتى ينبني المجتمع بناء سليماً بأنْ يكون هناك نوع من التسامح بين أفراد هذا المجتمع، وأنْ يكون هناك تناصح وتجنب المِراء والجدل؛ لأنك مع الجاهل ستكون في حال مِراء وجدل لا ينتهي إلى نتيجة.

ولذلك إذا أحسّ الذي يريد أنْ ينصح الآخرين أو أنْ يعظهم أو يرشدهم أنّ المقابل لا نفع من ورائه أو أنّ المسألة التي يناقشها لا نفع من ورائها يكفّ عنها.

٢ـ لذلك علماؤنا يشددون على تصفية النيّة؛ لأنّ الإنسان بطبيعته تنحرف نيّته أحياناً، والإنسان قد يتكلم مع نفسه فيقول: كلاميَ مؤثّر، أنا نافع، أنا مفيد وغير ذلك، عند ذلك يقولون: فإذا دخله شيء من ذلك فليبادر إلى التوبة إلى الله سبحانه وتعالى ويُقلِع عنه مباشرة، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول عن المتقين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ فالمتّقي إذن يمسّه طائف من الشيطان؛ لأنّ هذه معركة مع الشيطان، والشيطان يريد أنْ يدخله النار. لكن انظر العبارة ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ لا ينتظر أنْ يغور الطائف في أعماقهم ويظلم قلوبهم وإنما بمجرد المسّ يتذكر فيتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويسأله عز وجل أنْ يجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم. ومن الأدعية المأثورة: «**اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل والصواب فيهما**».

٣ـ والإمام مالك إمام دار الهجرة والذي يقال فيه: لا يفتى ومالك في المدينة، أحياناً يُسأل فيقول للسائل: هل وقع لك هذا؟ حتى يفتيه، فإذا قال السائل:(نعم) تحرّى الجواب، وإذا قال له (لا) قال: لا أدري. ومرة جاءه رجل وسأله فقال: أوقع لك هذا؟ قال الرجل: (لا)، ولكن يمكن أنْ يقع، فقال: لا أدري، فقال: أأخرُجُ إلى الناس فأقول: مالك لا يدري؟ قال: نعم اخرج إلى الناس وقل: مالك لا يدري.

إذن هذه تربيتنا، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم، فإذا كان هناك شيءٌ لا يعلمه يقول: لا يدري، وإذا وجد أمامه شخصاً لا يحسن الحوار ودخل الأمر في المِراء والجدل الذي لا معنى له، عند ذلك ينسحب إكراماً للمبادئ التي هو يدعو إليها، وهي المبادئ المستنبطة من الكتاب والسُّنّة.

السؤال الثالث:

ماذا يحدث لو حصل الترتيب: أْؤْمُر بالعرف وخذ العفو وأعرض عن الجاهلين؟

الجواب:

١ـ انظر النظام: في البداية أنت تكوّن نفسك ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: ألزم نفسك بتربية معينة فيها معنى الصفح والسماح، هذه الأمور في البداية هي لتربية النفس.

٢ـ ثم تنتقل إلى مرحلة ثانية، وهي الأمور التي لا جدال فيها، مثلاً تأتي إلى رجل مسلم لا يصلي فتقول له: يا أخي لا يختلف اثنان أنّ الصلاة هي عمود الدين، ثم بعد ذلك عندما تصل إلى مرحلة أخرى قد تتحدث معه فيقول لك: أنا مسلم أصلي مؤمن بالنظام الاقتصادي الفلاني، لكن لا أؤمن أنّ الإسلام نظام اقتصادي فلا ينبغي أنْ ننظر فيه، أو أنّ المرأة كانت في الجاهلية لها زِيُّها والآن لها زي آخر، فلماذا تصّرون على حشمة المرأة؟

فعندما تصل إلى هذه الأمور ستنتقل من موضوع العُرف إلى موضوع جدل لتقنعه بقضية هو غير مقتنع بها، فإذا وجدته ممارياً شعاره: لا أقتنع ولو أقنعتني، فأعرض عنه.

إذن هذا هو الترتيب الطبيعي ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ يربي نفسه، ويكوّن نفسه، وينظر إلى الآخرين، يأمرهم بالشيء الذي لا مجال للجدال فيه.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في الفعل ﴿وَأْمُرْ﴾؟ ولماذا لم يستخدم فعل: انصح أو ادعُ؟

الجواب:

١ـ الأمر ليس دائماً بمعنى الفرض، وإنما قد تستخدم هذه الصيغة (افعل) بعدة مستويات:

٢ـ صيغة (افعل) قد تكون:

أ ـ من الأعلى إلى الأدنى: عندما يأمرنا رب العزة بشيء، ننظر إلى السياق هل هو أمر إلزام أو أمر إباحة؟ فعندما يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا أمر إلزام، ولكن عندما يقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة:١٨٧] هذا أمر إباحة، أي: يرخّص لكم بالأكل والشرب، فيُنظر في سياق الأمر.

ب ـ وأحياناً الأمر يكون من الأدنى إلى الأعلى، مثل كلمة: (اغفر)، وهذه فعل أمر لكن هي للدعاء؛ لأنه من البشر إلى رب العزة سبحانه وتعالى (اللهم اغفر لنا، ارحمنا) وهذا فعل أمر، ولذلك بعض النحويين لا يسميه أمراً وإنما يسميه طلباً، والحقيقة هو صيغة أمر، لكن من الأدنى إلى الأعلى، وغرضه الدعاء.

ج ـ إذا كان الأمر من صديق إلى صديق يكون نوعاً من الالتماس والرجاء.

فدلالة الأمر تختلف من الآمر إلى الآخر ومن السياق.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الأمر خاص بالرسول ﷺ وبمن يليه من الحُكّام، هذا في الأمر المُلزِم، أمّا الأمر الذي هو بمعنى النُّصح كأن أقول لك: افتح المصحف، هذا ليس أمراً؛ لأنه ليس لي عليك سلطة أمر وإنما للالتماس، ومن حيث القانون ليس لأحد سلطة أمر إلا الذي أمّره القانون، فالأمر ينظر إليه على هذا الأساس، فإذا كان الأمر من ولي الأمر يكون واجب التطبيق والطاعة، ومعصيته معصية لله ورسوله.

السؤال السادس:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ لماذا لم تستخدم كلمة ﴿السفهاء﴾ بدل الجاهلين مع أنها استخدمت في مواطن أخرى في القرآن؟

الجواب:

(الجاهلون) تحوي معنيين: الجهل ضد العلم، والجهل الذي هو ضد العلم والتعقّل (السفاهة).

ولو قال: (وأعرض عن السفهاء) سيبقى إنسان جاهل تحدّثه، وهو ليس سفيهاً وليس عنده علم بالموضوع، فإذا حدّثته يقول لك: كُفّ عن هذا الكلام وإلا أترك المجلس.

ومثال آخر: عندما يأتي شخص تفوح منه رائحة الدخان فتقول له: يا فلان أنت أخي وأتمنى لو تركت التدخين؟ فيقول لك: إذا تكلمت في هذا الموضوع اترك المجلس، فتقول له: يا أخي أنا ليس لي عليك سلطان أنا آمرك نصحاً. ففرّق بين السفيه والجاهل، فجمعهما القرآن الكريم بالجاهلين بصنيعتهم.

السؤال السابع:

هل يندرج الكفار مع الجاهلين؟

الجواب:

الكفار يندرجون في الجاهلين، والمجتمع الإسلامي ليس إسلامياً صِرفاً

إنما فيه كفار وفيه عابد النار (المجوس)، ومع ذلك قال ﷺ: «**سنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب**» إلا العرب في الجاهلية لا يُقبل منهم إلا أحد أمرين: الإسلام أو القتال؛ لأنّ القرآن عربي، فيقال له: اقرأ أنت القرآن بنفسك وانظر هل تظن أنّ هذا الكلام من كلام بشر؟ فإذن إصرارك على عدم الإسلام هو إصرار في غير محلّه.

بينما عموم البشر لهم إمّا الإسلام أو الجزية، أي: إعلان الخضوع لدولة الإسلام.

❁❁❁❁

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية فصلت ٣٦ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ فأكد بضمير الفصل وعرّف السميع العليم، بينما في آية الأعراف ٢٠٠ قال ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾، فما السبب ؟

الجواب:

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم ضمير الفصل (هو) بقصد التوكيد والحصر.

١ـ استعراض الآيات:

آيات سورة فصلت ٣٤ـ٣٦:

ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

آيات الأعراف ١٩٩ـ٢٠٠:

ـ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

٢ـ أكّد في سورة فصلت بضمير الفصل، وعرّف (السميع العليم)، وترك ذلك في سورة الأعراف؛ وذلك:

أـ في سورة فصلت طُلب أنْ يقابل السيئة الحسنة، وهذا أمر شاق على النفس؛ لأنّ من عادة الناس أنْ يقابلوا السيئة بمثلها، فإذا أرادوا أن يحسنوا عفوا عن المسيء، أمّا أنْ يقابلوا السيئة بالحسنة فذلك أمر شاق على الإنسان عسير عليه، فإنّ الشيطان يحث على الانتصار للنفس ويثبطه عن الإحسان إلى المسيء؛ ولذا قال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

ب - أمّا في سورة الأعراف، فقد أمر بالإعراض عن الجاهلين، وهو أيسر من الإحسان إلى من أساء إليك؛ ولذا أكّد وعرّف في سورة فصلت وترك ذاك في سورة الأعراف، فلم تقع المبالغة في اللفظ، واقتصر الخبر على الأصل، فوضع كل تعبير في المكان الذي يقتضيه.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ لِمَ لمْ يستعمل الفعل (يبصرون) مثلاً؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ البصر صفة لازمة للمتقي، وعين الشيطان ربما حجبت، فإذا تذكر رأى المذكور، ولو قيل: (يبصرون) لأنبأ عن تجدد واكتساب لا عن صفة دائمة.

❁❁❁❁

﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢﴾

السؤال الأول:

في آية الأعراف ٢٠٢: عرف (الغي) بأل التعريف، فقال: ﴿ٱلۡغَيِّ﴾ بينما في آية البقرة ١٥ عرّف بالإضافة، فقال: ﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

عرّف الطغيان بالإضافة ﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾، وعرّف ﴿ٱلۡغَيِّ﴾ بأل التعريف، وذلك:

١ ـ في آية البقرة أسند المدّ إليه سبحانه، فالله يمدُهم في طغيانهم هم ولا يمدهم في طغيان جديد لم يفعلوه.

٢ ـ في حين أسند المدّ في آية الأعراف إلى الشياطين فذكر أنهم يمدونهم في غيٍّ جديدٍ لا في غيهم وحده، فهم يضيفون غياً إلى غيهم، وهذه هي طبيعة عمل الشياطين، لذلك أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾.

❋❋❋❋

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿وَإِذَا﴾ في الآية ؟ وما الفرق بين (إذا وإنْ) في الاستعمال ؟

الجواب:

– إن:

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة.

ـ أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

ـ أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

ـ أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

ـ أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

ـ **إذا:**

تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات [البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ؟

الجواب:

١ـ لابدّ أن ننصت للقرآن الكريم لنتلقى الفوائد الثلاث: البصائر والهدى والرحمة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ ولم يقل (فاسمعوا)؛ لأنّ الاستماع فيه تعمد أنْ تسمع، أمّا السمع فأنت تسمع كلَّ ما يقال حولك، وقد تنتبه وقد لا تنتبه، وقد نهى الرسول ﷺ عن التسمع والتجسس، وكلها بالتاء بقوله: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا وكونوا عباد الله إخواناً**» وليس من المعقول والتأدب مع الله أنْ يتكلم ربك ثم تنصرف أنت عن كلامه.

٣ـ السمع هو إدراك المسموع، وهو أيضاً اسم الآلة التي يُسمع بها، والاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم، ولهذا لا يُقال: إنّ الله يستمع، وأمّا السماع فيكون اسماً للمسموع، والتسمع طلب السمع مثل: التعلم: طلب العلم.

٤ـ الإنصات هو عدم الكلام وعدم الانشغال والإصغاء: أي إدراك المسموع بإمالة السمع إليه.

والإنصات إلى القرآن مطلوب في الصلاة وخلال خطبة الجمعة أو العيدين أو في أي وضع من الأوضاع.

٥ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يقصد بها الرجاء وليس التمني، وإذا كان الرجاء من الله فهو رجاء كريم لا بد له من أنْ يقع بإذنه تعالى.

❁❁❁❁

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا ذكر الخوف في آيتي الأعراف ٥٥ و ٢٠٥ (الخوف والخفية) ولم يذكره في آية الأنعام ٦٣، وإنما قال: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والخُفية نقيض الجهر ؟

الجواب:

١ـ الدعاء والذكر المذكوران في آيتي الأعراف إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله تعالى دعاء وذكراً.

٢ـ وأمّا آية الأنعام فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالناس في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لانصرف إلى هذه الأمور المخوفة ولم ينصرف إلى الخوف من الله تعالى.

والخوف في مثل هذه المواطن مما يعتري النفس البشرية، وهذا ظاهر معلوم، وقد بينت الآية تضرعهم وتذللهم إلى الله وطلب النحاة،وقال القرآن بعدها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ فاتضح الفرق بين الموضعين، فناسب كل تعبير موضعه. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الخيفة والخُفية في القرآن الكريم ؟

الجواب:

الخُفية من الخفاء: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم:٣].

الخِيفة من الخوف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف:٢٠٥] أي: لا تذكر ربك وقلبك غافل.

ومعنى (تضرعاً): هو من التذلل والتمسكن والتوسل إلى الله تعالى، ومعنى: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بمعنى أنْ تسمع نفسك ولا ترفع صوتك مع علمك بما تقول وتدعو.

❁❁❁❁

رابعاً ـ تناسب فواتح الأعراف مع خواتمها:

ابتدأت السورة بقوله تعالى:

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٢ - ٣].

وقال في خاتمتها:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٣-٢٠٤].

فابتدأت بالكتاب وختمت به.

وقال في أول السورة: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣]، فأمر باتباع ما أنزل إليه.

وختمت بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣] فقد أطاع أمر ربه، وذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣].

فقال أولاً: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف:٢٠٣].

وهو مناسبة ظاهرة.والله أعلم.

والسؤال: ماذا يفيد التناسب؟

القدامى ذكروا تناسب الآيات والسور، وقالوا: القرآن هو كالكلمة الواحدة في تناسبه، وذكروا أنّ تناسب الآيات والسور يعني تناسب السورة مع السورة التي قبلها وخاتمتها وما بعدها، وهذا أمر مقصود لذاته. والذي نستفيده من هذا التناسب أنّ القرآن ليس كلاماً من دون رابط كما يظن البعض، بل فيه تناسب وارتباط، والتناسب حجة تلزمهم. والله أعلم.

سورة الأنفال

أولاً ـ تناسب خواتيم الأعراف مع فواتح الأنفال:

١ـ قال سبحانه في أواخر الأعراف:

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤ – ٢٠٥].

وقال في أول الأنفال:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال:٢].

فذكر في الأعراف قراءة القرآن، فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وقال في الأنفال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الأنفال:٢]. والآيات هي من القرآن.

وقال في الأعراف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال في الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

وكلتاهما في ذكره سبحانه.

٢ـ قال في آخر الأعراف:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقال في أول الأنفال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال:٣].

فذكر السجود والتسبيح في آخر الأعراف، والتسبيح من الذكر.

وذكر إقامة الصلاة وذكر الله في الأنفال، فقال: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

وقال في الأعراف: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦]. وقال في الأنفال: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنفال:٣] والسجود من الصلاة.

فالتناسب ظاهر في الموضعين.

ثانياً ـ هدف السورة: قوانين النصر ربانيّة ومادية:

سورة الأنفال سورة مدنية نزلت عقب غزوة بدر التي كانت فاتحة الغزوات في تاريخ الإسلام المجيد وبداية النصر لجند الرحمن حتى سمّاها بعض الصحابة بسورة بدر، وسمّاها الله تعالى في القرآن الكريم بـ(الفرقان)؛ لأنها تناولت أحداث هذه الموقعة بإسهاب ورسمت الخطة التفصيلية للقتال وبيّنت ما ينبغي أنْ يكون عليه المسلم من البطولة والوقوف في وجه الباطل بكل جرأة وشجاعة وصمود. وقد كان عدد المسلمين ٣١٣ مقابل ١٠٠٠ من المشركين، لكنّ المسلمين على قلة عددهم انتصروا بعون الله تعالى ثم باستعدادهم للحرب على المشركين مع كثرتهم، وكانت أول المعارك بين الحق والباطل في التاريخ الإسلامي.

وقد سبق في السور الطوال التي سبقت الأنفال أنْ عرض الله تعالى لنا المنهج وكيف نثبت عليه بالتوحيد الخالص لله وبالعدل وحسم المواقف، ثم جاءت سورة الأنفال ليبيّن لنا أنه حتى ينتصر المنهج يجب أنْ يكون له قوانين للنصر، فالنصر لا يأتي صدفة

ولا فجأة وإنما يحتاج إلى قوانين، فسورة الأنفال تتحدث عن قانوني النصر في غزوة بدر، والتي يمكن أن تكون عامة لكل الغزوات والمعارك بين الحق والباطل، وهما:

* **قوانين ربّانية (النصر من عند الله).**

* **قوانين مادية (الاستعداد للقتال بالعدة والتهيئة النفسية والعسكرية).**

والسورة تنقسم إلى قسمين بارزين كل منهما يتناول أحد هذين القانونين. والسورة تحتوي على توازن بين القانونين، النصر من عند الله بعد التوحيد الخالص لله كما في سورة الأنعام وأنّ كل شيء يرجع لله تعالى وأنّ النصر من عند الله أمر طبيعي، ولكن لا بدّ من التخطيط والاستعداد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣] بمعنى: نبذل كل الجهد ونتوكل على الله حتى ينصرنا.

وسميّت السورة بالأنفال: لورود كلمة (الأنفال) فيها، وهي لغة تعني الغنائم، وكان المسلمون بعد انتصارهم قد اختلفوا كيف توزع الغنائم عليهم والله تعالى أراد أنْ ينبههم إلى أنّ الغنائم هي من الدنيا والاختلاف عليها خلاف على الدنيا، والله تعالى يريد أنْ يرسّخ في قلوب المسلمين قوانين النصر بعيداً عن الدنيا ورموزها، والأنفال قضية فرعية أمام القضية الهامة التي هي تقوى الله.

ولذا فإن السورة ابتدأت بالسؤال عن الأنفال في الآية ١: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾. ولم تأت الإجابة عن السؤال إلا في الآية ٤١: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ

﴿ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال:٤١]. ولهذا حكمة من الله تعالى.

إذن فالمعنى أنّ سورة الأنفال تتحدث عن قوانين النصر وأكثر ما يؤثر على قوانين النصر الدنيا، والأنفال هي من الدنيا فكأن الأنفال هي التي تضيّع النصر، وفي السورة تحذير للمسلمين من الفرقة من أجل الدنيا وتوجيه لهم بالوحدة والأخوّة والتخطيط والرجوع إلى الله لتحقيق النصر.

القسم الأول: وما النصر إلا من عند الله: (الآيات في الربعين الأولين) تذكير أنّ الله تعالى هو الذي نصرهم، فعلينا أنْ نثق بالله تعالى ونتوكل عليه؛ لأنه صانع النصر. ودليل ذلك:

* **الترتيب للمعركة من الله تعالى:** ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾.

* **الإعداد النفسي للمعركة:** ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾، و: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ و:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

* **نزول الملائكة:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ و ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ .

* **موعد ومكان المعركة بترتيب من الله تعالى:** ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ لمّا أنزل الله تعالى المطر جعل الأرض عند المسلمين صلبة تعينهم على خفة الحركة، وجعل الأرض عند المشركين طينية أعاقت حركتهم في المعركة، وهذا بتدبير الله عز وجل.

* **نتيجة المعركة:** ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ و ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

وكل هذه الآيات يدل على أنّ الله تعالى هو الذي صنع النصر في غزوة بدر.

القسم الثاني من السورة: يتحدث في القوانين المادية للنصر.

* **أهمية التخطيط:** ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

* **موازين القوى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، فالأسباب المادية مهمة أيضاً حتى أنّ هزيمة الكفار تعود إلى الأسباب المادية؛ لأنهم لم يكونوا يفهمون الحرب جيداً، ولم يعرفوا عدوهم.

* **الأخوّة:** ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾. فقضية الأخوّة هي من أهم الأسباب المادية التي تصنع النصر، فالمؤمنون مهما اختلفت أجناسهم أمة واحدة. ونلاحظ ارتباط هذه السورة بسورة آل عمران من منطلق الأخوّة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣] و﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

﴿١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥] فسورة آل عمران تعين على الثبات، كما هو هدف السورة وآية ٤٦ في سورة الأنفال هي من قوانين النصر المادية.

وفي سورة الأنفال لفتة كريمة في صفات المؤمنين حيث إنّ الآيات التي في بداية السورة وصفت المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وفي ختام السورة جاء وصف المؤمنين أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ ، لكنّ هناك فرقاً بين الصفات في الآيتين، وهذا الفرق هو إثبات لقانوني النصر في السورة، فصفات المؤمنين في الآية ٤ هي صفات إيمانية يتحلى بها المؤمنون الذين يثقون بالله وبقدرته وبأنّ النصر من عنده، وجاءت في القسم الأول (القوانين الربّانية).

أما الآية ٧٤ فأعطت صفات المؤمنين المناسبة للأمور المادية والقوانين المادية، وجاءت في القسم الثاني للسورة (القوانين المادية). وهكذا مثلت صفات المؤمنين في السورة التوازن بين قوانين النصر الربانية والمادية.

وجاءت في سورة الأنفال **نداءات إلهية للمؤمنين** ست مرات بوصفهم بالإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كحافز لهم على الصبر والثبات في مجاهدتهم لأعداء الله وتذكير لهم بأنّ هذه التكاليف التي أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به، وأنّ النصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان:

* **النداء الأول**: التحذير من الفرار من المعركة والوعيد للمنهزمين أمام الأعداء بالعذاب الشديد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

* **النداء الثاني**: الأمر بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر الرسول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

* **النداء الثالث**: بيان أنّ ما يدعو إليه الرسول هو العزة والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

* **النداء الرابع**: بيان أنّ إفشاء سر الأمة للأعداء هو خيانة لله ورسوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

* **النداء الخامس**: التنبيه إلى ثمرة التقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

* **النداء السادس**: بيان طريق العزة وأسس النصر بالثبات والصبر واستحضار عظمة الله تعالى والاعتصام بالمدد الروحي الذي يعين على الثبات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

ثالثاً- من اللمسات البيانية فى السورة

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ عدة مرات في القرآن الكريم، ما دلالة الآيات التي تبدأ بهذا التعبير ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٩.

السؤال الثاني:

وردت في القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ و ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ فما دلالة إضافة الواو وحذفها؟

الجواب:

الواو تكون عاطفة، لكن عندما يبدأ موضوعاً جديداً لا يبدأ بالواو وإنما يبدأ بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، لأنه لا يريد أنْ يستكمل كلاماً سابقاً مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ أي: غير معطوفة على ما قبلها.

السؤال الثالث:

ما دلالة عدم تكرار كلمة: (أطيعوا) في الآية، وتكرارها في مواطن أخرى ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٣٢.

السؤال الرابع:

ما دلالة التعبير ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ في القران الكريم ؟

الجواب:

١ـ ورد هذا التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ في القرآن الكريم في (١٦) موضعاً؛ وهي: [البقرة ٩١ـ٩٣ـ٢٤٨ـ٢٧٨ وآل عمران ٥٦ـ ١٣٩ ـ ١٧٥ والمائدة ـ ٢٣ ـ ٥٧ ـ ١١٢ والأعراف ٨٥ والأنفال ١ والتوبة ١٣ وهود ٨٦ والنور ١٧ والحديد ٨].

بينما ورد التركيب ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾ في مكان واحد في آية التوبة ٦٢ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾

٢ـ وهذا التركيب العجيب يضع الناس أمام أنفسهم وجهاً لوجه، وسر هذا التركيب يكمن في كلمة (إن) وهي أداة شرط تستعمل في القرآن عندما يكون الأمر موضع شك قابلاً للظن والاحتمال. أما (إذا) فتستعمل في مواضع اليقين.

٣ـ وقد ورد تركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مع فئتين من الناس:

الأولى: وهم المؤمنون الصادقون الذين لا يُشكُّ في صدقهم وحسن بلائهم وسابق جهادهم وصحبتهم للنبي ﷺ.

الثانية: وهم المنافقون الفاسقون الذين لا يُشكُّ في خياناتهم وتلونهم وكذبهم.

٤ـ ومن السهل أنْ نفهم التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ مع الفئة الثانية؛ فهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين؛ ولذلك يخاطبهم الله عز وجل بأسلوب الشك في إيمانهم، ويبين للمؤمنين الصادقين كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ

أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [البقرة:٩١].

أمّا ورود هذا التركيب مع فئة المؤمنين الصادقين المخلصين، كما في آية الأنفال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ في غزوة بدر ومعه الصحابة الذين هم أكرم أهل الأرض بعد أنبياء الله، فمن الواضح أنّ مثل هذه الآية عندما ترد مع مثل هؤلاء الناس تكون تطهيراً لهم وتعليماً وتذكيراً، كأنها تضعهم في منزلة الشك في إيمانهم إنْ لم يفعلوا ما يأمرهم الله به فيهبوا للعمل بأحكام الله فيدفعوا عنهم صورة التردد والشك؛ وليدخلوا في دائرة الإيمان الوثيق الذي يعلمه الله منهم بصدق أقوالهم وأعمالهم.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف المؤمنين بهذه الصفات فى بداية سورة الأنفال؟

الجواب:

إذا امتدح الله المؤمن بصفات محددة مثلاً، فهذا حصر للمؤمن الخاص نحو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وهذه شهادة ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، فلماذا؟

السبب: أنّ الله امتدحهم بصفات لا تتوفر في كل المؤمنين، فليس كل المؤمنين توجل قلوبهم إذا ذكر الله، وفي الغالب لا يخافون، أمّا هؤلاء ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: تجده يتقزم ويتحفظ ويتلفت، فالصحابة الكرام كانوا إذا ذكر النبي ﷺ وكان الصحابي نائماً يستيقظ ويجلس، فكيف إذا ذكر الله عز وجل؟ ولهذا أصبح مؤمناً خاصاً متميزاً؛ ولذلك أعطى الله مواصفاته كاملة في القرآن.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الأنفال:﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وفي الرعد٢٨: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فكيف الجمع بين الخوف والطمأنينة ؟

الجواب:

١ـ المراد بالذكر في آية الأنفال هو ذكر عظمة الله تعالى وشدة انتقامه ممن عصى أمره؛ لأنّ آية الأنفال نزلت عند اختلاف الصحابة في غنائم بدر فناسب هذا التخويف.

٢ـ آية الرعد: المراد بالذكر هو ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأناب إليه.

٣ـ جمع بينهما في آية الزمر٢٣، فقال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والتقدير: تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها إلى حضرة الله، وهو لا يحس بالإدراك.

٤ـ قال تعالى: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ولم يقل: إلى رحمة الله؛ لأنّ من أحب الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله حقاً وإنما أحب شيئاً غيره، وأما من أحب الله لا لشيء سواه فهذا هو المحب الحق في الدرجة العالية، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

٥ـ قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط، وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معاً؛ لأنّ المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف، ولأنّ محل المكاشفات هو القلوب والأرواح.

٦ـ في آية الأنفال: نُسبت الزيادة﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ التي هي فعل الله تعالى إلى الآيات لكونها سبباً فيها، وهذا من الإسناد العقلي في القرآن الكريم. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير في آية الأنفال ١٠ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ وآية آل عمران ١٢٦ ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾؟ ولمَ ذكر ﴿لَكُمْ﴾ في آل عمران وحذفها في الأنفال؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٢٦.

السؤال الثاني:

في آية آل عمران عرّف ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ وفي آية الأنفال ١٠ استعمل التنكير، فلماذا؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٢٦.

❁❁❁❁

﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الأمن والأمنة ؟

الجواب:

١ـ الأمن: هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، وقد وردت تلك الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات.

ومن ذلك:

أ ـ آيتا الأنعام ٨١ـ٨٢: على لسان إبراهيم عليه السلام عندما هدده قومه وخوّفوه، فرد عليهم بأن بيّن لهم من هو الأولى بالخوف ومن هو الجدير بالأمن، ثم قدّم لهم

الجواب القاطع الدائم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ب ـ آية النور ٥٥: وفيها تصريح بتبديلهم أمناً بعد الخوف، أي: أن الأمن يعقب الخوف فيزيله ويزيل أسبابه.

٢ـ الأمنة هي الطمأنينة مع وجود سبب الخوف، وقد وردت مرتين في القرآن، وكلاهما في سياق واحد، وهو تثبيت الله للمؤمنين في معاركهم مع الكفار، وإنزاله سبحانه الجنود الربانيين ليكونوا معهم، مثل الملائكة والمطر والنعاس.

والآية الأولى هي آية الأنفال ١١، وهي تتحدث عن تثبيت المؤمنين في غزوة بدر، والثانية هي آية آل عمران ١٥٤ في غزوة أُحد، حيث تحدثت الآية عن النعاس يغشى المؤمنين ليزيل شعورهم بالخوف، والخائف لا ينام عادة وكذلك المهموم والمغموم، ولكنّ الله جعل المؤمنين في غزوتي بدر وأحد ينعسون؛ ليزيل عنهم الشعور بالخوف، علماً بأنّ المعركة ما زالت مستمرة وأسباب الخوف ما زالت قائمة، فهو أمر معنوي نفسي، ولم تستعمل الأمنة إلا في سياق المعارك. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية آل عمران ١٥٤: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وفي سورة الأنفال ١١ جاء ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: مع التقديم والتأخير بين النعاس والأمنة، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.

❁❁❁❁

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت ﴿يُشَاقِقِ﴾ بدون إدغام مرة ومدغمة مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ ؟

الجواب:

فكّ الإدغام مع الجزم ﴿يُشَاقِقِ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة:٢١٧] هذا يسري على جميع المضعّفات في حالة الجزم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استعمال يشاقّ ويشاقق؟

الجواب:

١ـ حيث ورد ذكر الرسول ﷺ يُفكّ الإدغام ﴿يُشَاقِقِ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

٢ـ وحيث أُفرِد الله تعالى تستخدم ﴿يُشَآقِّ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ [الحشر:٤].

السؤال الثالث:

قوله تعالى في آية البقرة ٢١١ والأنفال ١٣: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ بينما أكدها باللام في آية الرعد ٦ بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾، فما سبب تخفيف أو زيادة التوكيد؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١١.

❊❊❊❊

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات (ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ المعاني اللغوية:

ذاق:

وردت في القرآن الكريم ٦٣ مرة، وهي تعني ذوق العذاب الأليم والبأس والموت والحميم والعذاب الأكبر والعذاب الأدنى وعذاب النار وعذاب السعير وعذاب الحريق، أي: بشكل عام يذوق الإنسان وبال أمره وشر عمله ويجني ما كسبت يداه.

انظر الآيات:[آل عمران ١٠٦ ـ السجدة ١٤].

أذقنـــا:

وهي تعني ذوق الرحمة والنعماء، والفاعل في الفعل هو الله تعالى، فمنه الرحمة والخير.

انظر الآيات: [يونس ٢١ ـ الشورى ٤٨].

٢ـ في آية سورة الأنفال ١٤ ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ نلاحظ ما يلي:

أ ـ في الآية يوجد التفات، وهو أسلوب بلاغي، فبعد أنْ كان الضمير للخطاب ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ التفت إلى الغائب، فقال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

ب ـ الكفار هم الذين أخزاهم الله عز وجل في غزوة بدر، لكنّ القرآن لم يقل مثلاً (وأن لكم عذاب النار)، بل قال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ ذلك أنّ الله تعالى يعلم أنّ ممن كانوا في بدر كافرين أثناء المعركة سوف يسلمون ويحسن إسلامهم مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص و عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان وغيرهم، ولو

قال: وأنّ لكم عذاب النار، لدخل هؤلاء في هذا الحكم. لذلك قال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ أي: من يبقى منهم على كفره، ومن يدخل في دائرة الكافرين إلى يوم الدين.

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (إدبار وأدبار)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة ق: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٤٠] وقال في سورة الطور: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور:٤٩].

(الأدبار) جمع دُبر بمعنى خلف، كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة، أي: بعد انقضائها، وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال:١٥-١٦].

أما (الإدبار) فهو مصدر فعل أدبر، مثل: أقبل إقبالاً، والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تُدبر، أي: تغرُب، عكس (إقبال).

السؤال الثاني:

ما دلالة الفعل (باء) في الآية؟

الجواب:

التبوء هو الاتخاذ، و(باء) بمعنى رجع إلى مكانه، وكأنما الإنسان عندما يخرج من بيته يرجع إليه دائماً، يعني: يبوء إلى داره، وأحياناً تكون بمعنى (رجع) بشكل عام، كما في الآيات:

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ أي رجع من عمله بغضب من الله سبحانه وتعالى.

﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المائدة:٢٩] أي ترجع من هذا العمل حاملاً إثمي.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿زَحْفًا﴾ ما منظومة كلمات الجهاد في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ لماذا لم يقل الحق: هرولوا إلى القتال ؟ وما معنى ﴿زَحْفًا﴾ ؟

الجواب:

الزحف هو انتقال كتلة لا ترى الناقل فيها، ومن يراها يظن أنّ الكتلة كلها تتحرك.

وكأنّ الحق يقصد: أريد منكم أنْ تتحركوا إلى الحرب كتلة واحدة متلاصقين تماماً، فيظهر الأمر وكأنكم تزحفون.

و(زحفاً) أصلها (زاحفين) على الحال، ويجوز أنْ يكون حالاً للكفار، كما يجوز أن يكون حالاً للمؤمنين، ثم عدل سبحانه عن اسم الفاعل، وجاء بالمصدر؛ ليظهر الجيش كله وحدة متماسكة، كما قال الشاعر:

خميسٌ بشرقِ الأرضِ والغربِ زحفُه وفي أُذُنِ الجوزاءِ منه زمازِمُ

والزمازم صوت الرعد، ومن أراد أنْ يرى الكتلة كيف تسير بهذه الصورة فلينظر إلى الطواف أثناء الحج من الدور الثاني من الحرم المكي.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾﴾ تحذير من الفرار من مواجهة العدو.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ حيث نفى أولاً ما أثبته آخراً ؟

الجواب:

النبي ﷺ رمى أولاً والصحابة قاتلوا، والله تعالى هو الذي أوصل ما رماه الرسول عليه السلام إلى وجوه الكفار. وفي الآية معنى مطلوب، وهو رد الفاعلية إلى الله في كل شيء.

السؤال الثاني:

ما نوع الفاء في كلمة (فلم تقتلوهم)؟

الجواب:

الفاء هنا تسمى الفصيحة، وقد وقعت الفاء في جواب شرط مقدم؛ أي: إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم.

لمزيد من التفصيل حول فاء الفصيحة، انظر آية الأنعام ١٥٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾

السؤال الأول:

نلاحظ أنه في آية الأنفال ٢٠ حذفت التاء، فقال: ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾، وهي خطاب للمؤمنين، ولم تحذف التاء في آية هود ٥٢، فقال: ﴿تَتَوَلَّوۡاْ﴾، علماً أنّ الخطاب فيها للكافرين، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ ـ تولي المؤمنين أقل من تولي الكافرين؛ ذلك لأنّ المؤمنين مطيعون لله بخلاف الكفرة، فتوليهم عام شامل، فلمّا كان تولي المؤمنين أقل حذف التاء للدلالة على قلة توليهم، وزادها مع الكفار للدلالة على زيادة توليهم.

٢ ـ كلمة ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ للمؤمنين تدل عن النهي عن التولي مهما كان قليلاً.

السؤال الثاني:

إلى أين يرجع الضمير في ﴿عَنۡهُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

إذا تقدم شيئان أو أكثر مما يصلح للتفسير فالأصل أنْ يعود الضمير على الأقرب، نحو: جاء محمد وخالد فأكرمته، أي: أكرمت خالداً.

وفي آية الأنفال الضمير ﴿عَنۡهُ﴾ عائد على القريب، وهو الرسول ﷺ.

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾ ؟

الجواب:

كلمة دابة تعني كل ما يدب على الأرض، ولكنها خُصت عرفاً بذوات الأربع، وتجمع على دواب، والوجود مرتقى من حلقات أربع:

١ـ الجماد.

٢ـ النبات.

٣ـ الحيوان.

٤ـ الإنسان.

ويجمع هذه الأشياء الأربعة رباط واحد، وهو أنه أعلى مرتبة في الأدنى هي أول مرتبة في الأعلى.

ـ فمثلاً أعلى شيء في الجماد يُمثل أول شيء في النبات مثل المرجانيات، فكأنّ الجماد له ارتقاءات في ذاته تتوقف عند مرحلة لا يتخطاها فلا ترقى إلى أنْ تصير نباتاً، أو أنْ يصبح النبات حيواناً، أو يصبح الحيوان إنساناً، وكل قسم يظل مستقلاً بذاته وفيه ارتقاءات تقف عند حد معين.

ـ هناك ارتقاءات في النبات تصل إلى الحس كنبات الظل و(الست المستحية) وهي تغلق أوراقها فور اللمس، والحس أول مرتبة في الحيوان لكنها لا ترتقي إلى حيوان.

ـ والحيوانات لها ارتقاءات فهناك حيوانات تستأنس مثل الجمل وحيوانات تدرب كالأسد والنمر، وحيوانات تقلد كالقرد الذي يملك درجة من الفهم، لكن لا يستطيع هو أنْ يعلِّمها لبني جنسه.

وهناك حيوانات لا تستأنس، بل تظل متوحشة كالثعبان والبرغوث، وقد تجد بنتاً صغيرة تقود جملاً كبيراً، بينما يجعلك البرغوث ساهراً كل الليل.

إذن الوجود بحلقاته الأربع لا ترتقي حلقة إلى الأعلى منها، بل تقف عند حد معين، وتلك الشبهة التي أصابت بعض المفكرين في أن يظنوا أن أصل الإنسان قرد، والذي يهدم نظرية داروين من أولها هو هذا الفهم لطبيعة التطور.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وجاءت في القرآن آيات كثيرة عن الربط على القلوب، فهل هناك تناقض بين (الربط والحول)؟

الجواب:

بشكل عام: الحول هو القوة وهو الحجز أيضاً، والربط هو الشد والتوثيق والتقوية.

١ـ في آية الأنفال يقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ أي: أن الله تعالى أعطاكم هذه الميزة بأنْ يتوجه إليكم رسول الله ﷺ بالدعوة وأنْ تستجيبوا له، مع أنّ الله تعالى قادر أنْ يرغمكم إرغاماً على الاستجابة فالله هو المتصرف الحقيقي بقلوبكم، وهو مجازاً أقرب إلى قلوبنا منا، أي: أنّ الله أكرمنا بأنْ طلب منا الاستجابة؛ لأنّ في الاستجابة الحياة لنا، ولو شاء الله لحملنا حملاً على الاستجابة. لذلك هذا نوع من التكريم للإنسان بأنه دُعي إلى الاستجابة إلى الله ورسوله.

٢ـ الربط هو الشد والتقوية، وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الكهف:١٤] أي: قويناها بالصبر.

وكذلك في قصة موسى عليه السلام ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [القصص:١٠] أي: قويناه وصبّرناه.

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

الآية الكريمة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال:٢٤] يحول يعني: يحجز، وهو مجاز عن قرب الله من الإنسان، ويعني أنه تعالى يفصل بين الإنسان وقلبه، وهو يتمكن من قلوب العباد فيصرّفها كيف يشاء، يفسخ الإرادة أو يعطيه إرادة، يغير مقاصده كما ورد في الحديث (**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**) فهو أملك لقلوب العباد منهم، فهو يحول بين المرء

وقلبه، أي: يحجز وهو أقرب إليه، وهو قريب جداً، بحيث يحجز بين المرء وقلبه ويغير ما يشاء.

❁❁❁❁

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ ما كلمات منظومة ألطاف الله على عباده ؟

الجواب:

الكلمات التالية في منظومة ألطاف الله على عباده المؤمنين، ومنها:

أيّد والتأييد:

هي لغة الشدة والصلابة والقوة، والتأييد عطاء من الله تعالى للعبد.

❁ شواهد قرآنية:

- ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ [الأنفال:٢٦].
- ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الصف:١٤] ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران:١٣].

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة:١١٠].

- ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠].
- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧].

مدّ ـ مدد ـ أمدّ:

أمدّ: إرسال المدد من الغير على دفعات كإمداد الملائكة، وهذا للخير عامة.

مدّ: تستعمل للشر عامة، و(مدُّ العذاب) بمعنى: مستمر بلا توقف.

* شواهد قرآنية:

﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال:٩].

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم:٧٩].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ [ق:٧] يعني بسطها، ويعني رزقها إلى يوم القيامة.

نصر:

هو أنْ ينجينا الله بنفسه وبشكل مباشر، ويكون عادة عند وشوك الهزيمة فيأتي النصر من الله بعد أنْ يستنفد البشر كل طاقاتهم.

* شواهد قرآنية:

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

أعان:

إذا لم يكن النصر عسكرياً يكون عوناً، والإعانة هي نوع من أنواع المدد غير العسكري، مثل التبرعات وغيرها.

* شواهد قرآنية:

﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥].

لمزيد من التفصيل لكلمات هذه المنظومة انظر آية يوسف ٢١.

❁❁❁❁

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ؟

الجواب:

أخبرنا الله عز وجل أنّ المال والأولاد فتنة، والفتنة اختبار، والفتنة لا تذم ولا تمدح إلا بنتيجتها، فقد تكون ممدوحة إذا نجحت في الاختبار، وتكون مذمومة حين ترسب في الاختبار.

وقد قدّم الحق سبحانه المال على الأولاد، لا لأن المال أغلى ولكن:

١ـ كل واحد له مال مهما قلّ وإن لم يكن إلا ملبسه، لكن ليس لكل واحد أولاد.

٢ـ المال عام وهو ينفق لزواج الأولاد. لذلك قدّم المال على الأولاد.

السؤال الثاني:

ما دلالة أنه قال فيها ﴿أَنَّمَآ﴾ أولا، ثم قال ﴿وَأَنَّ﴾ ؟

الجواب:

قال فيها مرة: ﴿أَنَّمَآ﴾ ومرة قال: ﴿وَأَنَّ﴾ وسر ذلك أن ﴿أَنَّمَآ﴾ للحصر، أي: ليست الأموال والأولاد إلا للفتنة والاختبار لإظهار الصلحاء من غيرهم. ثم قال ﴿وَأَنَّ﴾ ولم يقل و(أنما)؛ لأنه لا موجب للحصر، فإنّ الله عنده أجر عظيم وعقاب أليم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال وصف العظيم مع الفضل في الآية؟

الجواب:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ فعدّد الفضل وذكر منه: يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم، إذن فهذا فضل متعدد وأُسند مباشرة إلى الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ﴾ فاستعمل معه كلمة (العظيم).

السؤال الثاني:

لماذا ذكر التكفير مع السيئات ولم يذكر شيئاً مع المغفرة في آية سورة الأنفال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الذنب كبير، والسيئة هي الشيء الذي يسيء إليك، وقد يكون طارئاً. أمّا الذنب ففيه معنى الالتصاق ومنه أُخِذ ذَنَبُ الحيوان لالتصاقه به، فالسيئة سريعة المحو، أمّا الذنب فيلتصق؛ ولذلك الغفران فيه معنى القطع.

٢ـ وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم، وحيثما وردت كلمة (الغفران) بكل صيغها مثل(يغفر، نغفر) والتكفير (يكفّر عنكم) وجدنا أنّ التكفير خاص بالسئيات والغفران خاص بالذنوب.

٣ـ كلمة (كَفَرَ وغَفَرَ) تختلفان فقط في أنّ الغين أقوى من الكاف، فالغفران أقوى من التكفير، والذنب أشد من السيئة، فالسيئات هي التي تُكفّر إذا اجتنبت الكبائر، وفي الكلمتين (كفر وغفر) معنى التغطية والقطع.

٤ـ ولننظر في استعمال (كفّر وغفر) نجد أنه قد شُدّدت كلمة (كفّر)، ولم تشدد كلمة (غفر) مع أنه جائز لغة، وتشديد كلمة (كفّر)؛ لأنّ السيئات أو صغائر الأمور هي كثيرة عند الناس، وكثيراً ما يقع الانسان في الصغائر، لكن عليه الانتباه، وأنْ لا يستهين بالسيئات؛ لأنّ الإنسان لا يدري ما الذي يُدخله النار، لكنّ الوقوع في الكبائر نادر عند المؤمن، أمّا اللمم فكثيرة؛ لذا استعمل صيغة التكفير مع السيئات ﴿نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:٣١].

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المكر في القرآن؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾؟

الجواب:

١ـ الذي يلفت النظر في الآية أن الله تعالى قال عن نفسه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ والشائع أنّ المكر فيه نوع من الدهاء.

٢ـ المكر هو التدبير، وفيه نوع من الخفية والسرّية، والمكر فِعل من الإنسان، والمكر تدبير تستعمله العرب في الغالب للسوء والخداع، كما أنّ اللغو هو تحريك اللسان، لكن صار له خصوصية؛ حيث اقتصر على الكلام في الموضوعات التي لا فائدة من ورائها، وهذا تخصيص دلالي للاستعمال، وهو غير المعنى المعجمي.

٣ـ المكر هو التدبير في الأصل، لكنّ الاستعمال اللغوي جعله لما فيه إساءة للمقابل، فالفعل (يمكر) أي يدبر شيئاً مسيئاً لآخر، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال:٣٠] أي هذا المكر هو بسببك يا محمد في نظرهم ،فهم جعلوك سبباً لمكرهم ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾

[الأنفال: ٣٠] وكان لديهم ثلاثة خيارات يفكرون فيها عندما كان الرسول عليه السلام في مكة، وهي:

أ ـ الإثبات بمعنى الإقامة، لكن العرب تستعمله لضربه بالسيف أو بغيره وإثخان جراحاته بحيث لا يتحرك، وهو ليس موتاً ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ معناه ليثخنوك بالجِراح حتى لا تستطيع أنْ تتحرك، وبعض العلماء قال: ليس بهذا المعنى وإنما ليحصروك في مكان واحد، وهم يريدون أنْ يضربوه بسيوفهم من غير قتله فيؤذوه في الجراحات فيلزم بيته ويبقى مدة في بيته يستقر وينجون من دورانه على القبائل و دعوته مع الناس.

ب ـ وقسم قال: نقتله.

ج ـ وقسم قال: ننفيه من أرضنا.

٤ـ فهم يمكرون ويدبرون هذا التدبير، والله تعالى له تدبير آخر: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ أي: خير المدبرين وأحسن من يدبر التدبير، هم تدبيرهم فاشل، والتدبير الجيد هو من الله تعالى، فأي التدبيرين أحكم وأفضل؟ تدبير الله عز وجل.

وإذا أخذنا الكلمة على المعنى اللغوي الأساسي نجد أنها للتدبير، وإذا أردنا فيها معنى تدبير السوء، فما يلقيه الله تعالى من سوء سيكون عليهم لأنّ إنجاء الرسول ﷺ سوء لهم ومكر عليهم وإيذاء لهم، وخسارة لما هم فيه من مناصب وجاه وسلطة لمّا أقيمت دولة المدينة.

٥ـ مع ذلك يقول بعض العلماء: إنّ الاستعمال هنا يسمى المشاكلة، أي: تستعمل اللفظة التي استعملها عدوّك بالمعنى المقارب، وإنْ كنت لا تعنيه ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ هذا المكر

من الله ليس تدبيراً سيئاً في ذاته، وإنما هو سوء لهم أو سوء عليهم، والأصل في غير القرآن: ويدبر الله لهم العقاب، كما في قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٩٤].

وصحيح أنّ اللفظة في دلالتها الأساسية عدوان، لكنها في الحقيقة ردٌّ لعدوان، وإنما استعملت للمشاكلة. والعرب قديماً فهموا معنى مكر الله تعالى، وإذا رجعنا إلى الأصل اللغوي نجد أنه ليس فيه شيء، وإنما المكرهو التدبير، وهناك تدبير حسن وتدبير سيء، ونحن يجب أنْ ننظر للكلمة كما كانت تستعمل عند نزول القرآن.

٦ـ دلالة استعمال صيغة المضارع في ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾، لأنهم مستمرون بعملهم لم يتوقفوا عن ذلك، وعندما كان الرسول ﷺ في مكة كانوا يشتغلون بهذا، وعندما انتقل إلى المدينة لم يتوقف مكرهم والتحالف مع القبائل ومضايقة المسلمين، لذا صيغة المضارع إشارة إلى الاستمرار، واستعمله في الحال بدليل الاستمرار (ليثبتوك، يقتلوك، يخرجوك).

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ؟ولماذا لم يستعمل القرآن هنا كلمة ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ كما في الآية ٢٦ من سورة الأنفال؟

الجواب:

١ـ نلحظ هنا أن الله تعالى لم يأت بكلمة ﴿وَاذْكُرُوٓا۟﴾، كما في الآية ٢٦ من سورة الأنفال: ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ حيث جاء بكلمة ﴿وَاذْكُرُوٓا۟﴾ في جانب الصحابة.

وذلك لأنه لا يطرأ على البال أنْ يغفل رسول الله ﷺ عن ذكر الله؛ لأنّ الذكر هو مهمته، كما قال الله له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية:٢١].

فالذكر والتذكير هما وظيفة الرسول ﷺ ويختلف هذا عن مهمة الإيمان في حياة المؤمنين ،لأنّ الإيمان بالنسبة لهم إنما ليعدِّل حياتهم؛ لذلك جاء بالظرف فقط.

٢ـ ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي خير المدبّرين على المعنى الأساسي لكلمة المكر، وهذا يسمى عند العرب بالمشاكلة، أي: تستعمل اللفظة التي استعملها عدوك.

واستعمل كلمة ﴿خَيْرُ﴾ لأن تدبير الله مُحكم وأفضل، بينما تدبيرهم فاشل.

لذلك ليست نسبة المكر إلى الله بمعنى الجهل والسوء، وإنما هو من المشاكلة اللفظية، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] هي عقوبة، وإنما قال: ﴿سيئة﴾ على سبيل المشاكلة.

قال الشاعر:

قالوا: اقترح شيئاً نُجد لك طبخه قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا

٣ـ استعمل الفعل المضارع ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ للدلالة على استمرارهم بعملهم هذا.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ما كلمات منظومة الحبس في مراحله المختلفة ؟

الجواب:

الكلمات هي: حبس ـ سجن ـ إمساك ـ توقيف إثبات ـ حجر ـ رباط.

انظر الجواب في آية النساء ١٥.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا
حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الدعاء في آية ٣٢ من سورة الأنفال؟

الجواب:

العذاب سيقع سواء هم سألوه أم لم يسألوه، فهو واقع على الكافرين لا محالة، وروح سؤال العذاب تتكرر عند العرب في أكثر من موضع، انظر في سورة الأنفال آية ٣٢ و٣٣ ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

العرب كانت تعرف الله عز وجل، ويقولون: يا الله واللهم.

إني إذا مـــا حـــدثٌ ألّما أقـــول يـــااللهمَّ يـــااللهمَّا

يعني حينما يقول: إذا أصابنا شيء ندعو، إذا حدثٌ ألمّ يقول: ياللهم، يجمع بين يا والميم.

فماذا نتوقع من قوم يقولون: يا رب إذا كان ما يقول محمد ﷺ هو الحق من عندك فما الجواب؟ المنطق: إذا كان هذا هو الحق فاشرح صدورنا له، وإذا كان هذا هو الحق فاجعلنا نتّبعه، لكن لاحظ هذه القسوة في قلوبهم وكيف أخذتهم العزة بالإثم، فقالوا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يا مساكين أنتم تقولون إنْ كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة! هذا يدل على انفعالهم الوقتي، لأنّ القرآن الكريم بعد ذلك وضّح لنا حالتهم النفسية.

السؤال الثاني:

ما معنى قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾؟

الجواب:

في تفسيره وجوه:

١ـ أي: وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار وفيهم مؤمنون يستغفرون. فاللفظ وإنْ كان عاماً إلا أنّ المراد بعضهم، كما يُقال: قتل أهل المحلة رجلاً.

٢ـ بمعنى وما كان الله ليعذب هؤلاء الكفار، وفي علم الله أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه، فوصفوا بصفة أولادهم.

٣ـ أي: لو استغفروا الله لم يعذبوا، فكان المطلوب استدعاء االاستغفار منهم.

٤ـ بعضهم قال: الاستغفار هنا بمعنى الإسلام، والمعنى: أنه كان معهم قوم في علم الله أنهم سيسلمون، منهم أبو سفيان بن حرب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وغيرهم كثير.

٥ـ وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة، وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون الله. قاله الضحاك وأبو مالك.

٦ـ كان المشركون يقولون عند طوافهم بالبيت: غفرانك. قاله: أبو موسى ويزيد بن رومان، ومحمد بن قيس. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما الفرق البياني بين الدعاء بكلمة (رب) والدعاء بكلمة ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ في آية الأنفال ٣٢؟

الجواب:

كلمة (رب) فيها العبودية، والإنسان يلجأ إلى مربّيه ومتولّيه ورازقه. وفي القرآن كله لم يحصل دعاء بكلمة (اللهم) إلا في مكان واحد، وهو قوله تعالى في دعاء عيسى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة:١١٤] وقد جاء لفظ ربنا بعد اللهم.

لمعرفة معنى كلمة (اللهم) انظر آية آل عمران ٢٦.

السؤال الرابع:

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لماذا استعمل الصيغة الفعلية أولاً ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ ثم استعمل الصيغة الاسمية ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾؟

الجواب:

١ـ وجود الرسول ﷺ بينهم مانع للعذاب، لكن هذا المنع موقوت ببقاء الرسول ﷺ فيما بينهم.

أمّا الاستغفار فقد جعله الله تعالى مانعاً ثابتاً، والاستغفار يدفع العذاب ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ فبقاء الرسول ﷺ بينهم متغير ولو تركهم حق عليهم العذاب.

٢ـ ونلاحظ من كرم الله تعالى قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فربنا يدفع العذاب ولو لم يكن الاستغفار صفة ثابتة فيهم، أي يستغفرون الله قليلاً، لأنّ رحمته واسعة تسع كل شيء.

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩] فإذا كان الظلم صفة ثابتة فإنه يفضي بهم إلى الهلاك، لكنْ في الاستغفار حتى لو لم يكن ثابتاً يغفر الله تعالى من رحمته.

٣ـ جعل الاستغفار مانعاً ثابتاً من العذاب، أي: وحالتهم يستغفرون، فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾.

ومنع العذاب عن المشركين خلال مدة بقائه ﷺ بينهم، فجعل الحالة الموقوتة بالصيغة الفعلية ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ .

٤ـ في آية القصص ٥٩ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ فاستعمل الصيغة الاسمية؛ وذلك لأن:

أ ـ الظلم من الأسباب الثابتة في إهلاك الأمم؛ فجاء بالصيغة الاسمية للدلالة على الثبات، فقال: ﴿مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [القصص:٥٩].

ب ـ جاء بالظلم بالصيغة الاسمية دون الفعلية، فقال: ﴿وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص:٥٩] ولم يقل: (يظلمون)، وذلك معناه أنّ الظلم كان وصفاً ثابتاً لهم مستقراً فيهم غير طارىء، فاستحقوا الهلاك بهذا الوصف السيء.

ج ـ انظر كيف ذكر أنه يرفع العذاب عنهم باستغفارهم في آية الأنفال ٣٣ ولم يكن وصفاً ثابتاً فيهم، وأنه لا يهلكهم إلا إذا كان الظلم وصفاً ثابتاً فيهم، فإنه جاء بالاستغفار بالصيغة الفعلية ﴿يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وجاء بالظلم بالصيغة الاسمية ﴿ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص:٥٩] فانظر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه.

السؤال الخامس:

ما دلالة اللام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ؟

الجواب:

قد تكون هذه اللام للتعليل أو لام الجحود و(ما) للنفي، تماماً كما في قوله تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ

ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم:٤٦] واللام في ﴿لِتَزُولَ﴾ [إبراهيم:٤٦] هي لام الجحود، و(إنْ) نافية بمعنى (وما كان مكرهم لتزول منه الجبال).

السؤال السادس:

في الآية نفى العذاب ثم أثبته، فما معناه؟

الجواب:

١ـ المنفي عذاب الدنيا الذي كانوا يستعجلونه، والمثبت عذاب الآخرة.

٢ـ المنفي تعذيبهم بشرط كونك فيهم، والمثبت عدم ذلك.

٣ـ المنفي عذاب الكل لعلمه تعالى أنّ بعضهم سيسلمون، والمثبت عذاب بعضهم كيوم بدر.

السؤال السابع:

قال في آية الأنفال٣٣: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وقال في آية التوبة١٤: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ هو عذاب الاستئصال، والمراد من قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:١٤] هو عذاب القتل والحرب والأسر واغتنام أموالهم.

والفرق بين الأمرين أنّ عذاب الاستئصال قد يتعدى إلى غير المذنب وإنْ كان في حقه سبباً لمزيد الثواب، وأمّا عذاب القتل والأسر فالظاهر أنه يبقى مقصوراً على المذنب. والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنفال ٣٥: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ وقال في آية الأعراف ٣٩: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ آية الأنفال في قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية، فناسب ﴿تَكْفُرُونَ﴾ .

٢ـ آية الأعراف في قوم ضلّوا وأضلوا غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب لزيادة الكسب في الضلالة.

السؤال الثاني:

ما دلالة (المكاء والتصدية) في الآية ؟ ولماذا جاء الفعل ﴿كَانَ﴾ مذكراً مع أن الصلاة مؤنثة؟

الجواب:

١ـ المكاء والتصدية هما الصفير والتصفيق وكلاهما مذكر، وجاء الفعل ﴿كَانَ﴾ مذكرا مع كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة:٥]؛ لأنّ المراد بالصلاة هنا الصفير والتصفيق، وكلاهما مذكر فجاء الفعل مذكراً.

وكذلك الصلاة عندهم تفيد الطواف، والطواف مذكر أيضاً فجاء الفعل مذكراً.

٢ـ كيف يذكر ويؤنث جمع التكسير في الاستعمال القرآني ؟

والجواب:

أ ـ أنه يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

ب ـ يؤنث الفعل مع الكثرة، ويذكر مع القلة، كما في الآيات:

ـ في آية يوسف ٣٠: حاشية امرأة العزيز عدد محدود، فذكّر.

ـ في آية الحجرات ١٤: الأعراب كُثُر، فأنَّث.

ـ في آية آل عمران ١٨٣: هم مجموعة محدودة من رسل بني إسرائيل، فذكّر مع العدد المحدود.

ـ في آية الأعراف ٥٣: الرسل المذكورون هم جميع الرسل، وهم أكثر من سابقتها فأنَّث.

ـ في آية البقرة ١١٣: اليهود كُثُر وكذلك النصارى، فأنّث.

ـ في آية الممتحنة ١٢: تندرج هذه الآية في سياق الكثرة والقلة وفي سياق زيادة الفواصل أيضاً.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما إعراب كلمة ﴿نِعْمَ﴾ في الآية؟

الجواب:

(نِعْمَ) فعل ماضٍ جامد، وهذا أشهر إعراب، وإنْ كان هناك خلاف بين الكوفيين والبصريين: هل هي اسم أو فعل؟ لكن على أشهر الأقوال أنه فعل ماض جامد. و(نِعم وبئس) يأتي في باب النحو، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال:٤٠]، ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود:٩٨] وبعدها فاعل؛ لأنه يأتي بعدها المقصود بالمدح والذم.

وعندما تقول: نِعْمَ الرجل محمود، نعربها على أشهر الأوجه: نِعْمَ: فعل ماض على أشهر الأوجه، (الرجل) فاعل، (محمود) فيها أوجه متعددة: منها أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: الممدوح محمود، أو مبتدأ والخبر محذوف: محمود الممدوح، ورأي آخر (محمود) مبتدأ مؤخر، وجملة (نعم الرجل) خبر مقدم، يعني: (محمود نِعم الرجل).

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ
ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصل ﴿أَنَّمَا﴾ في آية سورة الأنفال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾؟ وما دلالة فصل ﴿أَنَّمَا﴾ في آية الأنعام ١٣٤ ووصلها في آية الذاريات ٥ والمرسلات ٧؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ١٣٤.

۞۞۞۞

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى
جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا
لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آيات التزيين يستعمل القرآن (زينا) و (زُين)، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤.

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿وَإِذْ﴾ في الآية ؟ وكيف زين الشيطان للمشركين ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ معناه: أي اذكر أو عطف على ما تقدم.

٢ـ في كيفية تزيين الشيطان، أنه تصور لهم في صورة إنسان وهو سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بني بكر، وكان من أشرافهم في جند الشيطان ومعه راية، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ لكن إبليس نكص على عقبيه لمّا رأى جبريل والملائكة في جيش المسلمين فخاف وفر.

السؤال الثالث:

قول الشيطان يوم بدر في الآية: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ لِمَ لم يقل ذلك حين أبى السجود ؟

الجواب:

١ـ الخوف هنا بمعنى العلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٢٩] أي: إلا أن يعلما عدم إقامة حدود الله.

٢ ـ أنّ الشيطان عَلِمَ ما أُعدّ له من عذاب القيامة، فلمّا رأى الملائكة يوم بدر ونزولها إلى الأرض توهم أنه الوقت المعلوم وأنه قد حان أجل عذابه.

٣ ـ صدق إبليس في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ وكذب في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾.

وقوله تعالى:﴿تَرَآءَتِ﴾ أي: التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الأخرى. وقوله: ﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع. والله أعلم.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ؟

الجواب:

قد يُحذف للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما حذف جواب القسم في:

١ـ أوائل سورة ق: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ:٣١].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق:١].

٤ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠].

وهذا الحذف حتى يذهب الذهن كل مذهب بأنّ هذا أمر عظيم وهناك من يستدعي العقوبات، لذلك جواب (لو) محذوف تقديره: لرأيت منظراً هائلاً وعذاباً شديداً.

السؤال الثاني:

هل هناك قراءة أخرى لكلمة ﴿يَتَوَفَّى﴾ في الآية ؟

الجواب:

قرأ ابن عامر وحده ﴿إذ تتوفى﴾ بالتاء على تأنيث لفظ الملائكة والجمع والباقون بالياء على المعنى.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ معناه: أي ولو شاهدت وعاينت؛ لأن (لو) تَرُدّ الفعل المضارع إلى الماضي كما تَرُدّ الماضي إلى المضارع.

السؤال الرابع:

لماذا رفعت لفظة ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في الآية ؟

الجواب:

لفظة الملائكةُ، جاءت بالرفع، وفيها وجهان:

أ ـ رفعها بالفعل ﴿تَرَىٰٓ﴾ وجملة ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حال منهم.

ب ـ أو مرفوعة بالابتداء، وجملة (يضربون) خبر.

السؤال الخامس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ و ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي يقبضون أرواحهم على استيفائها، وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ هذا قول الملائكة للكفار؛ لأنه صح أنه معهم مقامع، وكلما ضربوا بها التهبت النار. والله أعلم.

السؤال السادس:

لماذا قدّم المفعول به في الآية ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ؟

الجواب:

الأصل أنْ يتقدم الفاعل على المفعول، لكن يجوز تقديم المفعول على الفاعل في مقام الاهتمام والعناية.

وفي الآية قدم المفعول به ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، لأنّ الكلام على الذين كفروا وتغليظ عقوبة الكفر؛ ولأنّ الملائكة يتوفون بني آدم جميعاً مؤمنهم وكافرهم، والغرض هنا بيان احتضار الكافر، وأنه ليس كاحتضار المؤمن.

السؤال السابع:

هل تستعمل كلمة الملائكة في القرآن الكريم بالتذكير أو بالتأنيث ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٣١.

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في الاستعمال بين: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ التقديم: أنْ تعطي وتقدم مما عندك، أمّا الكسب: فأن تجمع وتأخذ بنفسك.

٢ـ لننظر كيف يستعمل القرآن الكريم (قدمت وكسبت):

ـ آية الروم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم:٤١] وقبلها ذكر كسباً غير مشروع فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩] وهذا كسب فقال: (بما كسبت) أيديكم، وهذا كسب، وليس (بما قدمت).

ـ آية الشورى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠] قبلها ذكر كسب وسوء تصرف فقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورى:٢٧] هذا كسب فقال: (كسبت).

٣ـ آيات التقديم ليست في سياق الكسب، نحو قوله تعالى:

ـ آية الروم ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الروم:٣٦] قبلها قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الروم:٣٣] ليس فيها كسب.

ـ آية الشورى ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى:٤٧-٤٨] ليس فيها كسب.

ـ آية آل عمران ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٨١-١٨٢] كأنّ هذا الكلام مقدم من قِبَلهم.

ـ آية الأنفال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنفال:٥٠-٥١]

فـ(التقديم) لما فعلتم وقدمتم لأخراكم، لكنّ (الكسب) يكون في نطاق الكسب والاستحواذ.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاث مرات، والمعنى أنّ الله سبحانه ينفي الظلم عن نفسه إطلاقاً.

وصيغة (ظلاّم) مبالغة من ظالم، كما تقول: أكّال و نجّار و خياط وجزّار.

وصيغ المبالغة لها حالتان: حالة إثبات وحالة نفي، فأنت حين تقول: فلان أكّال، أثبت له صفة المبالغة في الأكل ومن باب أولى صفة الأكل مطلقاً.

٢ـ وما دمت قد أثبت الصفة الأعلى تكون الصفة الأدنى ثابتة، فإذا قلت: فلان ليس أكّالاً فإنك تنفي المبالغة، ولكنها لا تنفي أنه يأكل.

وعندما تقول: فلان ليس ظلاماً، تكون قد نفيت المبالغة، لكنك لم تنف الظلم.

٣ـ نقول إنّ نفي الأعلى لا يلزم أنْ يثبت الأدنى، وإنّ نفي الأعلى لا يمنع أنْ يوجد الأدنى ولكنه لا يلزم بوجوده، لذلك قول الحق: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ هو نفي لمبدأ الظلم، وهو نفي للمبالغة.

والقرآن يكمّل بعضه بعضاً، فإذا جاءت آية أخرى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء:٤٠] ونفت الأدنى فيكون إذن ليس بظلام ولا ظالم.

٤ـ من جهة أخرى الله يقول: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١﴾ ولم يقل: بـ(ظلام للعبد).

والمبالغة مرة تكون في قوة الحدث وإنْ لم يتكرر، ومرة في المبالغة في تكرار الحدث، إذن فالله ليس ظالماً لكل عبد على حدة، وبالتالي هو ليس ظلاماً لعبيده.

وقد أراد الله تعالى أنْ يخبرنا في هذه الآية أنه لا يظلم أحداً ولو بمثقال ذرة؛ لأنه لو ظلم كل عبد ذرة لكانت كمية الظلم هائلة لكثرة العباد، ولكنّ هذه الذرة من الظلم لا تحدث من الله؛ لأنّ الله ليس بظلام للعبيد.

❀❀❀❀

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾:

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيات ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران:١١] و ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنفال:٥٢] و ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال:٥٤] ؟ ما الفرق بين (كذبوا بآياتنا وكفروا بآياتنا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١١.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟

الجواب:

١ـ (يذّكرون) أصلها يتذكرون، وفي اللغة صار فيها إبدال. وأصل الفعل الثلاثي (ذَكَر) يذكر ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم:٦٧] والفعل الثلاثي المجرد هو (ذكر)، وأمّا (تذكّر) فهذا مزيد بالتاء والتضعيف.

٢ـ الفعل (اذّكّر) أصله (تذكر) حصل فيه إبدال والتاء صارت ذالاً وهذا إبدال جائز، فيصيرعندنا إدغام (ذال وذال) الأول ساكن والعرب لا تبدأ بالساكن فجاءوا بالهمزة فقالوا: اذّكّر مثل(اطّهر، افّعل، ادّبر)، هذا كله من الإبدال الجائز.

إذن (يتذكرون ويذّكّرون) هما في الأصل فعل واحد، لكن أحدهما فيه إبدال والآخر ليس فيه إبدال، وكذلك الأمر في (يتطهرون ويطّهرون) و(يدّبر ويتدبر) أصلهما فعل واحد، لكنّ أحدهما حصل فيه إبدال والآخر ليس فيه إبدال، هذا من الناحية اللغوية الصرفية.

٣ـ لكن كيف يستعمل القرآن (يتذكرون ويذّكّرون)؟

أـ يتذكر ويذّكّر أيها الأطول في المقاطع؟ (يتذكر: ي/ ت/ ذ/ ك/ ر) خمسة مقاطع، (يذّكّر: ي/ ذ/ ك/ ر) أربعة مقاطع. يتذكر أطول ومقاطعه أكثر، هذا أمر.

ب والأمر الآخر (يتذكّر) فيها تضعيف واحد و(يذّكّر) فيها تضعيفان، والتضعيف يدل على المبالغة والتكثير.

٤ـ والقرآن الكريم يستعمل (يتذكر) الذي هو أطول لما يحتاج إلى طول وقت، ويستعمل (يذّكّر) لما فيه مبالغة في الفعل وهزة للقلب وإيقاظه.

* شواهد قرآنية: يتذكر:

ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النازعات:٣٤-٣٥] يتذكر أعماله وحياته كلها وفيها طول.

ـ ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر:٢٣] يتذكر حياته الطويلة.

ـ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧] العمر فيه طول.

* شواهد قرآنية: يذّكر:

ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال:٥٥-٥٦-٥٧] هؤلاء يحتاجون إلى هزة، ما عندهم قلب ويحتاجون إلى تشديد لتذكر الموقف، هنا موقف واحد، وهناك عمر كامل.

وهم يحتاجون إلى من يوقظهم، ويحتاجون إلى مبالغة في التذكر تخيفهم وترهبهم، وليس تذكراً عقلياً فقط، وإنما هذا تذكر فيه شدة وتكثير للتذكر ومبالغة فيه بحيث تجعله يستيقظ، وهذا يسمى مبالغة في التذكر.

- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة:١٢٥-١٢٦]

هؤلاء في قلوبهم رجس، ويحتاجون إلى هزة توقظ قلوبهم، وليس مسألة تعداد.

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١] ليعتبر.

٥ـ إذن (يتذكر ويذّكّر) الصيغتان موجودتان في القرآن عموماً، ويستعمل (يتذكر) لما هو أطول، وهو تذكر عقلي، ويستعمل (يذّكّر) فيه مبالغة وفيه إيقاظ للقلب، تهز القلب؛ لأنّ (يذّكّر) فيه إيقاظ للقلب وهزة ومبالغة مع أن الجِذر واحد.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿فِي ٱلْحَرْبِ﴾ ما كلمات منظومة الجهاد ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢١٦.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما نوع العداوة بين إبليس والبشر؟ عندما تذكر العداوة بالنسبة للكفار فتنسب عداوة لله والمؤمنين ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ بينما عندما يذكر عداوة الشيطان تكون فقط للمؤمنين ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس:٦٠] ؟

الجواب:

١ـ في اللغة كلمة (إبليس) هوعدو عام، من الفعل (عادى) عداءً، والعداء ليس بالضرورة مصدر (عادى)، وهي عداوة على مختلف الأصعدة حتى يورد إبليس مورد الهلكة للمؤمن ويوصله إلى النار ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج:٤].

٢ـ فالعداوة من الشيطان عامة لا تنحصر في شيء، ومنها التحريش بين المؤمنين وإثارة الفتن فيما بينهم، كما في الآيات:

ـ ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:٥]

ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣]

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] هي عداوة عامة ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف:٤٢] فالشيطان أنساه، وهذا من عداوة الشيطان.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠].

ـ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص:٤١]

إذاً عداوة الشيطان عامة حتى يورده مورد الهلكة وحتى يدخله النار في الآخرة.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾ ما الفرق اللغوي بين الألفاظ الثلاثة: (قدر ـ استطاع ـ أطاق) في القرآن الكريم؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٤.

❁❁❁❁

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (جنحوا) في الآية: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ ؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ لغة: جنحوا، أي: مالوا، من جنحت السفينة إذا مالت.

٢ـ اختلف الناس في تفسير هذه الآية ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ ولهم في ذلك مواقف متباينة يبتعدون فيها أحياناً عن جادة الصواب في تفسيرها.

٣ـ هذه الآيات الثلاث من سورة الأنفال [٦٠-٦٢] نزلت أثناء غزوة بدر، وفي سورة الأنفال الكثير من الأحكام المتعلقة بالقتال والعلاقة بين المؤمنين وغيرهم.

أ ـ الآية الأولى ٦٠: تتحدث عن جيش مسلم قوي وعن مجتمع مسلم متماسك يأمره الله بالبذل والعطاء لبناء هذا الجيش القوي، فإنْ تم ذلك ينصره الله عز وجل، هذا الجيش القوي يأمره الله تعالى أنْ يجنح إلى السلم إذا جنح أعداؤه له.

ب ـ الذي يبدأ بالجنوح للسلم هم أعداء المسلمين وليس المسلمون أولاً.

ج ـ اختيار ﴿وَإِن﴾ دون (إذا) دليل على أنّ أعداء الله لا يختارون الجنوح إلى السلم إلا إذا يئسوا من أي حل آخر؛ لأنّ ﴿وَإِن﴾ تفيد الشك في دلالتها و(إذا) تفيد اليقين، لماذا ؟

لأنّ أعداء الله لا يمكن أنْ يعترفوا للمؤمنين بالقوة والتفوق عليهم بسهولة، ولأنهم يساعد بعضهم بعضاً، فإذا لم يتحقق ذلك وشعروا بالضعف الشديد أمام المسلمين فهم يختارون أهون الشرين فيجنحون إلى السلم.

٤ـ الجنوح عادة يكون للشيء المعطوب، يقال: جنحت السفينة إلى الشاطىء عندما تصاب بعطب لا يمكنها من متابعة السير.

لذلك فالكفار أعداء الله هم الذين يبدأون بالجنوح إلى السلم وهم الضعفاء وأمّا الجيش المسلم فقوي عزيز.

٥ـ على الجيش المسلم حينذاك أنْ يأتمر بأمر الله وهو الجنوح للسلم. لماذا ؟ لأنّ الجيش المسلم لم يخرج ابتداء لمكاسب اقتصادية أو لاحتلال أرض، بل خرج لإعلاء كلمة الله، وهو لا يقاتل أساساً إلا إذا حال أعداء الله دونه ودون الدعوة إلى الله بحرية وقوة.

وهذا الموقف سيفعل في الناس فعل السحر، وسيعجبون من موقف القوي وهو يترك فرصة القضاء عليهم ليسمعهم كلمة الله.

٦ـ لعلّ معترضاً يقول: إنّ هذه غفلة من المؤمنين؛ لأنهم بعد أن كانوا متفوقين يختارون السلم قبل أنْ يقضوا على الأعداء، ولكنّ هذا متفق مع طبيعة الإسلام ومع أهداف الخروج إلى القتال، وقد صورت لنا الآية ٦٢ هذا الموقف ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال:٦٢].

أي: أنّ الله الذي كان معهم من البداية هو الذي أمرهم بأنّ يعدُّوا الجيش القوي، وهو الذي نصرهم، ثم هو الذي أمرهم باختيار السلم، فإنْ كان أعداء الله يبيتون شراً فإنّ الله عز وجل سيبطل كيدهم وسينصر جنده عليهم.

٧ـ هذا الموقف متناسب مع الآية الكريمة في سورة التوبة ٦ ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فهذه هي الصورة

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ فإنْ سنحت الفرصة لكي يعلموا فينبغي أن يستغلها المسلمون. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿جَنَحُوا﴾ ما كلمات منظومة الجبس في مراحله المختلفة ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ١٥.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ ما دلالة تقديم السمع على العلم ؟

الجواب:

حيث وقع في القرآن تقدم السمع على العلم؛ وذلك لأنّ السمع يتعلق بما يقرب كالأصوات وهمس الحركات، فإنّ من سمع حسك وخَفِيّ صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقول لك: إنه يعلم. ولّما كان علم الله متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وبعُد، كان ذكر السمع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم.

ويمكن أنْ يقال: إنّ السمع من وسائل العلم، فهو يسبقه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه وتعالى ينادي الرسول بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ حين يكون الأمر متعلقاً بالأسوة السلوكية، كما في آيتي الأنفال (٦٤ و ٦٥).

أمّا إذا كان الأمر متعلقاً بتنزيل تشريع فالحق يخاطبه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]؛ وذلك لأنّ الرسل جاءوا مبلغين للمنهج عن الله.

٢ـ الله سبحانه نادى في القرآن كل رسول باسمه فقال:﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [الأعراف:١٤٤] ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ [آل عمران:٥٥] ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [هود:٧٦] ﴿يَٰنُوحُ﴾ [هود:٤٦] إلا رسول الله ﷺ فقد خاطبه بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٥] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١] وهذا النداء فيه تكريم للحضرة المحمدية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حثّهم وحمّسهم، وكلمة حَرَض: معناها بالأصل القرب من الهلاك كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف:٨٥].

٤ـ لكن هل معنى (حرّض) هنا قرّب المؤمنين من الهلاك ؟ بالطبع لا.

التضعيف هنا هو للإزالة كما تقول: قشّرت البرتقالة، أي: أزلت قشرتها. و(مرّض) الطبيب فلاناً، أي: أزال المرض.

والإزالة تأتي مرة بتضعيف الحرف الوسط مثل: حرّض وقشّر، ومرة تأتي بهمزة فتعطي معنى الإزالة مثل: أعجم الكتاب، أي: أزال عجمته، وأخفى. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه:١٥] أي: أكاد أزيل خفاءها من كثرة علاماتها الصغرى والوسطى والكبرى.

٥ـ في تتمة الآية وضع الحق معياراً إيمانياً في القتال بين المؤمنين والكافرين، وهذا المعيار من وضعه هو سبحانه ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فالمعيار الإيماني باختصار يساوي واحداً إلى عشرة.

وقد يقول قائل: لماذا ذكر الله هذا المعيار بأرقام عشرين ومئة، ولم يكتف مثلاً بأنّ الواحد يغلب عشرة ؟

والجواب: هو أنه يجب أنْ نلحظ واقع الإسلام، فقد كان النبي ﷺ يرسل السرايا أي: (البعثات القتالية) بعدد من المؤمنين لا تقل عن عشرين ولا تزيد عن مائة، ولذلك ذكرها الله تعالى مرة بالعشرين ومرة بالمائة.

٦ـ لم يكتف المعيار بالعدد، وإنها وصفهم بالصبر ﴿عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ .

٧ـ ذكر الله السبب في غلبة المؤمنين على الكافرين ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: أنّ المؤمنين يفقهون، فالكافر يخشى الموت ويريد أنْ يحافظ على حياته ولو بالفرار، أمّا المؤمن فيقبل على القتال بشجاعة بأمل النصر أو الشهادة، كما قال خالد بن الوليد للفرس: أتيتكم برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة. لذلك المؤمن يملك قوة دافعة للقتال لا يملكها الكافر.

٨ـ نَص الآية خبري وليس طلبياً.

٩ ـ ثم خفف الله الحكم السابق في الآية التي تليها ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أي: أنّ المعيار أصبح واحداً مقابل اثنين، وليس هذا نسخاً، ولكنه تخفيف أعطى لحالات الضعف البشري حساباً.

فالحكم الأول قائم، وهو الحد الأعلى والحكم الثاني قائم أيضاً، وهو الحد الأدنى؛ لذلك إنْ لقي مؤمن ثلاثة كفار وفر منهم لا يعتبر فاراً يوم الزحف ولا يؤاخذه الله على ذلك، لكن إنْ واجهه اثنان فانسحب وتركهما يعتبر فاراً؛ لأنّ الحد الأدنى هو واحد لاثنين.

والله يشرّع للمؤمنين ثم يخفف عنهم، كما شرع الصيام في رمضان ثم سمح بالفطر للمريض والمسافر، وكما شرع الصلاة ثم قصرها للمسافر، فهو تعالى يعلم مواطن

الضعف في النفس البشرية التي تجعلها لا تقوى أحياناً على التكليف، فهو يقوم بذاته بالتخفيف رحمة بنا ولا يتركنا نحن لنخفف كما نشاء.

١٠ ـ وهكذا انتقلت النسبة من واحد إلى عشرة إلى واحد مقابل اثنين، وهذا من رحمة الله تعالى، فمن رأى نفسه في مواجهة أكثر من اثنين من الأعداء فله أن ينحاز إلى فئة من المؤمنين تعصمه من نيلهم منه بلا ثمن، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾.

١١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فيها معية القوي للضعيف، ويجب ألا نحسب النصر بالعدد رياضياً أو نفتتن بالأسباب ونعزل أنفسنا عن الله مسبب الأسباب، فكل نصر هو بإذن الله ومن عنده فقط، ومتى كان الله معنا فلن تستطيع أي قوة أن تتغلب علينا.

❁❁❁❁

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ما الفرق بينهما؟

الجواب:

١ـ إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة.

٢ـ حتى تتضح المسألة في تقديم العلم ننظر في الآيات التالية:

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم؛ فقدّم العلم.

ـ ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين أي أنّ هذا علم.

ـ قال في المنافقين: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية.

ـ ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدم العليم.

٣ـ نأتي للجزاء، الجزاء حكمة وحكم، والحاكم هوالذي يجازي ويعاقب وتقدير الجزاء هو من الحكمة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، وهذا حاكم يحكم ويقدّر الجزاء والحكم، فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكماً، وليس كل عالم حاكماً.

ـ ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا

تشريع والتشريع حاكم، فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي، وهو الذي يشرّع.

فعندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة. والله أعلم.

❋❋❋❋

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في آية سورة التوبة ٢٠ وآية سورة الأنفال٧٢؟

الجواب:

١- قال تعالى في سورة التوبة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)﴾ وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾

٢ـ الخط العام: إذا كان المقام في جمع وحفظ الأموال فإنه يبدأ بالتضحية بالمال، وإذا كان السياق في القتال وليس في الأموال فإنه يقدّم (في سبيل الله) على الأموال.

٣ـ سورة التوبة كلها في الجهاد وليست في الأموال، فسياق الآيات كلها عن الجهاد والقتال وليس المال، لذا اقتضى تقديم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس.

أمّا في سورة الأنفال فقدّم الأموال على ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لأنه تقدّم ذكر المال والفداء في الأسرى وعاتبهم الله تعالى على أخذ المال. إذن السياق كله في المعاتبة على أخذ المال من الأسرى.

رابعاً ـ تناسب مفتتح السورة مع خواتيمها:

١ ـ تبدأ السورة بقوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ [الأنفال:١].

وبمعركة بدر، وذلك قوله:

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾.

وتختم السورة بمعركة بدر وآثارها من الغنائم والأسرى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ وهي الأنفال.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾.

ويدخل ذلك في الجهاد وهو ما ختمت به السورة، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥].

٢ ـ وذكر في أول السورة المؤمنين حقاً من الذاكرين الله والمقيمين الصلاة والمنفقين مما رزقهم الله، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال:٣].

وقال فيهم: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤].

وذكر في آخر السورة المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين في سبيل الله والذين آووا ونصروا، وقال فيهم: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤]. وذلك قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال:٧٤].

فذكر المؤمنين في حال السلم وفي حال الجهاد وقال فيهم جميعا: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٤].

إذن السورة كلها تنتظم تحت الجهاد كنسق عام للسورة. والله أعلم.

سورة التوبة

أولاً ـ تناسب خواتيم الأنفال مع بدايات التوبة

١ ـ أواخر سورة الأنفال هي في القتال، قال تعالى:

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال:٦٥] .

بل أغلب السورة إنما هو في القتال .

وقال في أوائل التوبة:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة:٥] .

٢ ـ وقال في أواخر الأنفال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال:٧٢].

وقال في أول سورة التوبة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة:١] .. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة:٤]

فكلتاهما في حفظ المواثيق والعهود .

٣ ـ آخر الأنفال في الجهاد في أكثر من موضع، وذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٢] .

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٧٤] .

وقوله في آخر آية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥] .

وسورة التوبة في الجهاد على العموم .

جاء في «روح المعاني»: إنه سبحانه ختم الأولى ـ يعني الأنفال ـ بإيجاب أنْ يوالي المؤمنين بعضهم بعضاً وأنْ يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وصرح جل شأنه في هذه ـ يعني سورة التوبة ـ بقوله تبارك وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ إلى غير ذلك من وجوه المناسبة .

وقال بعض العلماء: هما سورة واحدة، لأنّ موضوعهما متشابه وكلاهما في الجهاد والقتال.

وسورة التوبة هي عموماً في الجهاد من أولها إلى آخرها، وكل هذا يدل على شدّة الترابط بين السورتين .

ثانياً ـ هدف السورة: باب التوبة مفتوح:

هذه السورة الكريمة هي من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ عقب غزوة تبوك، أي بعد ﴿٢٢﴾ عاماً من بدء الرسالة والوحي، وكأنّ هذه السورة تمثل البيان الختامي للدعوة والرسالة، وقد نزلت في وقت كان المسلمون يستعدون للخروج برسالة الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية والانفتاح بهذه الرسالة على العالم كله؛ لذا فإنّ توقيت نزول سورة التوبة في غاية الدقة والحكمة.

وهي السورة الوحيدة في القرآن التي لم تبدأ بالبسملة، فالبسملة هي بمثابة بوابة تنقل القارئ من عالم إلى آخر تحت اسم الله تبارك وتعالى. والسرّ في عدم افتتاح السورة بالبسملة هو أنّ السورة نزلت في فضح الكفّار وأعمالهم، وقد قال الإمام علي بن أبي

طالب رضي الله عنه عندما سئل عن عدم كتابة البسملة في سورة التوبة: إنّ (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان، وبراءة (أي: سورة التوبة) نزلت بالسيف ليس فيها أمان، والسورة نزلت في المنافقين ولا أمان للمنافقين، وكأنما حرمهم الله تعالى من رحمته بالبسملة، وقد روي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً من المنافقين إلا نالت منه .

تسمى سورة التوبة بأسماء عديدة وصلت إلى (١٤) اسماً، منها: براءة، التوبة، المخزية، الفاضحة، الكاشفة، المنكِّلة، سورة العذاب، المدمدمة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المثيرة والحافرة، وقد فضحت هذه السورة: الكفار والمنافقين والمتخاذلين وكشفت أفعالهم، وورود سورة التوبة بعد الأنفال له حكمة، وهي أنّ الأنفال تحدثت عن أول غزوة للمسلمين (غزوة بدر)، والتوبة تتحدث عن غزوة تبوك، وهي آخر غزوة في عهد الرسول ﷺ؛ حتى نستشعر الفرق في المجتمع الإسلامي بين الغزوتين، وكأنها تعطي صورة تحليلية للمجتمع، فكأنهما سورة واحدة بدايتهما نصر أمّة ، ونهايتهما تمكين أمّة.

وسميت السورة (التوبة): لأنها كانت آخر ما نزل من القرآن على الرسول ﷺ وبما أنها النداء الأخير للبشرية أراد الله تعالى بعد أنْ فضح الكفار والمنافقين والمتخاذلين وحذّر المؤمنين أنْ يعلمهم أنّ باب التوبة مفتوح؛ فعليهم أنْ يعجلوا بها قبل أن تغرغر أنفسهم. فسبحان الذي وسعت رحمته كل شيء وسبقت رحمته غضبه، سبحانه رحيم بعباده غفور لهم.

ولقد ورد ذكر كلمة (التوبة) في هذه السورة (١٧ مرة) أكثر من أيّة سورة أخرى في القرآن كله ، فقد وردت في البقرة (١٣ مرة)، النساء (١٢ مرة)، المائدة (٥ مرات)، فسبحان الذي يفتح أبواب التوبة للجميع من كفار وعصاة ومنافقين، برغم كل ما اقترفوه في حياتهم.

وتتوالى الآيات في سورة التوبة بسياق رائع غاية في الحكمة فتبدأ الآيات بالتهديد وتحريضٍ المؤمنين وفضحٍ للمنافقين، ثم تفتح باب التوبة ثم التهديد ثم التوبة، وهكذا سياق كل آيات السورة وحتى المؤمنين تطالبهم السورة بالتوبة، فهي تتحدث عن أخطاء وصفات، ثم تفتح باب التوبة ثم أخطاء أخرى ثم التوبة، ثم تدعو المؤمنين للقتال ونصرة الدين والتحفيز لإلجاء المنافقين على التوبة، ونلاحظ في سورة النساء أنّ القتال الذي أمر به الله تعالى كان لنصرة المستضعفين، وأنّ القتال في هذه السورة لإلجاء المنافقين للعودة إلى الله والتوبة، والسورة بشكل عام فضحت المنافقين وكشفت أعمالهم وأساليب نفاقهم وألوان فتنتهم وتخذيلهم للمؤمنين لتواجههم بها حتى يتوبوا، وكذلك حرّضت المؤمنين على قتال المنافقين ليدفعوهم للتوبة أيضاً، ودعوة المؤمنين للتوبة خاصة المتخاذلين منهم، فالتخاذل عن نصرة الدين يحتاج للتوبة تماماً كما يحتاج المؤمن للتوبة من ذنوبه.

المحور الأول: تبدأ الآيات الأولى بهذا الموقف الشديد: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة:١] ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة:٢]؛ لأنّ هذه الآيات نزلت في المشركين الذين نقضوا العهد

مع المسلمين مرات عديدة فقطع الله تعالى ما بينهم وبين المسلمين من صلات ومنحهم فرصة كافية أربعة أشهر يسيحون في الأرض ليتمكنوا من النظر والتدبر في أمرهم .

ثم تأتي آيات التوبة: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ وتخللت هذه الآيات آيات تهديد: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

والملاحظ أنّ الشدة في سورة التوبة إنما هي رحمة من الله تعالى؛ لأنها تحث على التوبة وتفتح بابها حتى لأشد الناس كفراً ونفاقاً ومعصية، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته بعباده مصداقاً لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**لو خلقتهم لرحمتهم**». وقد وردت كلمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٩ مرات في السورة وكلمة ﴿غَفُورٌ﴾ ٥ مرات. ثم تنتقل السورة إلى:

المحور الثاني: توجيه الخطاب للمؤمنين: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ في هذه الآية يبيّن لنا تعالى ثمانية أشياء حلال في أصلها (آباؤكم، أبناؤكم،

إخوانكم، أزواجكم، عشيرتكم، أموال، تجارة، مساكن) ولكن إذا أحببناها أكثر من رسول الله ﷺ والجهاد في سبيل الله اعتبرنا فاسقين، ثم تحدثت الآيات عن غزوة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثم يتوب الله تعالى من بعد ذلك، وقد تردد ذكر (غفور رحيم) كثيراً في هذه السورة مع آيات التوبة. ومما يلاحظ في هذا الخطاب:

١- تحريض المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾، وتحريض المؤمنين واجب من أول ما بدأ الجهاد إلى يومنا هذا وإلى آخر الدنيا. ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٤٠].

٢- تحذير المتخاذلين عن نصرة الدين: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣- تهديد شديد: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

بعد التهديد يعود سياق السورة للتوبة، وتعطي كل صنف من أصناف البشرية التوبة الخاصة به قبل الوداع الأخير، وهذا أجمل ختام للثلث الأول من القرآن بعد السور السبع الطوال بفتح باب التوبة:

١. **توبة المنافقين والمرتدّين:** ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٢. **توبة المترددين:** ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

٣. **تذكرة للجميع بالتوبة:** ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

٤. **توبة على النبي والمهاجرين والأنصار:** ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾.

٥. **توبة أخيرة:** ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ للثلاثة الذين خلّفوا وتقاعسوا عن غزوة تبوك.

وتأتي آيات رائعة في ختام السورة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ و ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ، وهو ختام رائع مع الرسول ﷺ، فإنّ الله تعالى إنْ حرم الكفار والمنافقين من الرحمة في أول السورة بعدم ذكر البسملة فإنه أعطاهم في آخرها رحمة ورأفة، وهذا الختام مع رسول الله ﷺ.

لفتة: في برنامج النبأ العظيم للدكتور أحمد الكبيسي تحدّث الدكتور عن هذه السورة وكيف وصف الله تعالى واقع المجتمع في عصر الرسالة الأول وعدّد شرائح المجتمع المتناقضة، منها من كان على الحقّ، ومنها من كان على الباطل، وهذه الشرائح هي كما وردت في السورة:

١. البدو الذين كانوا جفاة، كما قال الرسول ﷺ: «من بدا جفا» كما في قوله تعالى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾.

٢. شريحة من البدو الذين آمنوا: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

٣. السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، وهم أحباب الله ، والذين على أكتافهم انتشر الدين: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

٤. المنافقون الذين يظهرون دائماً مع قوة الدين، وهؤلاء أشد على المسلمين من الكفّار، فأهل مكة كانوا كفّاراً يجاهرون بالكفر لأنّ الإسلام كان ضعيفاً في مكة، أمّا في

المدينة فقوي الإسلام والمنافقون ازدادوا، لكنهم لا يتجرؤون على المجاهرة بالعداوة لقوة الإسلام في المدينة. والنفاق عموماً يظهر في قوة الإسلام ويختفي بضعفه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ .

٥. كل الشرائح السابقة كانت متساوية في العدد نوعاً ما وهناك شريحة كانت قليلة في عهد الرسول ﷺ، ولكنها الآن أصبحت كثيرة العدد في عصرنا الحالي: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ وهؤلاء وضّح الله تعالى في الآية التي بعدها للرسول عليه السلام كيف يتعامل معهم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ فالصدقة منهم تطهّرهم وتزكيهم، والصدقة هنا غير الزكاة، وإنما هي الإنفاق من خير الأموال، وصلاة الرسول ﷺ أي: دعاؤه لهم هو سكن لهم وكلمة (عسى) من الله تعالى تعني أنه سيتحقق بإذن الله، فهذه الشريحة إنْ تصدقت وصلّى عليها الرسول ﷺ استحقت مغفرة الله تعالى، إنه هو الغفور الرحيم سبحانه.

٦. شريحة قد فعلوا أشياء تُخِلّ بالأمن العام، ومنهم الذين تخلفوا عن الغزوة: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة:١٠٦].

٧. وأخيراً هناك الشريحة الطائفية التي تُرسّخ العداوة بين المسلمين، وتقوم على تكفير بعض طوائف المسلمين للتفريق بينهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)﴾.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

❁❁❁❁

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة رفع ﴿وَرَسُولُهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ هذا يُسمّى القطع، والقطع يكون في الصفات أو العطف إذا كان من باب الصفات، والقطع يكون للأمر المهم، وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ عطف على اسم أنّ، فالقطع موجود في اللغة، وفي الصفات يكون القطع مع المرفوع للمنصوب، ومع المنصوب للمرفوع، ومع المجرور للمرفوع.

٢ـ ورد في اللغة العطف على اسم إنّ بالرفع كما في آية التوبة ٣ والمائدة ٦٩. وقال جرير:

إنّ الخلافةَ والنبوةَ فيهم   والمكرماتُ وسادةٌ أطهارُ

برفع المكرماتُ وسادةٌ. وقال بشر بن أبي حازم:

وإلا فـــاعلموا أنّـــا وأنـــتم بغـــاةٌ مـــا بقينـــا في شـــقاق

وقال آخر:

فمـــن يـــك أمـــسِ بالمدينـــةِ رحلـــه فـــإني وقيـــّـــارٌ بهـــا لغريـــبُ

قال ابن يعيش: ويجوز الرفع بالعطف على موضع (إنّ)؛ لأنها في موضع الابتداء، فجاز لذلك الأمران: النصب على اللفظ والرفع على المعنى. وذكر مثل ذلك في «كتاب سيبويه» و«كتاب التصريح».

٣ـ تقول: محمدٌ مسافرٌ، فإذا أردت التوكيد قلت: إنّ محمداً مسافرٌ. فإذا أردت العطف تقول:

إنّ محمداً مسافرٌ وخالداً، فهذا عطف على اللفظ ، وإمّا أنْ تقول:

إنّ محمداً مسافرٌ وخالدٌ، فهذا عطف على المعنى قبل مرحلة التوكيد.

لذلك عند العطف على المعنى يكون العطف أقل توكيداً؛ لأنك عطفت على الرفع، أي ما قبل مرحلة التوكيد، لذلك عندما تريد العطف على اسم إنَّ بدرجة أقل توكيداً يجوز لك أنْ تعطف بالرفع على المعنى .

٤ـ آية التوبة ٣ جاء فيها كلمة ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بالرفع، علماً أنها معطوفة على لفظ الجلالة المنصوب، وسر ذلك أنّ براءة الرسول تابعة لبراءة الرب سبحانه، فهي أقل توكيداً منها وليستا بمنزلة واحدة؛ لأنّ الأصل براءة الله سبحانه، أمّا براءة الرسول فهي براءة تبعية؛ ولذلك جاءت بالرفع، والله أعلم .

٥ـ وكذلك الشاعر جرير في شعره فَصَل بين الخلافة والنبوة من جهة، والمكرمات والسادة الأطهار من جهة أخرى، وجعل الفريق الثاني أقل رتبة من النبوة والخلافة بحذف توكيده ولم يجعل الكلام بمنزلة واحدة، وقد كان موفقاً في ذلك مختاراً كان أو مضطراً .

٦ـ وبالتالي فإن إعراب كلمة (ورسولُه) يكون على احتمالين اثنين:

أ ـ مبتدأ مرفوع والخبر محذوف تقديره: ورسوله بريء .

ب ـ معطوف على اسم إنّ ـ وهو لفظ الجلالة ـ قبل توكيده.

٧ـ هذه الآية كانت سبباً في تشكيل القرآن الكريم؛ لأنّ أعرابياً قرأها (أنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ) وهذا خطأ سمعه أبو الأسود، فقام بتشكيل القرآن.

❁❁❁❁

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال ﴿ فَإِذَا ﴾ و ﴿إِنَّ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

- إن:

تستعمل في القرآن الكريم في المعاني المحتملة الوقوع أو المشكوك في حصولها أو المستحيلة أو المفترضة:

أمثلة للمعاني المشكوك في حصولها: الأعراف ١٤٣.

أمثلة للمعاني المحتملة: البقرة ١٩١ـ المائدة ٦.

أمثلة للمعاني المستحيلة: الزخرف ٨١ ـ الرحمن ٣٣.

أمثلة للمعاني المفترضة: القصص ٧١.

- إذا:

تستعمل للمقطوع بحدوثه والكثير الوقوع، كما في الآيات: [البقرة ١٨٠ ـ النساء ٦ ـ الجمعة ١٠ ـ النساء ٨٦ ـ الأعراف ٢٠٤].

شواهد مشتركة تتضمن (إذا وإنْ) معا:

[التوبة ٥ ـ البقرة ١٩٦ ـ البقرة ٢٣٩ ـ البقرة ٢٨٢ ـ النساء ٢٥ ـ البقرة ١٨٠].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ و ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ثَقِفَ: بمعنى ظفر به وأخذه. ولا تستعمل ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ إلا في القتال والخصومة، ومعناها أشمل من الإيجاد .

وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ ما كلمات منظومة الحصر والمداولة في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٠.

❁❁❁❁

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ ما الفرق بين الإبلاغ والإيصال ؟

الجواب:

١ـ الإبلاغ أشد اقتضاء للمنتهي من الإيصال؛ لأنه يقتضي بلوغ فهمه وعقله، كالبلاغة التي تصل إلى القلب.

٢ـ وقيل: إنّ الإبلاغ اختصار الشيء على جهة الانتهاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [فُصِّلَت:٦] وقوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾ ؟

الجواب:

١ـ (استقام إلى الأمر) كأنه كان بعيداً عنه، و(استقام للأمر) معناه قريب منه.

٢ـ لو نظرنا إلى الآيتين ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [فُصِّلَت:٦] إذن هم بعيدون والمطلوب أنْ يستقيموا إلى الله، وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ [فُصِّلَت:٦] هم مشركون، وهم بعيدون.

أمّا الآية الأخرى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة:٧] أنت تعاهد إنساناً أمامك ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾ [التوبة:٧] ففيها قرب بينما الأولى فيها بُعد.

٣ـ بشكل عام (إلى) غاية بعيدة و(اللام) غاية قريبة، لذلك علينا أنْ نفهم متى نستعمل إلى واللام، وهناك أكثر من عالم كتبوا في معاني الحروف، ولعلّ من أفضل ما كُتِب في الأدوات كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري والجزء الأول كله عن الأدوات، وكتاب «الجنى الداني» لابن أم قاسم وهو معاصر، وهذا لفائدة القارىء الذي يريد أنْ يطّلع أكثر على معاني الأدوات والحروف.

❁❁❁❁

﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الثمن بالقليل؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٤١.

❁❁❁❁

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾ ما الفرق بين القربى والإلّ؟ وما أصل كلمة (الإلّ)؟

الجواب:

١ـ الفعل (أَلَّ) يئلُّ، مثل: أنَّ يئنُّ.

٢ـ الإلُّ في اللغة العربية له معانٍ متعددة متقاربة بعضها من بعض، وتستعمل لكل ما له حُرمة ونسب نحو: النسب والمصاهرة والجوار والرحم وكذلك العهد .

٣ـ القربى: للقريب النسبي وربما قرابة الزوج .

٤ـ لذلك (الإلُّ) أشمل من القربى وأوسع، والقرابة جزء من الإلّ.

❊❊❊❊

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بالتوبة في الآية ﴿تَابُوا۟﴾ ؟

الجواب:

سياق الآيات في الكفار والمشركين ممن لا يرقبون في الله إلاً ولا ذمة، وينقضون العهد وينطوون على النفاق.

والمقصود بالتوبة هنا هو التوبة العامة، ومعناها الدخول في الإسلام .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الباب مفتوح دائماً للتوبة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ ولم يقل: إذا تابوا، أي: في ذلك شك؛ لأنّ ما فعلوه ضد الإيمان كثير والذي يؤمَلُ منهم قليل.

٣ـ قوله تعالى:﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ومادة (الأخوة) تأتي مرة لتعبّر عن أخوة النسب ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٥٨] ومرة عن إخوة العقيدة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠] ولكنْ هنا قال: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ؛ لأنه ليس من المعقول أنْ يخرجوا من كل ما كانوا فيه من آثام بالتوبة ويصبحوا في نفس التو واللحظة إخوة، لكنّ ذلك يحدث عندما يتعمق إيمانهم ويثبت صدق توبتهم، حينئذ يصبحون إخوة.

وللعلم فإنّ كلمة (إخوة) جاءت في القرآن لتدل على أخوة النسب، بينما جاءت كلمة (إخوان) في (٢٢) موضعاً منها بمعنى الأصدقاء، كما في الآيات [ق١٣ـ الحجر ٤٧ـ آل عمران ١٠٣ـ الإسراء٢٧] وجاءت بمعنى النسب، كما في الآيات [النور ٣١ـ الأحزاب ٥٥ـ النور٦١]. ولربما في هذه الآية التوبة (١١) جاءت كلمة﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾؛ لتأخذ معنى الصداقة كمرحلة أولى؛ حتى يتعمق إيمانهم ويثبت صدق توبتهم، حينئذ يصبحون إخوة .

٤ـ قوله تعالى:﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: الذين يريدون دراسة الإسلام بحق وجدية ينتهون غالباً إلى إعلان إسلامهم، لذلك على الذين يدرسون الإسلام من

أهل البلاد غير الإسلامية أنْ لا ينظروا إلى المنسوبين للإسلام، ولكنْ لينظروا إلى الإسلام في جوهره ومنهجه.

❁❁❁❁

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في البدء ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾ وفي آخر الآية ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾، فما دلالة ذلك؟

الجواب:

اللمسة البيانية في الآية هي في أغراض الخبر، حيث إن هذه الآية من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على مُوجَبِ العلم، فقال في البدء: ﴿أَيۡمَٰنَهُم﴾ وفي آخر الآية: ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال في آية الأنفال٣٣: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ﴾ وقال في آية التوبة ١٤: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ ﴾، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب:

المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣] هو عذاب الاستئصال، والمراد من قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ هو عذاب القتل والحرب والأسر واغتنام أموالهم.

والفرق بين الأمرين أنّ عذاب الاستئصال قد يتعدى إلى غير المذنب، وإنْ كان في حقه سبباً لمزيد الثواب، أمّا عذاب القتل والأسر فالظاهر أنه يبقى مقصوراً على المذنب.والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

قال في آية التوبة١٥: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ وفي آية التوبة ٢٧: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فما السبب؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى في كفار مكة وفعلهم مع رسول الله ﷺ، فأمر الله بقتالهم ووعد بخزيهم والنصر عليهم وشفاء صدور المؤمنين، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ أي: من أسلم منهم بعد ما صدر من اجتهاده في الأذية والصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ أي: أنه سبحانه يعلم كل متطلبات الأحكام، ولكل أمر عنده حكمة.

فالقتال أراده الله عز وجل ليدك به جبروتهم، والتوبة حكمتها لمنع تمادي الكفار وطغيانهم في الشر؛ لأنّ مشروعية التوبة هي رحمة من الحق بخلقه، ولو لم يشرّع الله التوبة لقال كل من يرتكب المعصية: ما دامت لا توجد توبة وما دام مصيري إلى النار فلسوف آخذ من الدنيا ما أستطيع، وبذلك يتمادى في الظلم والفساد، ولكن تشريع التوبة يجعل الظالم لا يتمادى في ظلمه، وبهذا يحمي الله المجتمع من شروره ويجعل في نفسه الأمل لتوبته ومغفرته فيتجه إلى العمل الصالح؛ علّه يكفر عما ارتكبه من الذنوب والمعاصي.

إذن القتال له حكمة والتعذيب له حكمة والخزي له حكمة والتوبة لها حكمة، والله حين يعاقب إنما يعاقب عن حكمة، وحين يقبل التوبة فهو يقبلها عن حكمة.

٢ـ أمّا الآية الثانية فسببها - والله أعلم - ما جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم، فلم تغن عنهم شيئا ولم يثبت مع رسول الله ﷺ في ذلك اليوم إلا القليل، فختمت هذه الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ تأنيساً لمن فرّ من المسلمين في ذلك اليوم وبشارةً لهم بتوبة الله عليهم، وأنّ ما وقع منهم من الفرار مغفورٌ لهم رحمة من الله تعالى لهم .

فجاء كلُ ختام آية على ما يناسب ويلائم.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿ أَمْ ﴾ إضرابية.

٢ـ الابتلاء أمر لا مفر منه، وهو ضروري لمن أراد الله له أن يتحمل أمر الدعوة إلى الله في مواجهة الفساد.

٣ـ قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ﴾ فليس معناه أنه لم يعلم وسوف يعلم. لا ، فعلم الله أزلي ولكنه العلم الذي يحاسب الله الناس عليه، فإنه لا يحاسبهم على علمه الأزلي، وإنما على العمل الذي ينبني عليه الثواب والعقاب. وعلم الله أزلي كاشفٌ غير مجبِر .

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيجَةً ﴾ من الولوج، أي: الدخول، والمراد هنا بطانة السوء التي تدخل على المؤمنين الضعاف ليفشوا أسرار المؤمنين ويبلغوها للكفار، والآية معناها أنّ الله يعلم واقعياً من جاهدوا ولم يتخذوا بطانة سوء من الكفار يدخلونهم في شؤونهم دخولاً يجعلهم يكتشفون أسرارهم.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ أي: أنّ الله مطلع على تداخلكم مع الكفار وإعطاء الأسرار ولا يخفى على الله شيء فانتبهوا، فإنْ عَمّيتم على قضاء الأرض فلن تُعمُّوا على قضاء السماء .

❁❁❁❁

﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية لهذه الآية ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾ ؟

الجواب:

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني أنهم يظهرون ما هم عليه من الشرك من نصب الأوثان وعبادتها، وكانوا ينصبون الأصنام في الكعبة.

وكلمة (شاهدين) تعني أنهم يظهرون ما هم عليه من الكفر والشرك، فكيف يعمرون مساجد الله؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ فكيف يعمر هؤلاء

مساجد الله وهم يشركون بالله أو يكفرون بالله ويأتون بالأوثان والأصنام أو يذكرون أموراً مخالفة؟

هذا نفي من قِبَل الله تبارك وتعالى أنه لا ينبغي لهم ولا يصح لهم ولا يستقيم، لأنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، ولا ينبغي أن يعمروا مساجد الله؛ لأنهم شهدوا على أنفسهم بالكفر.

السؤال الثاني:

لماذا استعمل صيغة الجمع في (مساجد) في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾؟

الجواب:

١ـ هذه الآية وردت فيها كلمة ﴿مَسَاجِدَ﴾ في الآية ١٧ من سورة التوبة، وفي الآية ١٨ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة:١٨].

٢ـ في الآية ١٧ قُرِيء (مساجد) وقُرِيء (مسجد)؛ لأنه كان يراد به المسجد الحرام، فعندنا قراءتان سبعيتان، لكنّ الذين قرأوا (مسجد)؛أي (المسجد الحرام) فهذا شيء طبيعي؛ لأنّ الكلام عن المسجد. وعندما تُقرأ: ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ المسجد الحرام سيكون جزءاً من هذه المساجد، وهم ليس لهم أنْ يعمروا المسجد الحرام ولا سائر المساجد؛ إذ لا حق لهم في ولوجها.

ففي الآية (١٧) توجد قراءتان: من القرّاء السبعة قرأها: مسجد بالإفراد، والخمسة الآخرون قرأوها مساجد، فالكثرة قرأتها (مساجد) وهذه تمثل قراءات العرب التي أجازها الرسول ﷺ بأمر من ربه والجمع بين القراءتين أنّ كلمة مساجد ينضوي تحتها كلمة مسجد.

٣ـ الآية (١٨) أجمع القرّاء على قراءتها (مساجد)، وأجمعوا في ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ على أنه أريد بها المساجد العامة ليوم القيامة فيدخل فيها المسجد الحرام.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ في آية التوبة ١٧ ؟

الجواب:

المعنى العام للآية: أي ما ينبغي لهم أنْ يعمروا مساجد الله؛ لأنّ المساجد هي بيوت الله ومخصصة لعبادة الله تعالى، وليس من المنطق أنْ يبنيها أو يجلس فيها مشركون أو كافرون، وهم يعبدون غير الله، وقد نصبوا فيها الأصنام بغير إذنه، وادّعوا أنها شركاؤه فشهادتهم هذه هي بالحال وبالمقال، لذلك فإنّ عمارتهم تخريب لتنافي عقيدتهم وفعلهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: شهادتهم هي سجودهم للأصنام وذلك أنهم نصبوا أصنامهم خارج المسجد الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطاً سجدوا لأصنامهم.

لذلك نفى الله تعالى عنهم أهلية العمارة ، ثم بيّن من يصلح لها في الآية ١٨، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ .

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تقديم وتأخير ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في آية سورة التوبة ٢٠ وآية سورة الأنفال ٧٢؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٧٢.

❁❁❁❁

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعبيرين في ﴿مَرْضَاتِ﴾ ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الرضوان عام. وهو من الله فقط. وقد وردت في القرآن ١٣ مرة، ولم ترد في القرآن من غيره، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ .

٢ـ كلمة ﴿مَرۡضَاتِ﴾ قد تكون لله وقد تكون لغيره، وقد وردت في القرآن خمس مرات، منها أربع مرات مع لفظ الجلالة في الآيات: [البقرة ٢٠٧ ـ البقرة ٢٦٥ ـ النساء ١١٤ ـ الممتحنة ١]، ومرة واحدة مع أزواج النبي ﷺ في آية التحريم ١. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة إفراد الواو أو جمعها مع (لا)، كما في الآيات ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [سبأ:٣٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون:٩] ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ [التوبة:٢٤] ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] ؟

الجواب:

١ـ (الواو) من حيث الحكم يسمونها مطلق الجمع، وفيها معان كثيرة كما في الآية: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ [المنافقون:٩].

فلمّا قال: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ [المنافقون:٩] يعني كلها لا تلهيكم.

٢ـ السؤال: لماذا جاء بـ ﴿لَا﴾ ؟

الجواب:

لو لم يذكر (لا)، لو قال: (لا تلهكم أموالكم وأولادكم) فهناك احتمال واحد، وهو أنه جمع بينهما.

أمّا إذا أفرد: (ولا أولادكم) ففيها احتمالان: احتمال الإفراد والجمع؛ أي أنه انه ينفي الاثنين معا، سواء على سبيل الإفراد أو الاجتماع.

٣ـ النُحاة يضربون مثلاً، فيقولون: (ما حضر محمد وخالد)، أو: (ما حضر محمد ولا خالد)، فقولهم: (ما حضر محمد وخالد) محتمل أنه حضر واحد منهما، وهذا احتمال أول، ويحتمل أنه لم يحضر محمد ولم يحضر خالد، وهذا احتمال ثان.

وهذه يسمونها تعبيرات احتمالية، وتحتمل أكثر من دلالة، ولا توجد قرينة سياقية ولا لفظية تعيّن مفهوماً محدداً لها.

لكن لو قلنا: (ما حضر محمد ولا خالد)، يعني: لم يحضرا لا على سبيل الاجتماع ولا على سبيل الإفراد.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الفتح:٤] و﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [التوبة:٢٦] في آية التوبة ٢٦ والتوبة ٤٠ وآيات الفتح ٤ـ١٨ـ٢٦ ؟

الجواب:

١ـ السكينة: هي مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر ما جاء في الخوف، وتضاف إلى القلب، كما في آية [الفتح ٤].

٢ـ حيث ذُكر الرسول أو كان موجوداً في السياق يقول: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ مضافا إلى ضميره سبحانه وتعالى، كما في الآيات[التوبة ٢٦ والتوبة ٤٠ والفتح ٢٦].

٣ـ وإذا كان عاماً يذكر السكينة. كما في آية الفتح (٤) وآية الفتح (١٨).

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح:٤] ليس فيه ذكر الرسول ﷺ.

ـ ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨] ليس فيها ذكر لكلمة الرسول ﷺ.

- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة:٢٦] صرّح بالرسول ﷺ فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ [التوبة:٢٦]

- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠] صرّح بالرسول ﷺ فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾.

- ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦] صرّح بالرسول ﷺ فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ فحيث أضاف الضمير فقال: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ فلا بدّ أنْ يُذكر الرسول أو يظهر في السياق، وهذه خصوصية للرسول ﷺ وتعظيم له وإكرام.

❁❁❁❁

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما علاقة هذه الآية بآية سورة البقرة ٢٥٩ ؟

الجواب:

اختلف المفسرون في الشخص المقصود في آية البقرة ٢٥٩ وجمهور العلماء أنه العزير، وقيل إنه: إرمياء ـ الخضر .

وعن طريق الحساب العددي نستطيع أنْ نرجح رأي الجمهور على أنه العزير عن طريق المطابقات العددية .

انظر الجواب في آية البقرة ٢٥٩.

❀❀❀❀

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ فما معنى الآية؟

الجواب:

الحديث الذي يرويه عُدي بن حاتم الطائي فيه فوائد كثيرة، وكان عُدي قد تنصّر في الجاهلية وأُسِرت أخته ثم هرب ثم كتبت إليه أنّ الرسول ﷺ أكرمها مع كونها على الكفر، حيث قال ﷺ: «**أكرموها لأنها ابنة حاتم**» (وكان أبوها من أكرم العرب)

فأسلمت وأرسلت إليه ليأتي ويرى الرسول ﷺ، فدخل مسجد الرسول ﷺ وهو يقرأ قوله عز وجل عن اليهود والنصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ فقال عُدي: يا محمد إنهم لم يعبدوهم فكيف تقول: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؟ فأخذ الرسول ﷺ يبيّن له مفهوم العبادة في الإسلام فقال: «**بلى، أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتّبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**».

السؤال الثاني:

ما اللمسة البيانية في ذكر المسيح بن مريم في سورة التوبة؟

الجواب:

١ـ لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى عليه السلام نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

المسيح: ويدخل فيها المسيح، المسيح عيسى بن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه)

عيسى: ويدخل فيها: عيسى ابن مريم، وعيسى (اسمه)

ابن مريم: (كُنيته)

٢ـ حيث ورد (المسيح) في كل السور سواء وحده أو (المسيح عيسى بن مريم) أو (المسيح بن مريم) لم يكن ذلك في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً، ولم ترد هذه الصيغ في التكليف، وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة. قال تعالى:

ـ ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء:١٥٧]

ـ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

٣ـ وكذلك (ابن مريم) لم تأت مطلقاً بالتكليف ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٠] ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٥٧].

٤ـ أما (عيسى) في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء، فهو عام. كما في الآيات:

ـ ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة:٤٦]

ـ ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [مريم:٣٤]

٥ـ ولا نجد في القرآن كله جملة (آتيناه البينات) إلا مع لفظ (عيسى)، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٦٣] ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح.

٦ـ إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الثناء أيضاً، وكلمة عيسى عامة ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة:١١٢].

فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب، وعيسى اسم، أي: يسوع، وابن مريم كنيته، واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم، والمسيح معناها المبارك، والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته.

❁❁❁❁

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين الآيتين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢] و ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨] ؟

الجواب:

آية التوبة ٣٢:

١ـ جاء بالفعل المضارع ﴿يُرِيدُونَ﴾ ولم يقل: أرادوا، لبيان أن فعلهم سوف يتكرر ويتكرر.

٢ـ في آية التوبة ٣٢ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا﴾ بأنْ والفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار والحال والاستقبال. وبيان ذلك:

أ ـ ﴿أن﴾ حرف مصدري يدخل على الفعل الماضي وعلى الفعل الأمر، كما يدخل على الفعل المضارع فينتصب بعده ويصرفه إلى الاستقبال، وتفيد التعليل أيضاً.

ب ـ سبقت هذه الآية الآيات (٣٠ـ٣١)، وهي تتحدث عن اليهود والنصارى وتحريفهم للتوراة والإنجيل، وهذا أمر معلوم ومعروف لديهم؛ ولذا لم يستعمل فيها أساليب التأكيد .

وتحريفهم لمنهجهم هو نوع من محاولة إطفاء نور الله، أي: دين الله، ويأبى الله إلا أنْ يتم نوره، فأرسل نبيه محمداً ﷺ بالدين الحق غير المحرف ليظهر على جميع الأديان المحرفة الأخرى، كما قال تعالى في الآية التي تليها ٣٣: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

فعندما يظهر الإسلام على جميع الأديان الأخرى عند ذاك لا يجدي عملهم شيئاً، فما كان هناك حاجة إلى تأكيد.

٣ـ قوله تعالى في آية التوبة: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أجرى الفعل ﴿وَيَأْبَى﴾ مجرى: لم يرد، بتقدير: ما أراد الله إلا ذلك، ولم يقل مثلاً: يكره.

إلا أنّ الإباء يفيد زيادة عدم الإرادة وهي المنع والامتناع، والدليل عليه قوله ﷺ: «إذا أرادوا فتنة أبينا» فامتدح بذلك، ولا يجوز أنه يمتدح بأنه يكره الظلم؛ لأنّ ذلك يصح من القوي والضعيف .

آية الصف ٨:

١ـ جاء في الآيات (٦ـ٧) من سورة الصف أنّ اليهود والنصارى غيّروا ما في كتبهم وكذبوا على الله، وهذا منهجهم باستمرار التحريف والكذب.

٢ـ في الآية ٨: جاء إصرارهم باستمرار وقصدهم لإطفاء نور الله بصيغة المضارع؛ لأنّ هذا هو هدفهم الدائم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ والفعل المضارع يدل على الاستمرار والحال والاستقبال، فإرادتهم مستمرة ومحاولة إطفائهم لنور الله مستمرة ، وجاءت اللام ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ للتوكيد ولبيان العلة والغاية من عملهم، فجاء الرد مؤكداً بالصيغة الاسمية التي تدل على الثبات ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ وهو آكد من ﴿أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ .

٣ـ هناك قراءتان ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ و (متمٌّ نورَه) فالأولى إشارة إلى وقوعه ووقوع بداياته بإرسال النبي ﷺ، وأمّا القراءة الثانية فتفيد استمرار نزول الآيات على رسوله في المستقبل.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى أنه تعالى بدأ بإتمام نوره وهو ماضٍ في هذا الإتمام مدة حياة النبي ﷺ وما بعده.

تعليق:

اليهود أعداء الله يخططون في كل وقتٍ وزمنٍ ليطفئوا نور الله ،

ولكنّ الله تعالى يأبى إلا أنْ يتم نوره ولو كره الكافرون.

لننظر إلى تاريخ الإسلام منذ نشأته . . .. إلى الفرق الإسلامية المختلفة التي أدخلت في الدين ما ليس فيه . .. إلى الدول المتعددة التي كانت تنشق عن المسلمين ثم تحاربهم . .إلى المغول والتتر والصليبين القدماء . ..إلى الحكام الموالين لهم . ... إلى عملائهم المنتشرين في كل مكان ومنصب . . وإلى الصليبين الجدد في مختلف البلاد الإسلامية :

فـما زالـت القـتلى تمـجُّ دمـاءَها   بدجلـة حتـى مـاء دجلـة أشـكلا

في كل مكان يحاولون قتل المسلمين واستباحة بلادهم وأموالهم وأعراضهم . .. حقد قديم ومكر دفين.. لا يماري في ذلك إلا جاهل أو مخدوع أو عميل . . وإرادتهم في ذلك مستمرة، فماذا عسانا أن نفعل من أجل رد هذا الكيد ؟؟؟؟

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ ﴾

السؤال الأول:

ذكر تعالى شيئين، وهما الذهب والفضة، ثم قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولم يقل مثلاً (ينفقونهما)، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ خصّ الله الفضة والذهب بالذكر من بين سائر الأموال؛ لأنهما الأصل المعتبر في الأموال، وهما اللذان يقصدان بالكنز.

٢ـ قال: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ ولم يقل مثلاً: ينفقونهم، بتقدير:

أـ أنْ يكون الضمير عائداً إلى المعنى بتقدير: أموال ودنانير ودراهم وكنوز وآنية.

ب ـ أنْ يكون الضمير عائداً إلى اللفظ بتقدير: ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب، أو بتقدير: ولا ينفقون الذهب وحذف الفضة؛ لأنهما يشتركان في ثمنية الأشياء؛ لذلك كان ذكر أحدهما مغنياً عن ذكر الآخر.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة:١١] جعل الضمير للتجارة.

- ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء:١١٢]

فجعل الضمير للإثم. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ﴿فَتُكْوَىٰ﴾ ما كلمات منظومة أعمال النار يوم القيامة ؟

الجواب:

هذه الكلمات تدخل في أعمال النار يوم القيامة:

اللفح:

هو الوهج الذي يصيب ظاهر الجلد من النار، أي: يصيب البشرة: المؤمنون ١٠٤.

اللوح:

هو أثر من آثار اللفح، حيث يتغير لون الجلد إلى السواد من شدة اللفح [المدثر ٢٩ - الزمر ٦٠] والنفح عكسه النفخ.

الكَيُّ:

هو الحرق بشيء محمي من حديد أو ما شابه يُكوى به المكان لوسمه، فيوسم في يوم القيامة كل مجرم عن طريق الكي فيعرف ما ذنبه وما جرمه: التوبة ٣٥.

الشَّيُّ:

هو الشي بالحرارة فقط، وليس على النار أو الجمر، وإنما على حرارتهما: الكهف ٢٩.

الصِّلاء:

هو الشي باللهب والجمر وهي نار خاصة بالمشركين: [الليل ١٥ـ النساء ٣٠ـ ٥٦ـ ص ٥٩] ولا يدخلها الموحدون.

النزع:

نزع أطراف الإنسان من ضمن أعمال النار ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج:١٦] والشوى هي جلدة الرأس.

الحرق:

يوضع الإنسان على الجمر حتى يحترق ويتلاشى من شدة الحرارة.

الكلح:

هو من آثار النار يوم القيامة حيث تتقلص الشفة العليا حتى تصل إلى الرأس، وتندلق الشفة السفلى حتى تصل إلى أسفل الذقن فتقسو الشفتان وتبرز الأسنان ويبدو الهلع من شدة الألم على سحنة الإنسان، وهو منظر مخيف في غاية القبح: المؤمنون ١٠٤.

الصهر:

هو أنْ يستمر الحرق بالماء الحار أو المواد شديدة الحرارة (غساق) (غسلين) فلا يبقى إلا العظم، فيصهر الجلد واللحم وينسلخ عن العظم ثم يعود، وهكذا عملية مستمرة بدون موت: المؤمنون ١٠٤.

السجر:

هو إشعال النار في الشخص: غافر ٧٢.

كيف نتقي النار:

نتقي النار عن طريق:

١ـ الإيمان والعبادات والعمل الصالح.

٢ـ الدعاء.

٣ـ شهادة الناس عليك بالخير بعد الموت.

٤ـ الاستغفار.

٥ـ الصدقة.

٦ـ التوحيد.

٧ـ عين بكت من خشية الله وعين سهرت في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله.

٨ـ شفاعة النبي ﷺ.

اللهم أجرنا ووالدينا والمسلمين من النار .

السؤال الثاني:

لماذا بدأ بالجباه ثم بالجُنوب ثم بالظهور في الآية ؟

الجواب:

بدأ بالجباه ثم الجُنُوب ثم الظهور؛ وذلك لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمّهم مجلس ازورّوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم، فتدرج بحسب الرتبة.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾

السؤال الأول:

لماذا قال ﴿مِنْهَآ﴾ و﴿فِيهِنَّ﴾ في آية التوبة ٣٦ ؟

الجواب:

١ـ العرب تستعمل الجمع تمييزاً للقلة، وتستعمل المفرد تمييزاً للكثرة فتقول: الجذوع انكسرت .

والعرب تستعمل في التأريخ لما بين الثلاثة إلى العشرة فتقول: لثلاث ليال خلون وثلاثة أيام خلون ، فإذا جزت العشرة قالوا: خلتْ أو مضتْ، و تقول: لأربع عشرة ليلة بقيتْ .

والعرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: (هن و هؤلاء)، فإذا جزت العشرة قالوا: (هي وهذه) إرادة أنْ تعرف سمة القليل من الكثير .

و يمكن أنْ نلخص الأمر في أنّ العرب تستعمل الجمع للقلة والمفرد للكثرة في مواطن، من أهمها:

أـ تمييز العدد: خمسة رجال وعشر نسوة وعشرون رجلاً.

ب ـ الضمير في التأريخ كما بيناه أعلاه .

ج ـ صفة جمع ما لا يعقل: فتقول: (أياماً معدودات) للقلة، (وأياماً معدودة) للكثرة، ونحو: (أنهار جارية) للكثرة، و(أنهار جاريات) للقلة.

د ـ ضمير الغائب (هي) للمفرد، و(هن) للجمع.

هـ ـ اسم الإشارة لغير العاقل: حسب الجدول أدناه:

جمع قلة	جمع كثرة
هؤلاء	هذه – هي
أولئك	تلك

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ﴾ [الإسراء:٣٦] ولم يقل: تلك، لقلتهن.

٢ـ لضربٍ من البلاغة كتنزيل القلة مكان الكثرة وبالعكس مما يليق به المقام، نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤] فقال:﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ لتقليلها مع أنها أكثر من عشرة، بمعنى أنها قليلة يسيرة بالنسبة إلى قدرتكم واستطاعتكم؛ ولذا قال بعدها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وهو من باب التلطف بعباده المؤمنين .

في آية التوبة ٣٦:

لمّا قال: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ استعمل المفرد مع القلة، فقال: ﴿مِنْهَآ﴾ وذلك لأنها أكثر من عشرة.

ولمّا قال: ﴿أَرْبَعَةٌ﴾ استعمل مع الجمع ﴿فِيهِنَّ﴾ للقلة ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾

في آية البقرة ١٩٧:

أعاد الضمير ﴿فِيهِنَّ﴾ بالجمع؛ لأنهن ثلاثة أشهر.

في آية نوح١٥:

أعاد الضمير على السماوات بصيغة الجمع ﴿فِيهِنَّ﴾ لأنهن سبع .

❁❁❁❁

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا جاء الفعل في الآية ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ بصيغة المبني للمجهول ؟

الجواب:

في آيات التزيين فإنّ الله تعالى ينسب الخير إلى نفسه، وتزيين القبيح يبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن نحو ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل:٤] لغرض إقامة العقيدة الصحيحة، ولكن لا تجد فيه نحو (زينا لهم سوء أعمالهم) بذكر السوء، بل لا تجده إلا مبنياً للمجهول والفرق ظاهر بين الأمرين.

* شواهد قرآنية:

- في الحجرات ٧: أسند تزيين الإيمان في القلوب إلى ذاته سبحانه.

- في آل عمران ١٤: بنى تزيين حب الشهوات للمجهول، ولم ينسبه إلى نفسه.

- في الصافات٦ والملك٥ والحجر١٦: أسند التزيين الحسن إلى ذاته.

-[في البقرة ٢١٢ والرعد ٣٣ والأنعام ١٢٢ وفاطر٨ وغافر٣٧ والتوبة٣٧ والفتح١٢] بنى تزيين القبيح للمجهول.

السؤال الثاني:

ما دلالات الآية بشكل عام ؟

الجواب:

١ـ النسيء هو التأخير.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ ولم يقل: زين الله سوء أعمالهم؛ لأنّ الله لا ينسب السوء إلى نفسه.

والزينة أمر زائد على حقيقة الذات، وهو أمر في المظهر لا في الجوهر.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

نحن نعلم أن لله سبحانه هدايتين: هداية دلالة، وهداية معونة.

أمّا هداية الدلالة فهي للمؤمن والكافر فيدل الله الجميع على المنهج ويريهم آياته، وتُبَلِّغُ الرسلُ منهجَ السماء الذي يوضح الطريق إلى رضاء الله والطريق إلى سخطه.

فمن آمن بالله دخل في مشيئة هداية المعونة، فيعينه الله في الدنيا ويعطيه الجنة في الآخرة، وأمّا من يرفض هداية الدلالة من الله فالله لا يعطيه هداية المعونة؛ لأنّ الكفر سبق من العبد.

وكذلك اقتراف الظلم والفسق فيكون بسببهما قد منع نفسه هداية المعونة بارتكابه لتلك الآثام؛ لذلك يقول الحق:

- ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة:٣٧].

- ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة:١٩].

- ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤].

إذن هم الذين قدموا الكفر والظلم والفسوق فمنعوا أنفسهم هداية المعونة، أمّا المؤمن فيقول الله تعالى فيه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧]

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾؟

الجواب:

١ـ العرب عندهم أسلوب في ذكر المعدود فتصاغ عندهم على وزن (فاعل) فيقولون مثلاً هو رابع أربعة، و في كلام سعد بن أبي وقاص يقول: (مرّ علي يوم وأنا رابع أربعة فكنت رُبع الإسلام)

وكذلك (خامس خمسة) يُشتق من اللفظ نفسه و (سادس ستة) يعني هو واحد من هذا المجموع.

٢ـ لكن لهم أسلوباً آخر: يقولون: رابع ثلاثة أو خامس أربعة، في هذه الحالة يكون متمماً للعدد، ولكنه ليس شرطاً أن يكون جزءاً منه، لاحظ في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن

ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧].

نجوى الثلاثة الله رابعهم، فالله سبحانه وتعالى من غيرهم، لكنه صار في العدد بحضوره رابعاً، لكنه ليس منهم.

وفي قصة أصحاب الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف:٢٢] فالكلب ليس منهم.

٣ـ فعندما يقول القرآن: (ثاني اثنين)، معناه: هما من نوع واحد كثالث ثلاثة ورابع أربعة وخامس خمسة، وهذا فيه إشارة إلى منزلة الصدّيق رضي الله عنه؛ لأنه كان مع الرسول ﷺ وهما يشكّلان اثنين، ولم يكن الرسول ﷺ من خارجه ولم يكن هو من خارج الرسول ﷺ بالمثال الذي ضربناه.

٤ـ وهذا فضلٌ لأبي بكر رضي الله عنه ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ ولاحظ الآية الكريمة ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ والصاحب قد يكون موافقاً وقد يكون مخالفاً، لكن لّما قال تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ معناه: هو مصاحب، وليس مخالفاً .

٥ـ ولاحظ الفارق بين قول الرسول عليه السلام لأبي بكر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ أي: جمع الاثنين ، وقول موسى عليه السلام لّما قال: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

والرسول ﷺ جعل أبا بكر معه، وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. كان ممكناً في غير القرآن أن تُصاغ العبارة بشكل آخر يُخرَجُ فيه أبو بكر من الآية: إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه وهو في الغار، فقال: إن الله معي فنصره الله عز وجل.

٦ـ وننظر شيئاً آخر في الآية يتناوله علماء النحو في توزيع الضمائر، وإنْ كان بعض العلماء يقول: هذا إبعاد، لكنْ هذه حقيقة. عندما يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الهاء في (عليه) تعود إلى أبي بكر؛ لأنّ الرسول ﷺ كان مطمئناً والقلِقُ كان أبا بكر،وإنزال السكينة على أبي بكر يعد رفعا لقدره، خاصة وأنها من قبل رب العالمين، وأبو بكر - حقيقة - يستحق مثل هذا الرفع، ففي رحلة الهجرة: الرسول ﷺ يركب ناقة دفع ثمنها أبو بكر، وإنْ كان ﷺ قال بثمنها قرضة، والزاد الذي كان يأتيهم هو من مال أبي بكر، والذي كان يرعى الغنم حتى يمحو الآثار راعي أبي بكر، والذي كان يأتيهم بالأخبار ابن أبي بكر، والذي كان يأتيهم بالطعام بنت أبي بكر، والدليل الذي قادهم خارج نطاق السير الطبيعي استأجره أبو بكر.

٧ـ أول دعائم الإسلام أو أول ثماني جباه تسجد للصلاة غير الرسول ﷺ هم: الإمام علي وكان صبياً صغيراً (٨ أو ١٠ سنوات)، زيد بن حارثة أسير حرب يباع ويُشترى، و لم يكن له تأثير في المجتمع، وأبو بكر ، وخمسة جاءوا بدعاء أبي بكر، إذن كان أبو بكر مع الخمسة يمثلون ستة من ثمانية من الإسلام.

إضافة إلى موقفه من الرِّدّة، وموقفه في وفاة الرسول ﷺ وكيف عصم الله تعالى به الأمّة من أنْ تتمزق؛ لذلك الآية كأنها أرّخت في كتاب الله عز وجل لِعِظم منزلة الصدّيق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وهذا لا ينقص من أقدار الصحابة الآخرين شيئاً لأن كلاً له فضله، لكنّ هذا أبو بكر.

السؤال الثاني:

تكررت ﴿إِذْ﴾ ثلاث مرات في هذه الآية، فما دلالتها؟

الجواب:

١ـ هي كلها تأكيدات بمعنى أُذكر هذا الأمر. و ﴿إِذْ﴾ تأتي دائماً بمعنى: أُذكر كذا. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء:١٠] أي: اذكر هذا الأمر.

٢ـ إذ: ظرف زمان:

أ ـ تأتي للمضي في أصل وضعها، وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ .

ب ـ وقد تقع للاستقبال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧٠ - ٧١].

ج ـ وقد تكون للتعليل: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزُّخرُف:٣٩].

د ـ ترد للمفاجأة.

هـ ـ وقد تحذف الجملة المضافة إليها فيؤتى بالتنوين عوضاً منها نحو ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة:٤].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ في آية الأحزاب ٩ وآية التوبة ٤٠ ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ؟ وما المقصود بكلمة: لم تروها؟

الجواب:

آية التوبة ٤٠:

قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾

أ ـ الجنود أو الجند: الجند اسم للجنس، وهذا الجنس يمكن أن يُجمع (جند وأجناد) كما في قوم أقوام، وإذا ورد جمع بصيغتين فعند ذلك ينظر في القِلّة والكثرة، و صيغة (أفعال) في الجمع تكون للقلة، فإذن هنا (جنود) للكثرة.

ب ـ والجند في اللغة: الأنصار والأعوان، وبعد ذلك أُطلِقَت متأخرةً على القوات المسلحة، وعندما يقال: جنّد الجنود، أي: هيّأ الأنصار، والأنصار لم يكونوا جنوداً، وإنما كانوا في السوق يبيعون ويشترون، ثم عندما ينادى للقتال فيكونون في سياق الجيش، وفي عهد الرسول ﷺ الكل كانوا مدنيين، وفي أي لحظة يكونون مقاتلين، فالجند في اللغة الأنصار، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۝١٤﴾ [الصف:١٤] وعندما نقول أنصار الله بمعنى أنصار شرعته وأنصار دينه.

* شواهد وأمثلة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي أنتم لم تبصروا هؤلاء الجند، فكان تأييداً من الله سبحانه وتعالى وكان نصراً؛ حيث إنّ الرسول عليه السلام وأبا بكر وصلا إلى الغار، وأدركتهم قريش عند الغار، فخاف أبو بكر الصديق، وقال للرسول ﷺ: **«لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا»** فقال ﷺ: **«ما ظنّك باثنين الله ثالثهما»** فطبيعة الأشياء أنْ يلقى عليهما القبض، لكنّ ذلك لم يحدث، و الله تعالى نصر رسوله ﷺ بجنود لم يروها، وتغيير طبيعة الأشياء جزء من جند الله عز وجل.

٢ ـ سراقة بن مالك رأى رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه وأرضاه وناداهما، فكان أبو بكر يخشى من سراقة؛ لأنّ سراقة كان من الفرسان المعدودين؛ ولذلك خرج وحده معتمداً على قوته فهو يستطيع أنْ يجابه الرسول ﷺ وصاحبه وحده، لكن غارتْ قوائم فرسه في الرمال وتكرر ذلك ثلاث مرات، وهذا جند من جنود الله عز وجل، فهذا هو الجند التي لم يرها المسلمون، فقد يكونون ملائكة أو الصرف الذي صرف الله به غشاوات الأعين، و كل هذه الأمور التي تخالف طبيعة الأشياء هي جند من جنود الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر:٣١].

٣ ـ الحشرة الصغيرة هي أيضاً جند من جنود الله عز وجل حيث دخلت في أذن النمرود، فهذه الجنود أنتم لم تروها.

آية الأحزاب ٩:

في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٩]

أ ـ ﴿جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ جنود تراها العين: وهي قريش، ومن جاء معهم من الأحزاب، والريح رأيتم فعلها، وهذا من جند الله، وهناك (جنوداً لم تروها) ومنها: التخذيل الذي حدث، والملائكة التي أدخلت الرعب في قلوب هؤلاء الناس، والخلاف الذي وقع بينهم (نبقى أو نمضي)، وكل هذا هو من جنود الله غير المرئية.

ب ـ أثناء القتال في معركة بدر بعضهم رأى الملائكة وسمع صوتها وهي تتحدث مع بعضها، ويمكن أنْ يكون هناك جند لم تروها ولم تقع أعينكم عليها سواء من الملائكة أو من غير الملائكة. وقوله تعالى: ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي: لم تروها رأي العين.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين الغار والمغارة والجحر ؟

الجواب:

١ـ الغار: هو مغارة في الجبل تحديداً أو كالكهف في الجبل، قال تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ وغار ثور في جبل ثور، وغار حراء في جبل حراء، والأصل أنْ يوجد بشكل طبيعي، وقد تأوي إليه الوحوش الموجودة بقربه.

٢ـ المغارة: في الأرض عموماً، وليست في الجبل.

٣ـ الجحر: أصغر من الغار.

السؤال الخامس:

ما دلالة لا تحزن في الآية ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ؟ ولماذا لم يقل: لا تخف؟ وما الفرق بين الخوف والحزن؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ هو موجه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه على لسان الرسول ﷺ، وهما موجودان في غار ثور خلال الهجرة.

٢ـ الخوف: هو توقع مكروه قبل حصوله، فإذا حصل المكروه حزن على ما وقع، فالحزنُ هو المرحلة الثانية بعد حصول مضمون الخوف.

٣ـ كان أبو بكر يخشى الطلب خلفهما، وهذا يسمى بالخوف، وخوفه هو ليس على نفسه، وإنما على النبي ﷺ فلمّا حصل الطلب ووصل المشركون إلى باب الغار وصل الوضع معه إلى المرحلة الثانية، فكان الأحسن أن يقول: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فنهى عن الحزن مطلقاً.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ الضمير عائد على أبي بكر، وهو أقرب المذكورين في الآية، ولا يصح أنْ يعود على الرسول ﷺ؛ لأنّ الخوف كان حاصلاً مع أبي بكر، أمّا الرسول ﷺ فقد كان آمناً، فقد قال لأبي بكر: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» فصرف الله السكينة إلى أبي بكر؛ فزال خوفه.

السؤال السادس:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ ؟

الجواب:

هذه الآية الكريمة هي جزء من الآية الأربعين من سورة التوبة، وهي السورة التي تعطي الصورة الكاملة للمؤمنين والمنافقين، وترى من خلالها حركة المنافقين وتخطيطهم وعبثهم في المجتمع الإسلامي.

و من الحقائق الثابتة في القرآن الكريم أنّ النصر لا يكون إلا من الله عز وجل لمن يستحقه، وقد أكّدت الآيات المختلفة ذلك بأسلوب الحصر، ولم ينسب النصر في القرآن الكريم إلا إلى الله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:١٣] ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران:١٢٦] ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

السؤال السابع:

ما دلالة أسلوب الشرط في الآية ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ في الآية أسلوب الشرط، أي: إن لم تنصروه فقد نصره الله، وأسلوب الشرط فيه عادة فعلان: الأول: فعل الشرط، والثاني: جواب الشرط .

وأدوات الشرط كثيرة، نحو: [إنْ ـ مَنْ ـ مهما ـ متى ـ أيان ـ أينما ـ كيفما ـ أي]، وجميع هذه الأدوات أسماء عدا: [إنْ] فهي حرف، وجميع هذه الأدوات مبنية عدا [أي] فإنها معربة.

٢ـ ولا يشترط أنْ يكون فعل الشرط وجوابه مضارعين، بل قد يكون أحدهما ماضياً والآخر مضارعاً، أو قد يكون كلاهما ماضيين، والحالات تُلخص فيما يلي:

فعل الشرط	جواب الشرط	مثال	الوضعية
مضارع	مضارع	إن تجتهد تنجح	شائع
ماض	ماض	إن عدتم عدنا	شائع
ماض	مضارع	إن زرتني أُكرِمُك	شائع
مضارع	ماض	إلا تنصروه فقد نصره الله	نادر

٣ـ من المعروف أنّ الأسلوب الشرطي هو أسلوب الجزاء، أي: أنه يتحقق الجواب بتحقق الفعل.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أنّ الجواب سبب في الشرط، وقولك: (إنْ تجتهد تنجح) السبب دافع في الشرط فتصور النجاح أولاً هو سبيل لبذل الجهد في تحقيق النجاح.

فعل الشرط في الآية:

هو عدم نصرة المنافقين لرسول الله ﷺ بالنفير معه حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا، وهذا كان في السنة التاسعة للهجرة.

جواب الشرط في الآية:

نصرة الله لنبيه ﷺ ليلة الهجرة:

٤ـ والأمر العجيب في الآية هو: أيحصل الجواب قبل حصول الفعل بتسع سنوات، أي أيكون الجزاء قبل العمل ؟

قال الآلوسي في تفسيره «روح المعاني»: " واستشكلت الشرطية بأنّ الجواب فيها ماضٍ، ويشترط فيه أنْ يكون مستقبلاً، حتى لو كان ماضياً قُلِبَ مستقبلاً، وهنا لم يُقلب.

وأجيب: بأنّ الجواب محذوف أقيم سببُه مقامَه وهو مستقبل، أي إن لم تنصروه فسينصره الله الذي نصره في وقت ضرورة، أي: في الغار ليلة الهجرة ،وهو أشد من هذه المرة".

٥ـ وجاء في «التفسير الكبير» للرازي: لقائل أنْ يقول: كيف يكون قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ جواباً للشرط ؟

وجوابه أنّ التقدير: إلا تنصروه فسينصره من نصره في الغار حينما لم يكن معه إلا رجل واحد، أي: ينصره الآن كما نصره في ذلك الوقت .

السؤال الثامن:

لماذا جاءت ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ بالرفع ؟

الجواب:

بعد أنْ قال الله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ ثم استأنف كلاماً جديداً فقال: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ فجاء بضمير الفصل ﴿هِيَ﴾ مع

الاستئناف، ولم يعطفها على كلمة الكفر، أي: أن كلمة الله هي العليا بدون جعل جاعل، شأنها دائماً الارتفاع والعلو وهي الرفعة دوماً بذاتها .

ولهذا جاءت بالرفع وليس بالنصب، فهذه طبيعتها جاءت بالصيغة الاسمية ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ لتدل على الثبات والاستقرار، بينما جاءت الآية بالصيغة الفعلية مع ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ لتدل على عدم الثبات وأنها تتحول وتتبدل بعكس ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ فهي عليا على الدوام لا تتزعزع ولا تتبدل ولا يتغير وضعها. والله أعلم.

السؤال التاسع:

ماذا عن استعمال (السكينة) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ السكينة هي مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر ما جاءت في الخوف، وتضاف إلى القلب، كما في آية الفتح ٤.

٢ـ حيث ذُكر الرسول ﷺ بشكل صريح في الآية أو أنه موجود في سياقها بشكل غير مباشر يقول: ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ بإضافتها لله تعالى، كما في الآيات: [التوبة ٢٦ـ والتوبة ـ٤٠ـ والفتح ٢٦].

٣ـ وإذا كان عاماً يذكر (السكينة) بدون إضافة الضمير، كما في [آية الفتح ٤ـ وآية الفتح ١٨].

السؤال العاشر:

قارن بين آيتي التوبة ٤٠ ـ والشعراء ٦٢ لبيان قولين أحدهما للرسول محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ والثاني لموسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢].

الجواب:

هذه مقارنة بين دعاءين أحدهما للرسول محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ والثاني لموسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]	﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشعراء:٦٢]
استعمال كلمة الألوهية ﴿ٱللَّهَ﴾	استعمال كلمة الربوبية ﴿رَبِّي﴾
تقديم لفظ ﴿الله﴾ على معنا، فتسكن نفس أبي بكر الذي كان معه وتطمئن.	تقديم معي على لفظ ربي. لأنّ موسى كان يخاطب قومه الماديين؛ حتى يطمئنوا على أنفسهم
المعية ﴿مَعَنَا﴾ للرسول وصاحبه.	إفراد موسى نفسه بالهداية
ترك الرسول الأمر كله لله ليتصرف كيف يشاء سبحانه.	كلمة ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ تدل على أنّ الله سيرشده لما يفعل.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول:

مفعول الفعل (علِم) مفتوح الهمزة ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الحاقة:٤٩] لكن ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة، مثل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لماذا وردت عكس القاعدة؟

الجواب:

الفعل (علِم) ينبغي أنْ تأتي بعده (أن) مفتوحة الهمزة، لكن إذا جاءت اللام التي تسمى اللام المزحلقة، أي: لام الابتداء، كما في قولنا (علمت أن زيداً ناجح)، فإذا قلنا (علمت إن زيداً لناجح)، عند ذلك نكسر الهمزة في (إن). وفي ألفية ابن مالك توضيح هذه المسألة:

فاكسر في الابتدا وفي بدء صلة ... وحيث إنّ ليمين مكمله
أو حُكيت بالقول أو حلّت محلّ ... حالٍ كزُرته وإني ذو أمل
وكسروا من بعد فِعلٍ عُلّقا ... باللام كاعلم إنه لذو تُقى

فحيثما جاءت اللام تُكسر الهمزة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون:١].

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال الفعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ مع الصادقين، والفعل ﴿وَتَعْلَمَ﴾ مع الكاذبين في الآية ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ هو خطاب للرسول ﷺ. وأصل العفو في اللغة هو المسح. تقول: عفت الريح الأثر، أي: مسحته.

٢ـ نزلت هذه الآية في المنافقين الذين ثبطوا الجيش المسلم في تبوك، وهي الغزوة التي صرّح بها الرسول ﷺ من سائر غزواته وقال: إنا ذاهبون إلى الروم.

وجاء طائفة من المنافقين إلى الرسول لطلب عدم الخروج معه وقالوا له: ائذن لنا بعدم الخروج لظروفنا الخاصة، فأذن لهم النبي ﷺ؛ لأن الجهاد تطوعي وليس عندهم جيش إلزامي.

فكأنّ القرآن يقول للنبي لو تصبرت قليلاً؛ لأنهم لا يريدون أن يخرجوا معك في الأصل، فلمّا أذنت لهم ضاعت فرصة كشفهم.

٣ـ الصيغة فيها نوع من العتاب الرقيق الدال على المحبة وليس فيه محو ذنب؛ لأنّ الأصل أنّ النبي ﷺ هو الحاكم، وهو قائد الجيش ويحق له أنْ يأذن لمن استأذنه، وأنت

تعفو عمن يرتكب مخالفة، والرسول ابتداء لم يرتكب مخالفة، وإنما استعمل حقه في الإذن لهؤلاء.

٤ـ قدّم العفو قبل العتاب، وفي هذا دلالة على المحبة وعلى مكانة الرسول ﷺ من ربه.

٥ـ التبين: هو الانكشاف والظهور والوضوح، وهذه صفات الصدق، فاستعمل معه الفعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ واستعمل معه ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ولم يقل: صادقين؛ لأنها صفة لازمة (اسم فاعل)، أي: هذه صفته (صادق). أمّا هؤلاء فما أراد أنْ يصفهم بهذه الصفة؛ لأنهم منافقون، حتى ولو صدقوا في هذه الجزئية فقد كذبوا كثيراً في غيرها.

بينما وصف الله المهاجرين بالصادقين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات:١٥].

لذلك ما قال الصادقين، وإنما قال: ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: في حالة واحدة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ والكذب يحتاج إلى تدقيق وتبصر وإلى بحث لينكشف، وهذا ينسجم مع الفعل ﴿وَتَعْلَمَ﴾ وسماهم الكاذبين لبيان صفتهم المستمرة.

٧ـ لفظة ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا تعليلية. والله أعلم.

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي: (قعود وقاعدون) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

١ـ وردت كلمة (قعود) ثلاث مرات في القرآن الكريم، كلها بمعنى القعود الحقيقي، كما في الآيات: [البروج ٦ـ آل عمران ١٩١ـ النساء ١٠٣].

٢ـ ووردت كلمة (قاعدون) في ستة مواضع كلها بمعنى القعود عن الجهاد، كما في: [المائدة ٢٤ـ التوبة ٤٦ـ ٨٦ـ النساء ٩٥].

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ؟

الجواب:

المعنى اللغوي:

الفعل: (قعد) هو عكس (قام)، و(القعود) مقابل (القيام)، تقول: كان الرجل واقفاً فقعد.

أمّا الفعل: جلس، فيعني أنّ الرجل كان متكأً فجلس، أي: أن الجلوس عن اتكاء، والقعود عن قيام .

* شواهد قرآنية على الاستخدام اللغوي:

ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران:١٩١].

ـ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر:٥٥].

ـ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ [المجادلة:١١].

إحصائيات:

وردت كلمة (المجالس) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة المجادلة ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ [المجادلة:١١].

بينما وردت كلمة (القعود) بكافة مشتقاته في (٣١) موضعاً.

المعنى الاصطلاحي القرآني:

١ـ كلمة (القعود) وردت في القرآن الكريم بمعنى التخلف عن الجهاد والقعود في البيوت مع النساء والمرضى والأطفال والضعفاء، وهي صفة مذمومة عند العرب كثيراً، وكان الرجل يحب أنْ يقتل قبل أن يقال له: إنك قاعد.

انظر الآيات التوبة: [٤٦ ـ التوبة ٨٣ ـ النور ٦٠].

٢ـ هذا فهم العرب للغتهم، وبهذا أدركوا إعجاز القرآن، وهو يصور دخائل النفوس ويبرز حقائق القلوب، فأيقنوا أنه ليس من كلام البشر بل من كلام خالق البشر الذي يعلم ما خلق، جل شأنه.

وعلى هذا فهم العرب هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر عندما قال له:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي: أنه عاجز عن الخروج لنيل المكارم، وهو من القواعد في البيوت اللاتي يقدم لهن الطعام والكساء.

لذلك قال حسان بن ثابت عندما سئل عن هذا البيت: هل يجد فيه هجاءً قال: لم يهجه فقط بل سلح ـ أي: بال ـ عليه .

❁❁❁❁

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استعمال الإفراد ثم الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً أن ﴿مَّن﴾ في سنن العربية يُبدأ معها بالإفراد الذي يعود على لفظ (مَن)، ثم يُؤتى بالذي يفسّر المعنى ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ <u>ٱئْذَن لِّى</u> وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ <u>سَقَطُوا۟</u> ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة:٤٩] فبدأ بمفرد ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ [التوبة:٤٩] ثم جاء بالجمع ﴿سَقَطُوا۟﴾ .

و ﴿مَن﴾ تأتي للمفرد والجمع والمثنى والمذكر والمؤنث، وتأتي أولاً بصيغة المفرد ثم يأتي بعدها بما يخصص المعنى، وهذا هو الأكثر في القرآن إلا إذا اقتضى السياق والبيان أنْ يخصص ابتداءً كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس:٤٢].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿لَمُحِيطَةٌۢ﴾ ما كلمات منظومة الجدار والحائط ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

❁❁❁❁

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمة (الكَره) بفتح الكاف و(الكُره) بضمها؟

الجواب:

(الكَره) بفتح الكاف هو ما يأتي من الخارج، ويقابله (الطوع) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة:٥٣]. وكما في آية [النساء ١٩ـ فصلت ١١].

أما (الكُره) بضم الكاف فهو ما ينبعث من الداخل، كما في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ [البقرة:٢١٦] فجاءت كلمة الكُره؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يكره القتال، وكذلك في آية الأحقاف ١٥ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا (١٥) ﴾ لأنّ الحمل وآلام الولادة أمر ثقيل على النفس .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [النساء:١٣٦] بدون (الباء) مثلما جاءت مع (الباء) فى آية سورة التوبة ٥٤ ﴿ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ ؟

الجواب:

١ـ في قضية الإيمان نحو الآيات: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وردت مثل هذه الجملة في حوالي (١٠) آيات، وهي: [النساء ١٣٦ـ الأعراف ١٥٨ـ النور٦٢ ـ الفتح ٩ـ١٣ـ الحجرات ١٥ـ الحديد ٧ـ المجادلة٤ـ الصف١١ـ التغابن٨] ولم تدخل الباء على أي منها، فلم يرد: (آمن بالله وبرسوله) وإنما وردت (بالله ورسوله)، وعدم دخول الباء يشير إلى أنّ الإيمان بالرسول تابع، وهو امتداد لإيماننا بالله ،أي أنّ ما بُعث به محمد ﷺ إنما هو من عند الله؛ ولذلك لم تدخل الباء على كلمة (رسوله) ؛ لهذا جمع الله تعالى بين لفظ الجلالة ورسوله بحرف الواو دون حرف (الباء).

٢ـ بينما في قضية الكفر، نجد أنّ حرف الباء قد دخل على كلمة (الرسول)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهنا دخول الباء ضروري؛ لأنّ الكفر بالله مختلف عن الكفر برسول الله، فالكفار لم يؤمنوا بوجود إله واحد قادر على البعث والنشور، وهذا كفرهم بالله. وأمّا كفرهم برسول الله فذلك أنهم كانوا يلقبون الرسول محمداً ﷺ قبل أنْ يُبعث بالصادق الأمين، وكان معروفاً بينهم بخلقه الكريم، فلمّا بُعث فيهم قالوا عنه: ساحر أو مجنون ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦] ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤]، وهذا كفرهم برسول الله. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وعندما تأتي ﴿ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ كما في آيتي سورة التوبة [٨٠ـ٨٤] فهذا يشير إلى أنّ كفرهم بالرسول في هذه الحالة تابع، وهو امتداد لكفرهم بالله، فالقرآن هنا أثبت الكفر بالجمع بين الجهتين، بينما في آية التوبة ٥٤ أثبت الكفر على سبيل الجمع والإفراد، لأنّ من الكفار من يؤمن بالله فقط دون أن يؤمن بالرسول عليه السلام مثل كفار قريش، ومنهم من يكفر بالله ويكفر برسوله مثل حال الشيوعين وأمثالهم وكلا الفريقين كافر، بينما الإيمان الصحيح هو فقط من يؤمن بالله ورسوله عليه السلام إضافة إلى باقي أركان الإيمان المعروفة. والله أعلم.

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين في سورة التوبة ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥] والآية ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة:٨٥] ؟

الجواب:

هناك أربع اختلافات بين الآيتين. والسياق يبين لنا كثيراً من الإجابات عن الأسئلة. ولننظر إلى الجدول التالي:

الآية ٥٥	الآية ٨٥
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ ﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ﴾ ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾

البيان:

قبل البدء بالجواب ومن قراءة الآيات في سورة التوبة نجد أن سياق الآية ٥٥ هو في الإنفاق والخطاب للرسول ﷺ. انظر الآيات: [٥٣-٥٤- ٥٧- ٥٨- ٦٠]، وفيها الكثير من التفصيل.

بينما سياق الآية ٨٥ هو في الجهاد والقتال: انظر الآيات[٨٣- ٨٤- ٨٦-٨٧-٨٨].

١- بدأت الآية الأولى بالفاء والثانية بالواو؛ لأنّ الآية الثانية معطوفة على ما قبلها، فسياق الآيات السابقة يقتضي العطف، أمّا الآية الأولى فالفاء للاستئناف وليس هناك عطف، وقد تأتي الفاء للاستئناف أو التفريع.

٢- ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٥] و ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٨٥].

أ- الآية الأولى ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة:٥٥] هي في سياق الأموال والأولاد، والخطاب عن المنافقين تحديداً ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٣-٥٤-٥٥] وقال بعدها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة:٥٨] إذن هي في سياق الأموال.

ب- أما الآية الثانية فالسياق مختلف، فهي في سياق القتال والجهاد: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ

أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة:٨٣-٨٤-٨٥].

فلمّا كان السياق في الأموال جاء بـ ﴿وَلَا﴾ زيادة في التوكيد؛ لأنه في سياق الأموال، أمّا الثانية فليست في سياق الإنفاق، فقال: ﴿أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ .

٣ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ [التوبة:٥٥] و ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾ [التوبة:٨٥].

أ ـ جاء بـ (اللام) للزيادة في التوكيد، حيث: (أريد لأفعل) أقوى من (أريد أنْ أفعل)، وهذه اللام عند النحاة لأحد أمرين: إمّا أن تكون مزيدة لغرض التوكيد أوتكون للتعليل، وحيث إنّ (أراد) فعل متعدٍ فهنا دخلت اللام في مفعوله، والأصل: أن يعذبهم، فجاء باللام للزيادة في التوكيد لزيادة العذاب.

إذن لّما كان في مقام الإنفاق والأموال قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ [التوبة:٥٥] ﴿بِهَا﴾ أي: بالأموال، واللام في مفعول الإرادة تأتي للتوكيد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣] .

ب ـ واللام زائدة في فعل الإرادة؛ لأنّ (أراد) فعل يتعدّى بنفسه فيؤتى باللام الزائدة للتوكيد، أو تكون للتعليل، وهي على أي قولٍ هي للتوكيد (علّل الإرادة في الآية الأولى أو أكدّ الإرادة في الآية الأولى). فلمّا كانوا متعلقين بالمال تعلّقاً شديداً أكّد باللام ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ فكان التعذيب أشدّ.

٤ـ قال في الأولى: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المال هو عصب الحياة ومبعث الرفاهية والحياة والسعادة، فلمّا كان في سياق الأموال قال: الحياة الدنيا .

أما الثانية ففي سياق الجهاد، والجهاد مظنة الموت والقتال فلم يقل الحياة، وإنما هي فَقدُ الحياة، فالقتال مظنة فَقدِ الحياة. والمال هو للحياة، والجهاد والقتال مظنة فقد الحياة، فلم يقل: الحياة الدنيا وإنما قال: الدنيا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فكل تعبير كان في مكانه، وكل آية تؤخذ في سياقها، وكل كلمة موضوعة في مكانها، وكل كلمة عاشقة لمكانها في القرآن الكريم.

❊❊❊❊

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (مدخَل ومُدَّخَل) ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠] و ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة:٥٧] ؟

الجواب:

١ـ عندنا: (مَدخَل ومُدخَل ومُدّخل).

أ ـ (مَدخَل): من دخل يدخل هو مَدخَل، اسم مكان مثل: خرج يخرج مخرجاً.

ب ـ (مُدخَل): من أدخَل (الرباعي) وهو اسم مكان ومصدر ميمي واسم زمان، لكن (مَدخل) من الفعل الثلاثي و(مُدخل) من الرباعي.

ج ـ (مُدّخل): من ادّخل، أي: للمبالغة، لا يستطيع الدخول إلا إذا اجتهد في الدخول؛ ولذلك قال تعالى عن المنافقين: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ دخلوا فيه بقوة، وهم يريدون أنْ يهربوا فقط. وأحياناً يقولون: هو كنفق اليربوع يدخل فيه، هذا هو المُدّخل.

٢ـ الكلمات الثلاث: اسم مكان، ومصدر ميمي، واسم زمان، لكنّ الفرق في الاشتقاق، فواحدة من الثلاثي (مَدخَل) والثانية من الرباعي (مُدخَل) والثالثة من الخماسي (مُدّخل).

٣ـ مَدخَل ومُدخَل ليستا على دلالة واحدة، دخل الشخص هو يدخل، أدخل أي يُدخله شخص آخر، كما في الآية: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠] هو لا يدخل من تلقاء نفسه، أمّا (مُدّخل) فشيء آخر أدخله مُدّخلاً في قوة وشدة.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين مغارة وغار ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ و ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٠.

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾

السؤال الأول:

ما تفسير ملك اليمين ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾؟ وهل هي من مصارف الزكاة؟

الجواب:

١ـ الزكاة لها مصارف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾.

والصدقات تعني الزكاة، ولها ثمانية مصارف.

٢ـ قوله تعالى في الآية: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ هو في إعتاق العبيد، والرقبة تستعمل إشارة إلى هؤلاء العبيد، وللإسلام أربعة أبواب في ذلك:

أ ـ الدولة: عندما تجمع أموال الزكاة وعندها ثمانية مصارف تصرفها، وتنظر من يريد أنْ يتحرر ولا يملك فتدفع له.

ب ـ المكاتبة: وهذا باب واسع فتحته الشريعة الإسلامية لتخليص هؤلاء.

ج ـ الكفّارات: وهذا هو الباب الثالث، كما في الآيات: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـًٔا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ

وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ [النساء:٩٢] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة:٨٩] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [المجادلة:٣].

د ـ الباب الرابع هو التطوع، وهذا التطوع باب لا ينتهي، كما في الآيات: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة:١٧٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد:١٢-١٣].

وهذا التحبيب جاء في القرآن، وفي الأحاديث هناك أحاديث كثيرة تتحدث عن إعتاق الرقاب .

فإذن الإسلام خطا خطوات بعيدة المدى لإذابة وإنهاء الرِقّ، حيث كان نظاماً عالمياً، والآن انتهى هذا الأمر وقررت الأمم المتحدة إنهاء الرِقّ، والإسلام ليس عنده مشكلة في هذا.

ولا يوجد الآن ملك اليمين؛ لأنه من أين تأتي به؟ الآية كانت خاصة بظروفها إلى عهد قريب، أمّا الخادمات الآن فهم أحرار يعملون بمرتّب ولا يجوز معاشرتهن معاشرة المرأة إلا أن يعقد عليها، فملك اليمين لم يعد موجوداً الآن، ولو دخلت دولة مسلمة الحرب مع دولة كافرة قد يكون هناك أسرى بيننا وبينهم، وهم لا يسترقون أسرانا ولا

يجوزلنا أن نسترق أسراهم؛ لأنها بالأصل هي مقابلة بالمثل، فإذا أنتم لم تفعلوا هذا، فنحن لسنا مستعدين لفعلها.

❁❁❁❁

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ؟

الجواب:

قال المنافقون عن رسول الله ﷺ أنه ﴿أُذُنٌ﴾، فقال الله عنه: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ وهو خير يعود نفعه على البشرية، ولكن ليس بالمعنى الذي تعيبونه عليه، فهو قد يسمع إساءاتكم، ثم يسمع اعتذاركم فلا يؤذيكم ويعفو عنكم.

وقول المنافقين عنه معناه أنّ رسول الله ﷺ يصدّق كل ما يسمعه ولا يحتاط تجاه من يبلّغه، فردّ الله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ﴾، و رَدُ الله لم يكن موافقاً لما قالوه؛ لأن (أُذُنُ) عندهم غير (أُذن) التي أقرها الله سبحانه.

ولكن لماذا لم يقل الحق: أُذن خير للمؤمنين، وقال: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ؟

والجواب أنّ خيرية الرسول الله ﷺ قد شملت الجميع وتعدت المؤمنين إلى المنافقين والكفار، فكان رسول الله ﷺ لا يفضح منافقاً إلا إذا فضح الله المنافق بقرآن نزل من السماء.

أمّا الكفار فقد شملتهم الخيرية؛ لأنّ دعوته ﷺ لهم إلى الإسلام جعلت عدداً منهم يسلمون فأصابهم بذلك خير عميم، لذلك فخيره للبشرية كلها.

❁❁❁❁

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة (يرضوه) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال تعالى في سورة التوبة: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

إرضاء الله تعالى ورسوله أمر واحد لا اختلاف بينهما، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]؛ لذا جاءت كلمة (يرضوه) بضمير الغائب المفرد وليس: يرضوهما.

والله ورسوله ليستا جهتين متباينتين، فمن أرضى الرسول ﷺ فقد أرضى الله سبحانه وتعالى، ومن أرضى الله تعالى فقد أرضى الرسول ﷺ. وقد قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ

﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] فهما ليستا جهتين كل واحدة تحتاج لإرضاء، بل هي جهة واحدة؛ لأنّ إرضاء الله تعالى من إرضاء الرسول ﷺ.

٢ـ لو قال: (يرضوهما) لدلّت على أنّ كل واحد له مطلب، وكل واحد يجب إرضاؤه وقد تتعارض الإرادتان، بينما هنا الجهتان واحدة، إذا أرضيت إحداهما فقد أرضيت الأخرى، فإذا أرضيت الرسول ﷺ فقد أرضيت الله تعالى، وإذا أرضيت الله هذا إرضاء للرسول ﷺ.

❁❁❁❁

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام المفرد مرة والجمع مرة أخرى في الآية ٢٣ من سورة الجن و ٦٣ من سورة التوبة؟

الجواب:

١ـ آية سورة الجن ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣].

٢ـ (مَن) لها لفظ ومعنى ويُعبّر عنها بالواحد أو الجمع، يقال: جاء من حضر (اللفظ مفرد مذكر، وحقيقتها مفرد أو مثنى أو جمع).

٣ـ (من) في اللغة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وعادة نبدأ لفظها أولاً على حالة الإفراد والتذكير، ثم نحملها على معناها، وهذا هو الأفصح عند العرب، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الأحزاب:٣٠] ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١] يأتي بالإفراد والتذكير أولاً ثم يؤتى بما يدل على المعنى من تأنيث أو جمع أو تثنية، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا. ..وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟﴾ [محمد:١٦] وقوله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩].

السؤال الثاني:

كيف يستخدم القرآن الكريم كلمة (خالداً) و (خالدين) مع أصحاب الجنة وأصحاب النار ؟

الجواب:

لقد جاء في القرآن الكريم استخدام (خالداً) بصيغة الإفراد مع أهل النار، كما في سورة النساء ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤] وفي سورة التوبة ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة:٦٣].

وجاءت في سورة الجن بصيغة الجمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ [الجن:٢٣]، وجاءت بصيغة التثنية في آية الحشر: ﴿خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر:١٧]

أمّا مع أهل الجنة فيقول دائماً (خالدين فيها) بالجمع، ولم تأت مطلقاً بالإفراد أو التثنية؛ لأنّ الله تعالى يمكن أن يُعذّب أهل النار بالنار وبالوحدة، لأنّ الوحدة هي بحد ذاتها عذاب أيضاً، بينما في الجنّة هناك اجتماع (خالدين، متكئين، ينظرون، يُسقون).

❊❊❊❊

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاء الفعل ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بالنصب في آية سورة هود ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود:٧] بينما جاءت بالضم في آية أخرى في سورة التوبة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ في الآية الأولى في سورة هود الفعل يُبنى على الفتح؛ لأنّ نون التوكيد باشرت الفعل المضارع؛ لأنه مُسند إلى اسم ظاهر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والفعل يُفرد مع الفاعل، وهذه قاعدة: إذا كان الفاعل ظاهراً فنأتي بالفعل في حالة الإفراد، ويُبنى على الفتح؛ لأنّ نون التوكيد باشرته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٤] ولا نقول: جاءوك الذين يؤمنون.

٢ـ أمّا في الآية الثانية فالفعل مُسند إلى واو الجماعة ولم تباشره نون التوكيد، وأصل الفعل إذا حذفنا نون التوكيد (يقولون).

ومثلها الآيات (٦١ و٦٣) في سورة العنكبوت والآية (٩ و٨٧) في الزخرف والآية (٣٨) في الزمر والآية (٦٥) من سورة التوبة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥].

وكذلك الآية (٨) من سورة هود ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [هود:٨]

٣ـ والفعل الثاني المُسند إلى واو الجماعة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ [التوبة:٦٥] مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو محذوفة لالتقاء الساكنين. وأصل الفعل (يقولون) مرفوع بثبوت النون، وعندما جاءت نون التوكيد الثقيلة يصبح عندنا ثلاث نونات، ويصبح هذا كثيراً، فيحذفون نون الرفع وتبقى نون التوكيد، واللام لام الفعل.

٤ـ في الآية الأولى اللام في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ واقعة في جواب القسم ﴿ وَلَئِن ﴾ حيث إنّ اللام موطّئة للقسم و(إن) شرطية، و(لئن) قسم. واللام في الإثبات لا بدّ أنْ تأتي في الجواب (حتى يكون الفعل مثبتاً)، فإذا قلنا: لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ فالجواب: (يقولون).

وفي جواب القسم إذا أجبنا القسم بفعل مضارع وكان الفعل مثبتاً فلا بدّ من أنْ نأتي باللام سواء معه نون أو لم يكن معه نون كأنْ نقول: والله لأذهب الآن، أو: والله لأذهبنّ، فلو حُذفت اللام فإنها تعني النفي قطعاً، فإذا قلنا: والله أذهب، معناها: لا

أذهب، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف:٨٥] بمعنى: لا تفتأ، فمتى أجبت القسم بالفعل المضارع، ولم تأت باللام فهو نفي قطعاً، وكما في هذه الأبيات:

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تُفسد الرجل الكريما

فلا والله أشربها حياتي ... ولا أشفي بها أبداً سقيما

وكذلك:

آليت حَبَّ العراق الدهر أطعمه ... والحَبُّ يأكله في القرية السوس

فالقاعدة تقول: إنّ اللام في جواب القسم دلالة على إثبات الفعل.

السؤال الثاني:

لماذا جاء جواب الشرط في قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ مرفوعاً؟

الجواب:

هذا ليس جواباً للشرط، وإنما هو واقع في جواب القسم. والقاعدة تقول: إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما، فإن تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر كأنْ نقول: أنت والله إنْ فعلت كذا.

وفي هذه الآية القسم سابق للشرط، فلا يمكن أنْ يكون (لا يخرجون) جواباً للشرط، وإنما هو جواب القسم، فلا بد من الرفع، وهو مرفوع بثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (ليقولن) جواب قسم، وليس جواب شرط.

وكذلك الأمر في قوله تعالى في آية الحشر ١٢ ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ [الحشر:١٢].

السؤال الثالث:

ما الفرق بين (استهزأ بـ) و(سخر من)؟

الجواب:

هنالك أمران في اللغة يُذكران في الاستعمال القرآني:

١ـ الأمر الأول: الاستهزاء، وهو عام سواء تستهزئ بالأشخاص وبغير الأشخاص.

* شواهد قرآنية:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة:٥٨] الصلاة ليست شخصاً، وإنما أقاويل وأفاعيل.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾ [البقرة:٢٣١].

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥]

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:٦٥] فالرسول شخص. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ﴾ [الجاثية:٩] هنا ليس شخصاً.

أمّا السخرية ففي الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص، كما في الآية: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨].

إذن الاستهزاء عام ومعنى الاستهزاء هو السخرية ، ويقولون هوالمزاح في خفية، وهو جانب من السخرية.

٢ـ والأمر الآخرهو أنّ السخرية لم ترد إلا من فعلٍ يفعله الشخص، أمّا الاستهزاء فقد يستهزأ به من غير فعل. فالسخرية أن تسخر منه وهو يفعل الفعل هذا ، و أمّا الاستهزاء فليس كذلك، فمثلاً مع نوح عليه السلام وهو يصنع الفلك، وهذا عمل ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود:٣٨] فهذا فعل، وهم سخروا من فعل يفعله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩] فهذا فعل.

إذن صار عندنا أمران في الاستعمال القرآني: أنّ الاستهزاء عام للأشخاص وغير الأشخاص، وهو لا يستوجب وقوع فعل، بينما السخرية للأشخاص فقط وتقتضي فعلاً. إذن هنالك أمران متغايران.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين التعبيرين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ و ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ في وصف المنافقين والمؤمنين في سورة التوبة في الآيتين ٦٧ و٧١ وآية المائدة ٥١؟

الجواب:

انظر الجواب في آية المائدة ٥١.

السؤال الثاني:

ما صفات المنافقين والمنافقات وصفات المؤمنين والمؤمنات المذكورة في آيتي التوبة٦٧ و ٧١ ؟

الجواب:

في الآية ٦٧ ذكر الله سبحانه صفات المنافقين والمنافقات وقيامهم بالأعمال الفاسدة والخبيثة، وفي الآية ٧١ ذكر صفات الخير وأعمال البر للمؤمنين والمؤمنات، وفيما يلي جدول بهذه الصفات:

رقم	صفات المنافقين	صفات المؤمنـــين
١	﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة:٧١]
٢	﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٧١]

٣	﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]
٤	﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة:٧١]
٥	﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]	﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:٧١]
الحكم	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾ [التوبة:٦٧]	﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة:٧١]

١ـ قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي: لا يتميز أحد من المنافقين والمنافقات عن الآخر في الخسة والقبح، سواء من الأتباع أو من الأسلاف.

وذكر الحق لفظة ﴿مِّن﴾ مع صفات المنافقين، بينما ذكر لفظة ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ مع صفات المؤمنين؛ ليدلّ على أنّ نفاق الأتباع متفرع من نفاق الأسلاف بسبب التقليد لأولئك الأكابر، وبسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة.

بينما الموافقة بين المؤمنين فإنما حصلت بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية، فتجمعهم هذه الأمور ويصبحون مجموعة متحابة قريبة من بعضها يوحّدها الإيمان والقيم والمنهج، والولاية ضد العداوة، والأصل في لفظ الولي هو القرب.

٢ـ ذكر الحق خمس صفات للمؤمن وذكر الصفات المقابلة للمنافق، وبيّن بعد ذلك وعده للمنافقين والمؤمنين كمقابلة أخرى، كما قابل بين صفات الفريقين.

٣ـ لمّا ذكر صفات المؤمنين وصفات المنافقين بيّن أنه كما وعد المنافقين نار جهنم فقد وعد المؤمنين الرحمة المستقبلة، وهي ثواب الآخرة، فأكّد فسق المنافقين بالصيغة الاسمية، وأكّد الرحمة للمؤمنين بحرف السين، ونظيره قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم:٩٦] و ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥)﴾ [الضُّحى:٥] .

السؤال الثالث:

ما دلالة الآية ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ في آية التوبة ٦٧ ؟ وما معنى النسيان في آيات الأعراف ٥١ والسجدة ١٤؟

الجواب:

١ـ النسيان هو الغياب عن الذاكرة، وتأتي أيضاً بمعنى الترك والإهمال، ومن الخطأ أنْ نأخذ الكلمة على معنى واحد فقط وننسى باقي المعاني.

٢ـ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء، فلا يُنسب له النسيان كما قال تعالى :

﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥٢]

٣ـ قوله تعالى في آية الأعراف ٥١ : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ هم لم يكونوا متذكرين للقاء ذاك اليوم، وإنما كانوا منكرين له ومهملين، فجاء نسيانهم بمعنى عدم الاكتراث.

فهناك مقابلة لفظية بين ﴿نَنسَاكُمْ﴾ ﴿نَسُوا﴾ ويسمى ذلك المشاكلة في اللفظ.

ويكون المعنى: أنّ الله لن يلقي لهم بالاً بنفس النمط الذي فعلوه من عدم اكتراثهم بيوم القيامة.

٤ـ قوله تعالى في آية التوبة ٦٧ : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ هو أيضاً من قبيل المشاكلة.

٥ـ قوله تعالى في آية السجدة ١٤ : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾

أي: أنتم ابتداءً أهملتم هذا اليوم ولم تلقوا له بالاً، واليوم تُنسون في نفس النمط، فلا يُلقى لكم بالاً.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين هذه الكلمات التالية (وعد ـ أوعد) و(يقبَل ويُتقبل) و(كُرهاً وكَرهاً) و (طوعاً وطائعاً) ؟

الجواب:

وعد وأوعد: (وعد) تأتي دائماً بالخير ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ [النور:٥٥] و(أوعد) تأتي بالشرّ.

يقبَل ويُتقبل: (يقبل) من الرسول ﷺ، ومن العباد يقبل الصلاة والزكاة وهم في الدنيا، أمّا (يُتقبل) فهو من الله تعالى، يتقبل الأعمال أو لا، وهذا في الآخرة.

كُرهاً وكَرهاً: (كُرهاً) ـ بضم الكاف ـ هو العمل مع المشقة ، أمّا (كَرهاً) ـ بفتح الكاف ـ فتفيد العمل بالإجبار من آخر.

طوعاً وطائعاً: (طوعاً) تعني تلقائياً من النفس، و(طائعاً) تعني طائعاً لإرادة الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله، وما أسند الوعد فيه إلى الرحمن ؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي: (وَعَد) إلى (الله) لم يُذكر فيها اسم الرحمن وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن، كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل: (وَعَدَ) إلى (الرحمن) تكرر اسم الرحمن في السورة، كما في سورتي يس ومريم، فقد تكرر اسم الرحمن في يس ٤ مرات وفي مريم ١١ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو مخصص للمؤمنين أو للكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ و ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ فهو وعد.

وأما ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن، فهو وعد عام يشمل عموم العباد، وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ [مريم:٦١] فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق، مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً.والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة الوعد في الآية ؟ وما الفرق بين الوعد والوعيد ؟

الجواب:

الوعد: بشارة بخير يأتي زمانه بعد الكلام، والوعيد: إنذار بسوء يأتي زمانه بعد الكلام.

١ـ جاء الأسلوب القرآني مخالفاً للعرف البشري، فجاء بكلمة (وَعَدَ)، وهي تقال دائماً للخير في حديثه سبحانه وتعالى عن المنافقين والكفار، مع أنّ الشائع لغوياً (أوعد).

واستخدم كلمة (وَعَدَ) بالنسبة للمؤمنين والمؤمنات موافقاً للمنطق البشري واللغوي؛ لأنه وعد بخير.

والسبب - والله أعلم-: أنّ الحق بعد أنْ عرّف المنافقين والمنافقات ثم تكلّم عن جزائهم إنْ أصروا على نفاقهم ،كان ذلك تحذيراً لهم حتى لا يصرّوا على النفاق مخافة العذاب الذي ينتظرهم، علّهم يقلعون عن النفاق وينصرفون إلى الخير من الإيمان.

أي أنّ الحق حين حذّرهم بالوعيد نصحهم، كما تقول لمن يهمل في دروسه: سترسب إذا أهملت دروسك، فتكون بذلك قد خدمت إقباله على المذاكرة وأوصلته بالوعيد إلى أنْ يتجنب الأمر الذي أوعد به.

لذلك حين يحذر الله المنافقين والمنافقات بالمصير الذي ينتظرهم يكون هذا خيراً ونعمة؛ لأنهم إنْ اتعظوا وأقلعوا عن النفاق إلى الإيمان فهم ينجون أنفسهم من عذاب النار، وفي هذا خير عميم.

٢ـ ولذلك استخدم الحق كلمة ﴿وَعَدَ﴾ ولم يستخدم: أوعد، وتكون الكلمة مؤدية للمعنى الذي أراده الله.

كما يمكن أنْ يكون ذلك أسلوباً من التهكم؛ لأنّ المنافقين والمنافقات يبطنون ما لا يُظهرون، فهم يبطنون الكفر ويُظهرون الإيمان ويحسبون أنهم على خير، فكأنّ القرآن استخدم كلمة ﴿وَعَدَ﴾ كنوع من المشاكلة والمشابهة ، فوعدهم بالعذاب بدل: أوعدهم

بالعذاب، وهما معنيان معكوسان متناقضان: (وعد) للخير، والعذاب شر كما هي حياتهم معكوسة متناقضة، فيبطنون ما لا يُظهرون. والله أعلم.

٣ـ على أنه إذا كان الوعد والوعيد من الحق سبحانه، فإنه مختلف مع منطق البشر؛ لأننا أهل أغيار، فقد أَعِدُ بخير ولا أستطيع تنفيذه، وقد أَعِدُ بعقاب ثم أضعف بسبب ظروف معينة.

أمّا الحق سبحانه فوعده ووعيده منه سبحانه، وهو القادر دائماً القوي دائماً الموجود دائماً صاحب الكلمة العليا، بحيث لا يوجد شيء يمكن أن يجعله لا يفي بوعده أو لا يُتم وعيده.

❁❁❁❁

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ﴾، فلماذا استخدمت صيغة المفرد والجمع؟

الجواب:

قال تعالى في سورة التوبة: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ

كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾، ومعناها (خضتم) كخوضهم. وقد استخدمت صيغة الجمع ﴿وَخُضْتُمْ﴾ والمفرد ﴿كَالَّذِي﴾ والجمع ثانية ﴿خَاضُوا﴾ والرأي السائد أنّ المعنى: خضتم كالذي خاضوه، أي: بالشيء الذي خاضوا فيه، و﴿كَالَّذِي﴾ عادت على الأمر المفرد، وليس على (خاضوا).

❀❀❀❀

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿أَتَتْهُمْ﴾ ما الفرق بين (جاء وأتى) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنعام ٣١.

السؤال الثاني:

زاد في البقرة ٥٧ والأعراف١٦٠ والتوبة ٧٠ قوله تعالى ﴿كَانُوا﴾ بخلاف آية آل عمران١١٧، فما السبب؟

الجواب:

١ـ إنّ آيات البقرة والأعراف والتوبة في أقوام قد مضوا، وهم بنو إسرائيل وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات .

٢ـ أمّا آية آل عمران فهي ليست في أقوام ماضين، وإنما مثلٌ ضربه الله لكل عصر .

٣ـ لذلك نرى أنه عندما يتكلم الله سبحانه عن الحال يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: في الوقت الحالي وليس الزمن الماضي، كما في آية آل عمران ١١٧، حيث قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ فوصف حالة موجودة راهنة.

وكذلك عندما يتكلم عن قاعدة مطردة مطلقة، فهذا ليس ماضياً وإنما حال واستقبال، فيقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ كما في آية يونس ٤٤.

٤ـ وعندما يتكلم الله سبحانه عن الأقوام الماضية البائدة، يقول: ﴿كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كما في آية العنكبوت ٤٠.

❁❁❁❁

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب الاختلاف بين التعبيرين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ و ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في وصف المنافقين والمؤمنين في سورة التوبة في الآيات ٦٧ و ٧١ وآية المائدة ٥١؟

الجواب:

انظر آية التوبة ٦٧.

❁❁❁❁

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾.

السؤال الأول:

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن ؟

الجواب:

انظر آية التوبة ٦٨.

السؤال الثاني:

أكد بضمير الفصل في آية التوبة ٧٢، فقال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ دون آية التوبة ١٠٠، فما السبب؟

الجواب:

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ بقصد التوكيد والحصر.

وهنا أكّد بضمير الفصل في آية التوبة ٧٢ فقال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ دون آية التوبة ١٠٠، وذلك لجملة أسباب، منها:

١ـ ذكر في الآية ٧٢ زيادة على الجنات ما هو أكبر منها ألا وهو رضوان الله ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أكبر من الجنات وملذاتها ونعيمها، فلمّا زاد ذلك زاد في التوكيد .

٢ـ ذكر في الآية ٧٢ قوله:﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت، والتي هي آكد من الفعلية التي جاءت في الآية ١٠٠ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، فناسب كل ذلك توكيد الفوز وعظمه .

٣ـ زاد في الآية ٧٢ على الجنات ذكر المساكن الطيبة في جنات عدن، فقال: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ، فناسب ذلك أنْ يزيد في توكيد الفوز.

٤ـ قال في الآية ٧٢: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بزيادة ﴿مِن﴾ على الآية ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، و(من) هنا للابتداء، أي: أنّ الأنهار تتفجر من تحتها، وهذه الحالة أكمل من حالة ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فإنه ذكر أنّ الأنهار تجري تحتها وليس بدء الجريان منها، فناسب كل ذلك ضمير الفصل لتوكيد الفوز وعظمته.

وللعلم فإنه في القرآن الكريم حيث ذكر الجنات يقول: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بذكر ﴿مِن﴾ إلا في الآية ١٠٠ من سورة التوبة، وقيل سبب ذلك: أنه حيث ورد ذكر الجنات وردت ﴿مِن﴾ معها كان الكلام عاماً لعموم المؤمنين الذين فيهم الأنبياء والرسل وغيرهم، ففيهم من هو أعلى منزلة من المذكورين في الآية ١٠٠ التي هي مخصوصة بالسابقين الأولين، فناسب ذلك أنْ يزيد ﴿مِن﴾؛ لأنّ فيهم من هو أعلى منهم.

وجاء في كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكافي بخصوص هاتين الآيتين: أنّ (من) لابتداء الغاية، والأنهار أشرف جزء منها هي مباديها، والجنات التي مباديها الأنهار من تحت أشجارها أشرف من غيرها، فكل موضع ذكر فيه (من تحتها) إنما هو لأقوام عامة فيهم الأنبياء والرسل، والموضع الذي لم يذكر فيه (من) إنما هو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء، إذ لا موضع في القرآن ذكرت فيه الجنات وجري الأنهار تحتها إلا وقد دخلتها (من) سوى الموضع الذي لم ينطق ذكر الموعودين فيها على الأنبياء عليهم السلام .

علماً بأنه قد وردت الجملة ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في حوالي ٣٤ موضعاً في القرآن الكريم في وصف الجنة ونعيمها موزعة على حوالي ٢٣ سورة. وكذلك الجملة القرآنية ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في وصف الجنة في ثلاثة مواضع: [الأعراف ٤٣ ويونس ٩ والكهف ٣١].

كما أنّ هناك قراءة أخرى في الآية ١٠٠ (تجري من تحتها الأنهار) أي: مع صحابة رسول الله ﷺ فهناك (تجري تحتها الأنهار) و (تجري من تحتها الأنهار)، فجمع لهم صنفين من المياه (تحتها) و(من تحتها) وهي صورة خاصة بجنان صحابة الرسول ﷺ.

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿مَا قَالُوا۟﴾ ولِمَ لم تأتِ بصيغة (لم يقولوا)؟

الجواب:

(ما) في الغالب تقال للرد على قول في الأصل. تقول في الرد على دعوى: أنت قلت كذا؟ (ما قلت).

أمّا (لمْ أقل) فقد تكون من باب الإخبار، فليست بالضرورة أنْ تكون رداً على قائل، لذلك النحاة قالوا: (لم يفعل) هي نفي لـ(فعل)، بينما: (ما فعل) هي نفي لـ (لقد فعل) و(ما حضر) نفي لـ(قد حضر)، كما في الآية: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾.

وكذلك (ما فعل) يقترن بها (لقد فعل)، وأمّا (لم يفعل) فيقترن بها (هو فعل).

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ ما الفرق بين النقمة والانتقام ؟

الجواب:

١ـ النِقمة: مصدر للفعل الثلاثي (نَقَمَ) وتصريفاتها مسندة إلى غير الله تعالى كالكفار مثلاً، وهي تعبر عن مرض نفسي خبيث يدل على الحقد والبغض.

ويخبرنا التاريخ أنّ الكفار عندما يواجهون المؤمنين يُلغون القوانين والأنظمة والمبادىء والأعراف والتشريعات التي كانوا يتبجحون بها ويقاتلونهم بنقمة وبقلب أسود حسود.

٢ـ الانتقام: مصدر الفعل الخماسي (انتقم)، وهو عقوبة من الله للكفار نتيجة ذنوبهم وكفرهم وانحرافهم.

السؤال الثالث:

عبر في آية آل عمران ٨٦ بالإيمان ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ وفي آية التوبة ٧٤ بالإسلام ﴿بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

هو لاختلاف حال من عني بهما. انظر الجواب في آية آل عمران ٨٦.

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ؟ وما دلالة (سبعين) في الآية؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٥.

❁❁❁❁

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ في أربع آيات في القرآن الكريم، واحدة منها في آية التوبة (٨١)، وثلاث أخرى في سورة الفتح في الآيات [١١ـ١٥ـ١٦] فما دلالة ذلك ؟ ولماذا سماهم الله عز وجل (المخلفين) ولم يطلق عليهم مثلاً (المتخلِّفين) ؟

الجواب:

لغة: (المخلفون) جمع مخَلَّف ـ بفتح اللام ـ وهي اسم مفعول للفعل ـ خلّف ـ بتشديد اللام، ومعناه: ترك وراءه، أي: أنّ المخلّف هو المتروك وراء القوم بإرادة القوم واختيارهم .

لكنّ المذكورين في الآيات بوصف (المخلفين) هم الذين تخلفوا وراء القوم في غزوة الحديبية ثم في غزوة تبوك ولم يخلفهم المسلمون وراءهم، بل هم الذين تخلفوا وراء المسلمين ولم يخرجوا معهم حيث أقعدهم نفاقهم وجبنهم باعتقادهم أنّ النبي ﷺ إنما خرج لحتفه، وأنه لن يعود إلى المدينة أبداً، وأنه سيهلك لا محالة؛ ولذلك تخلفوا عنه.

فلماذا سماهم الله عز وجل (المخلّفين) ولم يطلق عليهم مثلاً (المتخلفين)؟

والجواب: أنّ الجيش المسلم لا ينتصر إلا إذا كان الجميع على قلب رجل واحد، مؤمنين متوكلين على الله، وليس الجيش المسلم بحاجة إلى أنْ يكون ضمن صفوفه بعض الجبناء والمنافقين والمثبطين والمعوقين الذين يفرون وقت الشدة، أو يعودون من بعض الطريق، أو لا يخرجون منذ البداية، فهؤلاء عبء على الجيش المسلم وخاصة في الأوقات العصيبة، ولو خرجوا معهم ما زادوهم إلا خبالاً، ولذلك يتمنى المسلمون الصادقون أنْ يبتعد هؤلاء عنهم ليجنبوهم هذه الشرور.

فكأنّ المسلمين هم الذين خلّفوهم وراءهم وهم الذين نبذوهم من البداية، ولبيان هذا وصفتهم الآيات بصفة المخلَّفين ولم تصفهم بوصف (المتخلفين)؛ حتى تكون الكلمة دالة على جبنهم ونذالتهم ونفاقهم. والله أعلم.

﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الضحك: هو انفعال غريزي فطري يحدث للإنسان عندما يقابل شيئاً يسره.

٢ـ البكاء: هو انفعال غريزي فطري يحدث للإنسان عندما يقابل شيئاً يحزنه.

٣ـ أسندهما الله إلى نفسه، فهو سبحانه وحده الذي يُبكي وهو سبحانه وحده الذي يُضحك، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم:٤٣-٤٤].

أمّا التضاحك أو التباكي فهو نوع من الافتعال، وأمّا الضحك والبكاء الحقيقي فأمران بالفطرة يملكهما الله وحده سبحانه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ هو أمر بالضحك والبكاء؛ لأنّ الكفار يضحكون قليلاً في هذه الدنيا مهما طالت أعمارهم، لكنهم سيبكون كثيراً وطويلاً في الآخرة التي فيها الخلود في العذاب.

فالذي يفرح حالياً بترك الصلاة أو الزكاة ويعتقد أنه قد غنم في الدنيا فلا بدّ أنْ يندم ويبكي كثيراً عند عذاب الآخرة الخالد.

وكما ضحك الكفار من المؤمنين في الدنيا، سيضحك المؤمنون من الكفار في الآخرة .

٥ـ لم يقل الحق (سيضحكون) ككلام خبري يجوز أنْ يحدث أو لا يحدث، بل جاء مؤكداً .

٦ـ وقد أعطانا الله السبب في أنّ ضحكهم سيكون قليلاً وبكاءهم كثيراً بقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فهذا جزاء ما فعلوه في الدنيا.

٧ـ حذف الموصوف في الآية للإطلاق. وبدل أنْ يقول:

[فليضحكوا زمناً قليلاً + فليضحكوا ضحكاً قليلاً + وليبكوا زمناً كثيراً + وليبكوا بكاء كثيراً] قال: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ ولو لم يحذف لأفاد واحدة منها فقط حسب الذي ذكره.

لذلك لمّا حذف الموصوف احتمل المعنيين في آن واحد.

٨ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الكسب عمل طبيعي والاكتساب هو افتعال الكسب، والاكتساب الحرام فيه افتعال يتعب النفس ولا يجعلها منسجمة مع جوارحها، فالرجل مع زوجته في البيت مستقر الجوارح لا يخشى شيئاً، لكنه مع زوجة غيره يهيج جوارحه فيقفل النوافذ ويُطفىء الأنوار وإنْ دقّ جرس الباب يصاب بالهلع والذعر؛ لأنّ ملكات النفس ليست منسجمة مع العمل.

أمّا إذا اعتادت النفس الإثم مثل من اعتاد الإجرام فلا يهيجها الحرام. وفي هذه الحالة تنقلب عملية الاكتساب إلى كسب، وتعتاد النفس على المعصية وعلى الإثم ويصبح جزاؤها عند الله أليماً وعذابها عظيماً.

فقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ بدل (يكتسبون) يفيد أنّ هؤلاء المنافقين قد اعتادوا المعصية وعاشوا في الكفر فأصبحت العملية سهلة بالنسبة لهم، ولا تحتاج إلى أي افتعال.

❁❁❁❁

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٦.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ ما دلالة الفعل: رجع ؟ وما الفرق بين الرد والرجع ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ١٥٠.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (الفسق والكفر والظلم)؟

الجواب:

١ـ الفسق: الخروج عن الطاعة من: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، ويمتد من أيسر الخروج إلى الكفر وكله يسمى فاسقاً. فالذي يخرج عن الطاعة وإنْ كان قليلاً يسمى فاسقاً، والكافر يسمى فاسقاً أيضاً، وقال ربنا عن إبليس: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ﴾ [الكهف:٥٠] ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة:٨٤] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

والكفر سماه فسوقاً، والنفاق سماه فسوقاً ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة:١٨] فإذن الفسق ممتد، وهو الخروج عن الطاعة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة:١٩٧] الفسوق هنا ليس كفراً، وكيف يكون كفراً وهو في الحج؟ فالفاسق ليس بالضرورة كافراً، فقد يصل إلى الكفر وقد لا يصل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجُرات:١١] ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] هذا ليس كفراً، بينما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ﴾ [الكهف:٥٠] أي: خرج عن أمر ربه فوصل إلى الكفر، ولهذا وصف إبليس بالفسق .

وليس كل فاسق كافراً، لكن كل كافر فاسق قطعاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة:٦٧] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥].

٢ـ الكفر: فهو الخروج عن المِلّة، والكفر أصله اللغوي الستر وتستعار الدلالة اللغوية للدلالة الشرعية.

٣ـ الظلم: هو مجاوزة الحد عموماً، وقد يصل إلى الكفر ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤] وقد لا يصل.

السؤال الثاني:

وردت كلمة أجداث في القرآن ثلاث مرات، والقبور ثماني مرات، فما الفرق بين الجدث والقبر؟

الجواب:

١ـ عندما نأتي إلى معجمات اللغة نجد فيها أنّ الجدث هو القبر فالأجداث هي القبور. لكنّ السؤال: لماذا استعمل القرآن الأجداث هنا ولم يستعمل القبور؟

صحيح أنّ الأجداث هي القبور، لكن نريد أن نعرف حقيقة هل كان بإمكان القرآن أنْ يقول: (يخرجون من القبور) بدل ما يقولون:(من الأجداث) ؟

٢ـ علماء اللغة يقولون: القبر عام عند العرب، وهي كلمة تستعملها قبائل اليمن وقبائل الشام.

أمّا الجدث فالأصل فيه أنه لهذيل، وهذيل قبيلة في وسط الجزيرة، أي: من القبائل التي أخِذت منها العربية وتميم أيضاً في وسط الجزيرة، والهُذلي يقول جدث بالثاء، وقريش أخذت من هذيل وصارت تستعملها ونزل القرآن بها.

٣ـ هؤلاء الذين في وسط الصحراء أرضهم رملية فتخيل عندما ينشق القبر تتشقق هذه القبور وكلها رمال ماذا سيكون؟ سيكون نوع من طيران الرمال في الجو لتشققها، وهذا يتناسب مع صوت الثاء بما فيه من نفث، وعندما نقول: (جدث وأجداث) الثاء فيها نفخ، بخلاف (قبر وقبور) ففيها شدّة، لكن ليس فيها هذه الضوضاء .

٤ـ ولذلك لم يستعمل القرآن الأجداث إلا في بيان مشاهد يوم القيامة، بينما كلمتا (قبر وقبور) استعملت في الدنيا والآخرة ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار:٤] وبدون أنْ يصور لنا الصورة.

٥ـ هناك ثلاث آيات في ثلاثة مواضع، وكلها في الكلام عن النشور يوم القيامة وعن الخروج من القبور أو من الأجداث:

- الآية الأولى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس:٥١] وتعني جماعات جماعات ينسلون يتجهون و يسرعون في الخروج.

– الآية الثانية: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر:٧]: أيضاً يوم القيامة وأيضاً فيه هذا الانتشار وسرعة الحركة للجراد كأنهم جراد منتشر.

– الآية الثالثة: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ [المعارج:٤٣]: وهذا كله في مشهد يوم القيامة في الحركة والانتفاض.

٦ـ لم تستعمل إلا كلمة (جدث) ،وما استعمل أي اشتقاق من اشتقاقاتها، استعمل فقط (أجداث) في صور مشاهد يوم القيامة.

٧ـ بينما كلمة (قبر) ولأنها عامة استعمل منها الفعل ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ [عبس:٢١] واستعمل المفرد ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨٤﴾ [التوبة:٨٤] واستعمل الجمع ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:٤] هذا في الدنيا، والمقابر في الدنيا.

❁❁❁❁

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الآيتين في سورة التوبة ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ والآية ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة (٥٥).

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي (قعود) و (قاعدون) في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٤٦ .

السؤال الثاني:

ما دلالة ﴿وَإِذَآ﴾ في الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٣.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ ما الفرق بين (الإحسان والفضل والطول)؟

الجواب:

١ـ الإحسان: قد يكون واجباً وغير واجب، و(الفضل) لا يكون واجباً على أحد، وإنما هو ما يُتفضّل به من غير سبب يوجبه، والإحسان متضمن بالحمد.

٢ـ الإنعام: يكون من المنعم على غيره، وهو متضمن الشكر الذي يجب وجوب الدَّين، والنعمة متضمنة بالشكر.

٣ـ الطول: هو ما يستطيل به الإنسان على من يقصده، والطَّول بالفتح هو المنّ والتفضل.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ﴾ أي: من معه فضل يستطيل به على عشيرته.

❊❊❊❊

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

السؤال الأول:

في آية سورة التوبة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ما دلالة (الباء)؟

الجواب:

الأصل أن يتعدى فعل (رضي) بالباء نحو: رضيت بهذا، رضيت بالله رباً. والأصل (رضي به)، ويجوز نزعه من باب الجواز النحوي، ويمكن أنْ نقول: يبشرهم أنّ لهم جنات، أو بأنّ لهم جنات.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الخوالف جمع (خالفة)، نحو: فارسة وفوارس، وأمّا خالف، فجمعها: خالفون.

وكلمة (خالفة) تطلق على النساء، وهم قد ارتضوا القعود والسكون، وقعود المنافقين وتخلفهم واستئذانهم أنْ يبقوا مع النساء والعجزة والمرضى والصبية هو حطٌّ من شأنهم.

٢ـ كلمة (خالفون) جمع مذكر سالم، ويفيد جمع الصفة، بينما (الخوالف) جمع تكسير الذي يُراد به الذات أو الأشخاص، وهو المقصود في الآية.

راجع بحث كلمة (كوافر) في سورة الممتحنة آية ١٠؛ وذلك للحصول على مزيد من المعلومات في هذا الأمر.

٣ـ وما دام الكافر قد أعجبه كفر قلبه، فالحق يختم على قلبه بحيث لا يخرج ما فيه من كفر ولا يدخل إلى قلبه ما هو خارجه من إيمان، تماماً كما تختم الشيء بالشمع الأحمر.

٤ـ قال: ﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ولم يقل: في الخوالف؛ لأنّ (في) تفيد الاشتراك بأمر، وهم فئة وحدهم في المجتمع لا يشتركون مع غيرهم في هذا الأمر.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفهمون ما حُرموا من ثواب ونعيم؛ لأنهم قد فرحوا بتخلفهم عن الجهاد، وهم يحسبون أن هذا خير لهم، ولكنه شر لهم.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية:﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لماذا جاءت بصيغة المبني للمجهول ؟ بينما جاءت بصيغة المبني للمعلوم في آية التوبة ٩٣ فقال: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فما السبب ؟

الجواب:

إنّ إسناد الطبع إلى الله أشد تمكناً في القلب من بنائه للمجهول، فما أُسند إليه صراحةً يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه، فعلى هذا فالله تعالى يُسند الطبع إليه في مواطن المبالغة والتأكيد ويبنيه للمجهول فيما هو أقل من ذلك، وهذا الأمر واضح في الآيتين ٨٧ و ٩٣ من سورة التوبة.

وبالنظر في السياقين يتضح ذلك:

قال تعالى في سياق الآية الأولى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

وقال في سياق الآية الثانية: ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

فأنت ترى أنّ الآخرين أشد ضلالاً وكفراً من الأولين، ويدلك على ذلك ما ذكره من صفاتهم وأحوالهم، فإنه لم يذكر في الأولين سوى أنهم يستأذنون الرسول إذا أُنزلت سورةٌ تأمر بالإيمان والجهاد وأنهم يقولون: ﴿ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ وعقَّب على ذلك بقوله: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ في حين ذكر من صفات الآخرين ما يدل على شدة كفرهم وضلالهم وغضب الله عليهم ما لم يذكره في الأولين .

١ـ فقد طلب الله ردّ اعتذارهم إذا اعتذروا ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ ﴾ .

٢ـ طلب أنْ يُخبروهم بعدَم تصديقهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾.

٣ـ وأن يُخبروهم بأنّ الله نبّأ المؤمنين بأخبارهم وأحوالهم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ .

٤ـ طلب من المؤمنين أنْ يعرضوا عنهم ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ .

٥ـ ووصفهم بأنهم رجس ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة:٩٥].

٦ـ وذكر عاقبتهم وسوء مآلهم في الآخرة ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ .

٧ـ طلب من المؤمنين ضمناً أن لا يرضوا عنهم إذا ما حاولوا استرضاءهم ؛ لأنّ الله غير راضٍ عنهم ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ .

فناسب ذلك إسناد الطبع إلى الله؛ للدلالة على شدة تمكن الكفر في نفوسهم وقلوبهم، بخلاف الآية الأخرى.

ومما حسّن بناء الفعل للمجهول أيضاً في الآية الأولى ما قاله فيها: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ ﴾ ببناء (أُنزل) للمجهول، فكما أنه لم يسند الإنزال إلى الله تعالى لم يسند الطبع إليه، فكان بناء الفعل للمجهول في الآية الأولى أنسب وبناؤه للمعلوم في الآية الثانية أنسب، والله أعلم.

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا رفعت كلمات (الراسخون- الله - الرسول- الظالمون) بعد كلمة ﴿لَٰكِنِ﴾ في آيتي سورة النساء١٦٢-١٦٦ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ﴾ وفي آية التوبة ٨٨ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وآية مريم ٣٨ ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ ؟

الجواب:

(لكنّ) تنصب الاسم وترفع الخبر، أما (لكنْ) ساكنة النون فتهمل وجوباً؛ فيكون ما بعدها مرفوعاً.

❊❊❊❊

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ﴾ ما كلمات منظومة القعود ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأعراف ٧٨.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ ما الفرق بين الضعفاء والضِّعاف؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.

❁❁❁❁

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية التوبة ٨٧: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لِمَ جاءت بصيغة المبني للمجهول ؟ بينما جاءت بصيغة المبني للمعلوم في آية التوبة ٩٣ فقال: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ، فما السبب ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٨٧.

﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

زاد في آية التوبة (١٠٩) قوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ بخلاف الآية الأولى (٩٤)، فما السبب ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى ٩٤ في المنافقين، وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، ولا يطلع على ما في ضمائرهم إلا الله ثم رسوله بإطلاع الله إياه، ولا يعلم المؤمنون بهم إلا من أطلعه رسول الله ﷺ، فلم يقل (والمؤمنون)؛ لأنّ المؤمنين لا يرون أعمالهم، بخلاف الآية الأخرى فإنها في طاعات المؤمنين وصدقاتهم، وهي ظاهرة للجميع؛ ففرّق بين الجماعتين، انظر الآيات التوبة [١٠٣ـ١٠٥].

٢ـ من جهة أخرى ختم آية المنافقين بقوله ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ فقطعه عن الأول؛ لأنه وعيد، وختم آية المؤمنين ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾؛ لأنه وعد فبناه على قوله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾.

﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ ﴾

السؤال الأول:

الأعراب ذكرت في القرآن ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾فمن الأعراب؟

الجواب:

الأعراب هم سكان البادية، وأهل اللغة يفرّقون بين كلمتي العرب والأعراب، العرب سكان المدن، أي: الحضر، والأعراب سكان البادية.

أمّا لماذا هم أشد كفراً ونفاقاً؟ السبب أنّ توحشهم في البادية وقساوة قلوبهم حكَمَهم بهذا الوصف، ولا شك أنّ طبيعة نشأتهم تكون أقسى قلباً وأشد جفاء من سكان الحضر، مع أنّ قسماً من الأعراب أثنى عليهم ربهم؛ كما ذكر تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

❁❁❁❁

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾

السؤال الأول:

لماذا استعملت (مِن) مع الجنات في القرآن كله ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ إلا في آية سورة التوبة ١٠٠ جاءت (جنات) بدون (مِن)؟

الجواب:

١ـ معنى ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ دلالة على أنّ بداية الجريان ليس من تحتها، وهي منزلة أقل؛ لأنّ هذه الآية جاءت في ذكر السابقين الأولين ولم يُذكر معهم الأنبياء أبداً، وقد جاءت على هذه الصيغة في آية واحدة فقط في القرآن كله، وهي هذه الآية في سورة التوبة.

أمّا في باقي الآيات التي وردت فيها ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ فالمؤمنون ذُكروا مع الأنبياء، وهي دلالة على أنّ بداية الجريان من تحت هذه الجنات وهذه منزلة أكبر؛ لأنّ بين أهل هذه الجنات أنبياء الله تعالى، وهم الأعلى منزلة.

٢ـ هذه الآية في سورة التوبة فيها قراءة سبعية، أهل مكة كانوا يقرؤون: (تجري من تحتها الأنهار) يعني جبريل عليه السلام نزل ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا﴾ ونزل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لماذا بشكل خاص في هذا المكان؟ إنه نزل بلفظين .

٣ـ لذلك ﴿تَحۡتَهَا﴾ و ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ معناه أنّ هذه الجنات لصحابة رسول الله ﷺ، وهذه الجنات المياه التي فيها صنفان: مياه تتفجر من داخلها ومياه تأتيها من كل مكان. فلمّا تجتمع القراءتان معناه الجنان التي لأصحاب محمد ﷺ تختلف عن جنان سائر الناس، فسائر الناس تجري من تحتها الأنهار، تتفجر الأنهار وتمضي لكن أنْ تتفجر فيها وتأتيها من كل مكان، هذه الصورة خاصة بجنان صحابة رسول الله ﷺ.

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ ؟

الجواب:

١ـ كلمة (مَرَدَ) أي: تدرب وتمرن وأصبح الأمر عنده حرفة، والكلمة من (مرد يمرد مروداً ومارداً)، وهذه المادة تصف الشيء الناعم الأملس الذي لا تظهر فيه نتوءات، ومنه الشاب الأمرد، أي: الذي لم ينبت له شعر يخترق بشرته.

٢ـ المعنى العام للآية: أنكم مطوقون بالمنافقين في نفس المكان الذي تقيمون فيه وفيما حولكم، فالنفاق متفشٍّ في منطقتكم، منه ما تستطيعون معرفته بحركات المنافقين وسكناتهم ولحن قولهم، ومنه أمر دقيق لا تعلمونه، ولكنه سبحانه يعلمه، فاطمئنوا فسوف يفضحهم لكم .

وسترون فيهم العقوبات وهم سيعذبون مرتين في الدنيا: بفضح نفاقهم والمصائب التي ستأتيهم على شكل مغرمٍ فقط؛ لأنّ المؤمن حين يصاب إمّا أنْ يكفّر الله عنه ذنباً أو يرفعه درجة، ولكنّ المصائب للمنافق تأتي لإبادته، والمصاب هو من حُرم من الثواب .

٣ـ قوله تعالى: ﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ فهناك أنواع متعددة من العذاب: [أليم ـ عظيم ـ مهين ـ مقيم].

والعذاب العظيم يأتي إمّا بأسباب وإمّا بمسبب، وعذاب الدنيا يكون بأسباب، فقد يكون بالعصا أو الكرباج أو بالإهانة أو غيرها، أمّا عذاب الآخرة فهو بمسبب، وإن قِسْتَ عذاب الآخرة بالعذاب في الدنيا فمن المؤكد أنّ عذاب الآخرة عذاب عظيم .

❁❁❁❁

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٠٢ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا﴾ ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب في القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢ .

❁❁❁❁

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ؟ ولماذا لم يقل (من عباده)؟ والله سبحانه استعمل (من) في آية النساء ٩٢، واستعمل (عن) في آية الشورى ٢٥ والأحقاف ١٦ وآية التوبة ١٠٤ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

١ـ القبول هو أخذ الشيء برضى، أنت تعطي إنساناً شيئاً ما، فإذا قبِله معناه: أخذه وهو راضٍ، وهذا هو الشيء الطبيعي.

٢ـ التوبة هي الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، وكلُّ إنسان معرّض للخطأ وخير الخطائين التوابون، فيعود بسرعة، فالتوبة هي العودة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، والتوبة هي الكفّ عن المخالفة والعودة إلى الطاعة، لا أنْ يكون منغمساً في المخالفة ويقول: تبت يا رب، لكنْ ينبغي أنْ يكفّ أولاً ثم يعود إلى طاعة الله سبحانه وتعالى.

٣ـ استعمال (عن) بدل (من): إذا عدنا إلى جميع الآيات التي فيها كلمة التوبة، نجد أن كلمة (عن) تستعمل حينما يكون الكلام هو عودة إلى الله سبحانه وتعالى، والمتكلِم المباشر هو الله سبحانه وتعالى أو هو معلوم عن طريق الغيبة، وعندما يقول (هو) يعني الله سبحانه وتعالى، وعبّر عنها بصيغة الغيبة لرفع الشأن والمقام من حيث اللغة، أمّا المواطن الأخرى جميعاً فليس فيها هذه الظاهرة.

٤ـ ما الفرق بين ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ و (يقبل التوبة من عباده)؟

عندما نقول: (فلان كان يمشي بسيارته وخرج من الطريق السريع) معناه وجد منفذاً وخرج، وهذا المنفذ متصل بالطريق السريع. لكن لو قيل لك: (فلان بسيارته خرج عن الطريق السريع) معناه: انحرف كأنما انقلبت سيارته. هذه الصورة الآن نحن نفهمها بعد ألف عام فكيف كان العربي يفهم الفرق بين (من) و(عن)؟

العربي يستعمل (عن) لمجاوزة الشيء، و(من) لابتداء الغاية، كأنه ابتدأت غايته من الطريق.

مع (من) كأنه تبقى الصِلة فهناك شيء ولو صلة متخيلة، أمّا (عن) ففيها انقطاع ﴿يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] أي: لا تبقى لهم صلة. فما فائدة هذه القطيعة؟ القطيعة مقصودة مرادة.

والتوبة ترتقي إلى الله سبحانه وتعالى، ولو قيل في غير القرآن (يقبل التوبة من عباده) يكون كأنّ الإثم الذي تاب عنه يبقى متصلاً به، وهذه التوبة يتخيل معها الإنسان صورة مادية للصلة بالله سبحانه وتعالى، والصلة المادية بالله عز وجل منهيٌّ عنها لا ينبغي أن تتخيل ذلك (ليس كمثله شيء)، وكل ما خطر ببالك فالله عز وجل بخلاف ذلك.

فعندما تقول (من عباده) كأنه يبقى ذلك الخيط، لكنّ هذا ينبغي أنْ يُقطع كأنّ هذا الإثم انقطع عنك تماماً، والتوبة ترتفع إلى الله سبحانه وتعالى، أنت تبت وهي ارتفعت ولم تعد موصولة بك، ففيها صورة انقطاع من الإثم وانفصال.

وعلماؤنا يقولون: ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ يعني (من عباده) ويقولون: الحروف يستعمل بعضها مكان بعض، صحيح يستعمل بعضها مكان بعض لكن هناك غاية.

إذن ﴿عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ مقصودة، وكان يمكن أنْ يقول: (من عباده)، لكن المعنى يختلف، والصورة الذهنية ستختلف عند ذلك.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العفو فيه معنى الصفح وفيه معنى المحو، والعرب تقول: عفا عنه، أي: صفح عنه، كأنه مسح لأنّ أصل العفو هو المحو، ويقال: (عفت الريح الآثار أي: محت).

٦ـ كان يمكن أنْ يقول: ويعفو السيئات، أي: يمسحها، ويمكن أنْ يقول: (ويعفو سيئات) أو (ويعفو سيئاتهم) أو (ويعفو عن سيئاتهم) فلماذا جاءت بالألف واللام ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى:٢٥] ولم تأت نكرة ولا جاءت مضافة؟ ولا جاءت من غير (عن)؟

يقال: (عفا عن أخيه) و(عفا عن ذنبه) والعرب تستعمل الاثنين معاً، عفا عن أخيه بمعنى صفح، وعفا عن ذنبه أيضاً بمعنى محا ذنبه، ويبقى فكرة الانفصال هذه، عفا عن السيئة بمعنى فصل السيئة عنه، أي: أبعدها عنه ومحاها.

٧ـ في الآية ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ الفعل (قبِل) استعمل باستعمالات متعددة في القرآن الكريم، بهذه الصور بعده حرف الجرّ:

أ ـ في القرآن استعمل في موضع (قبل له) واللام للملك.

ب ـ ومواضع أخرى متعددة استعمل (منه) .

ج ـ وثلاثة مواضع استعمل (عنه)، وهذه المواضع الثلاثة التي استعمل (عن) كلها يجمعها أنّ الكلام فيها من الله تعالى عن نفسه إمّا بصيغة الغائب أو المتكلم، أمّا المواطن الأخرى فتكون بالبناء للمجهول أو على لسان أحد من عباده. وهذه المواضع هي:

ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف:١٦].

ـ ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٤].

ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى:٢٥].

هذه الآيات الثلاث فيها نسبة قبول التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، إمّا بالحديث مباشرة ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ [الأحقاف:١٦] أو على سبيل الغيبة، وهو سبحانه المتحدث، فقال: ﴿عَنۡ﴾ حتى تنفصل؛ لأنها تعود إلى الله تعالى مباشرة.

٨ـ الآيات الأخرى:

ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠] بناها للمجهول ولم يأت بحرف جرّ، ما قال: لم يقبل الله توبتهم؛ لأنهم لا يستحقون أن يذكر معهم اسم الله تعالى، هذه التوبة المذكورة في الآية: لا تقبل لا منهم ولا عنهم ولا لهم؛ لأنهم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً.

ـ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] الذي يصدر عنه أي دين لا يُقبل منه، يقال: إنه لا يوجد إنسان بلا دين حتى الملحد دينه الإلحاد؛ لأنّ الدين هو أن تدين بشيء. والإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، لكن مع مراعاة أنّ إسلام أي نبي هو لزمانه، فالنبي التابع الذي بعده ينبغي أنْ يتبعه أتباع النبي السابق، حتى يصل الأمر إلى خاتم الأنبياء ﷺ.

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران:٩١] بناه للمجهول.

- ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة:٤٨] بناه للمجهول.

- ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة:٥٤] بناه للمجهول،

- ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران:٣٧].

- ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٠].

٩ـ هذه الآيات كلها غير منسوبة لله تعالى بصراحة، فهي إمّا مبنية للمجهول أو من البشر.

- ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران:٣٥] ليس من كلام الله المباشر على لسان الباري سبحانه وتعالى، وإنما على لسان البشر.

- ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧] هذا كلام على لسان ابن آدم.

- ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [التوبة:٥٣] بناء للمجهول.

لذلك فإن الآية عندنا: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة:١٠٤] هنا جاءت ﴿عَنۡ﴾ [التوبة:١٠٤] لقطع الصلة المادية في ذهن الإنسان بينه وبين عمله، وربط التوبة مع الله سبحانه وتعالى. والله أعلم .

السؤال الثاني:

لماذا جاء في آية النساء ٩٢ بـ﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ بينما جاء ﴿يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ في آيتي التوبة ١٠٤، والشورى٢٥ ؟

الجواب:

١ـ ذكر ﴿مِّنَ﴾ مع التوبة؛ ليبين الجهة التي تقبل التوبة، وهو الله تعالى، فقوله: ﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ يعني أنّ التوبة قبلها الله، وهو يتوب على من يفعل ذلك.

٢ـ وأما ذكر ﴿عَنۡ﴾ في قوله: ﴿هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ فهو ليُبين طالب التوبة وهم العباد، أي: أنه يقبل التوبة التي تصدر عن عباده طالبين لها.

كما أن التعدية بـ﴿عَنۡ﴾ تتضمن معنى التجاوز والعفو، أي: متجاوزاً عن ذنوبهم التي تابوا عنها.

اللهم تبْ علينا وتجاوز عن سيئاتنا يا كريم يا حسن التجاوز، اللهم آمين.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

زاد في آية التوبة ١٠٩ قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بخلاف الآية الأولى ٩٤، فما السبب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية التوبة ٩٤.

❁❁❁❁

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ اعلم أنّ الله سبحانه قسّم المتخلفين عن الجهاد إلى ثلاثة أقسام هي:

أـ المنافقون الذين مردوا على النفاق، انظر: [التوبة ١٠١].

ب ـ التائبون، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢].

ج ـ الذين بقوا موقوفين في الآية ١٠٦ ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾

٢ـ لقائل أنْ يقول: إنّ كلمة (إمّا و إمّا) في الآية تفيد الشك، والله منزه عنه، فكيف ذلك ؟

وجوابه: أنّ المراد منه هو أنّ أمْرَهم هو على الخوف والرجاء، فقوم يقولون: هلكوا إذا لم ينزل الله بهم عذراً، وآخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم.

ولا شك أن أصحاب هذا القسم الثالث كانوا نادمين على تأخرهم عن الغزو وتخلفهم عن الرسول ﷺ.

٣ـ قوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ لم يحكم الله بكونهم تائبين، وذلك يدل على أنّ الندم وحده لا يكون كافياً في صحة التوبة فلعلهم خافوا من الخجل والفضيحة فقط دون الندم على المعصية.

وقد استمر عدم قبول التوبة إلى أن سهّل أحوال الخلق في قدحهم ومدحهم، فعند ذلك ندموا على المعصية، وعند ذلك صحّت توبتهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: عليم بما في قلوب هؤلاء المؤمنين، حكيم فيما يحكم فيهم ويقضي عليهم.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (المُطَّهِّرين و المُطَهَّرين)؟

الجواب:

المُطَّهَرُ: اسم مفعول، وهي تعني (مُطهَّرٌ) من قِبَل الله تعالى، وبالنسبة للمسلمين يقال لهم: (متطهرين أو مُطَّهِّرين) كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢] و ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨] و(متطهرين أو مطّهِّرين) هي بفعل أنفسهم، أي: هم يطهرون أنفسهم.

والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أنّ (المطهّرون) هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة (المطهّرين) لغير الملائكة ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٩].

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية البقرة ٢٥.

السؤال الثاني:

قال تعالى في آية البقرة ٢٢٢: ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ بالتاء، وقال في آية التوبة ١٠٨: ﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بالتشديد، فما الفرق؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢٢٢.

❁❁❁❁

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (البناء والبنيان) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

القرآن فرّق في الاستعمال بين البناء والبنيان، فاستعمل (البناء) للسماء، كما في آية [البقرة ٢٢ وغافر ٦٤]، واستعمل (البنيان) لما بناه البشر، كما في آية:[الكهف ٢١ الصافات ٩٧ التوبة ١٠٩]. والله أعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية:﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ ما دلالة التعبيرين ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الرضوان عام، وهو من الله فقط، ولم ترد في القرآن من غيره، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ التوبة ٢١.

٢ـ المرضاة هي أخص من الرضوان، وهي من الله ومن غير الله:[البقرة ٢٠٧ـ التحريم ١].

وهذا من خصوصيات القرآن الكريم في الاستعمال اللغوي. والله أعلم .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ ما كلمات منظومة الحرف والجرف ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٣ .

❊❊❊❊

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاء في آيات متعددة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ما الفرق بينهما؟

الجواب:

إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدّم العلم، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدم الحكمة.

حتى تتضح المسألة ننظر في الآية: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم فقدّم العلم، وقال في سورة المنافقين ﴿لَا يَزَالُ

بُنْيَنُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١١٠] هذه أمور قلبية ، ومن الذي يطلّع على القلوب؟ الله؛ فقدم العليم.

وأمّا في قوله تعالى في آية الأنعام ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣] فقد قدّم الحكمة على العلم؛ لأن الحجة تقتضي الحكمة .

ولمزيد من الإيضاح والمعلومات انظر آية النساء ٢٦ .

❀❀❀❀

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما سر تقديم (الأنفس على الأموال) في الآية ؟

الجواب:

١ـ (المال والأنفس) و(المال والبنون) دائماً المال مقدم على البنين وعلى الأنفس، ويتقدم ذكر المال على الأولاد وعلى الأنفس حيث وردا مجتمعين في القرآن الكريم، والسبب في هذا أنّ المال أظهر من الأولاد.

وقديماً كان المال يُرى: الأغنام والإبل وما أشبه ذلك، والمال يمكن أنْ يفخر به الإنسان، وقد لا يفخر بأولاده، فقد يكونون سيئين بحيث لا يستحقون أن يفتخر بهم.

٢ـ والمال هو الزينة أكثر من الأولاد ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦]، وزينة المال أظهر من زينة الأولاد وأوضح للناس والمجتمع: يرون المركب الفاره والقصر المنيف أكثر من رؤية الأولاد.

٣ـ لكن في موضع واحد، وهذا يقتضي أن يُسأل عنه، وهو الآية ١١١ في سورة التوبة ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قدّم الأنفس؛ لأنّ التعامل هنا مع الله عز وجل، فينبغي أن يقدّم الأسمى.

وتقديم المال في آية الكهف (٤٦) ليس لأنه أسمى ولكن لأنه أظهر وأوضح، وأمّا في التعامل مع الله تعالى لا بد أنْ يقدّم النفس، وهو لا شك أنّه المناسب لما اشتراه الله سبحانه وتعالى، ولما كان قد وهبه ابتداءً، فناسب أنْ يقدم الأعلى وهو (الأنفس).

لذلك حيثما ورد المال والأنفس يتقدم المال؛ لأنه أظهر.

السؤال الثاني:

ما دلالات هذه الآية ؟ وكيف نفهم موضوع الشراء في الآية مع أن البائع هو الله والمشتري هو الله؟

الجواب:

١ـ لا يجوز أن يشتري الله شيئاً في الحقيقة؛ لأنّ المشتري إنما يشتري ما لا يملك؛ ولهذا قال الحسن: اشترى الله أنفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها، لكنّ هذا ذكره تعالى لحسن التلطف في الدعاء.

وحقيقةُ هذا أنّ المؤمن متى قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه وينفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاء لما فعل، فجعل هذا استبدالاً وشراء، وهذا والله بيع رابح ما بعده ربح.

٢ـ ههنا البائع هو الله والمشتري هو الله، وهذا إنما يصح في حق القيّم بأمر الطفل الذي لا يمكنه رعاية المصالح في البيع والشراء.

وهذا المثل جارٍ مجرى التنبيه على كون العبد شبيهاً بالطفل، وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه.

٣ـ أضاف الأنفس والأموال إليهم تكريماً لهم، مع أنه سبحانه خلقهم ورزقهم، وأخذ منهم أحد العوضين: الجسد البالي والمال الفاني، وأعطاهم العوض الثاني: الجنة الباقية والسعادة الدائمة، فالربح حاصل والغم زائل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ .

٤ـ قوله تعالى: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ دخل فيه كل أنواع الجهاد بالنفس والمال والحجة، شريطة أنْ يكون في سبيل الله وحده.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ نصب ﴿وَعْدًا﴾ على المعنى، لأنّ معنى ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ أنه وعدهم الجنة فكان وعداً ثابتاً أثبته الله في التوراة والإنجيل والقرآن.

٦ـ إعراب ﴿وَعْدًا﴾ مفعول مطلق منصوب. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما سبب زيادة ﴿هُوَ﴾ في ختام آية التوبة ١١١، فقال: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ بخلاف آيتي الصف رقم ١١ و ١٢، حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بدون زيادة (هو) الذي هو ضمير الفصل؟

الجواب:

قال في الصف ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ وقال في آية التوبة ١١١ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ بزيادة ضمير الفصل الذي يفيد التوكيد، والسبب يتضح بعد دراسة الجدول التالي:

مسلسل	آيتا الصف ١١ـ١٢	آية التوبة ١١١
١	﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف:١١]	﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١١١]
٢	﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الصف:١١]	﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة:١١١]
٣	﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١١]	﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١١١]
٤	-	﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ [التوبة:١١١]

النتائج:

١ـ جاء بالصيغة الاسمية في آية التوبة، فوصفهم بأنهم (مؤمنون) وجاء بالصيغة الفعلية في آية الصف، والاسمية أثبت وأقوى من الفعلية.

٢ـ ذكر في التوبة أنّ الله اشترى من المؤمنين الأنفس والأموال ولم يبق لهم مال ولا نفس، وأما في آية الصف فهم يجاهدون بها ولم يذكر أنهم باعوها.

٣ـ قال في التوبة: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ وفي الصف ﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾، والمقاتلة مظنة القتل، وأمّا الجهاد فهو عام ومنه القتال.

٤ ـ ذكر في التوبة ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ ولم يذكر مثل ذلك في الصف.

٥ـ قدّم في التوبة في صفقة الشراء (الأنفس) على الأموال والأنفس أغلى من المال، فباعوا أنفسهم أولاً ثم أتبعوها المال.

ولذلك كانت التضحية في التوبة أعلى مما في الصف، والفوز إنما يكون على قدر التضحية، فلما زادوا في التضحية زاد لهم في الفوز وأكده بـ ﴿هُوَ﴾ .

والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة التأكيد في الآية في قوله تعالى: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ ؟

الجواب:

١ـ نحوياً يتم تأكيد المفعول المطلق بتأكيد عامله أو تأكيد مصدر عامله نحو: انطلقت انطلاقاً، أو تأكيد مضمون الجملة، وهو ما يسميه النحاة المؤكد لنفسه والمؤكد لغيره نحو: أنت ابني حقاً.

٢ـ في آية التوبة ١١١: لما ذكر الله فيها أنه ضمن للمجاهدين في سبيله الجنة، عُلم أنّ هذا وعد منه، فأكده بقوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ ، والله أعلم.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تعدد الأخبار في الآية من الناحية النحوية؟ ومتى يجب أو لا يجب ذكر الواو بينها؟

الجواب:

١ـ قد تتعدد الأخبار عن المبتدأ الواحد فيكون للمبتدأ خبران أو أكثر، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج:١٤-١٥].

ويذكر النحاة من حيث اقتران الأخبار بالواو أحوالاً ثلاثة،هي :

أ ـ قسم يجب فيه ذكر الواو: وذلك عندما تكون الأخبار متعددة؛ لأنّ المخبر عنهم متعددون، نحو: بنوك كاتب وصائغ وفقيه، أي: بعضهم كاتب وبعضهم صائغ وبعضهم فقيه.

ب ـ قسم يجب فيه ترك الواو، وهو ما تعدد في اللفظ دون المعنى نحو: الرمان حلو حامض.

ج ـ قسم يجوز فيه العطف وتركه .

وهنا إنْ تكررت النعوت لواحد فالأحسن العطف بالواو إنْ تباعد معنى الصفات نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣] وهنا كان العطف بالواو؛ لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها، لأنّ الشيء لا يكون ظاهراً باطناً من وجه والله ليس كمثله شيء، فكان العطف فيه أحسن.

٢ـ ولهذا السبب عطف (الناهون) على (الآمرون) في آية التوبة ١١٢ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ .

وكذلك عطف ﴿وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ على ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ في آية التحريم ٥ ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ .

فجاء بالعطف؛ لأنه لا يمكن اجتماعهما في محل واحد، وهذه الواو العاطفة تسمى واو الاهتمام والتحقيق، وبعضهم يسميها واو الثمانية.

٣ـ وجاء في قوله تعالى في آية آل عمران ١٧: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ أن الواو هنا بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها.

٤ـ ويُترك العطف عندما تكون الصفات متحدة المنحى كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٠-١١-١٢-١٣].

وكقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقوله: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤]

السؤال الثاني:

ما دلالة أن تجمع الصفات في الآية جمعاً مذكراً سالماً ؟

الجواب:

١ ـ الأصل في الصفات أنْ تجمع جمعاً سالماً، والجمع السالم يدل على القلة في الجوامد، وأمّا في الصفات فالأصل فيه أن يدل على الحدث، وجمع الصفات جمعاً سالماً يقربها من الفعلية، بينما تكسيرها، أي: جمع التكسير يبعدها من الفعلية إلى الاسمية.

٢ـ الجمع السالم يجري مجرى علامة الجمع من الفعل، فقولك: يقومون ويضربون، أشبه بقولك: قائمون وضاربون، فالواو للجمع في الفعل والجمع السالم.

٣ـ جاء في «شرح الرضي على الشافية»: اعلم أنّ الأصل في الصفات أن لا تكسّر لمشابهتها الأفعال وعملها، فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه .. ثم إنهم مع هذا كله كسّروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد وإن شابهت الفعل.

* شواهد قرآنية:

أ ـ ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة:١١٢] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف:١٢] ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

أي: الذين يحفظون حدود الله ويحفظون فروجهم، ولم يقل: والحفّاظ أو الحفظة؛ وذلك لأنّ التكسير يبعدها عن الحدث.

ب ـ ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢﴾ [الحجر:٢٢] و(خازنين) تفيد الفعلية بخلاف: (خزنة)، فإنها لا تدل على الفعل، وإنما تدل على الاسم إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكلين في النار، كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزُّمَر:٧١] و ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٩﴾ [غافر:٤٩].

ج ـ ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّخرُف:٣٠] و ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الروم:٨]

ولم يقل: بلقاء ربهم لكفّار أو كفرة؛ لأنّ في ﴿كافرون﴾ معنى الحدث، فتعلق به الجار والمجرور أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم لقرب هذا الجمع من الفعلية، ولم يتعلق مرة واحدة بالكفّار أو الكفرة مع ترددهما في اثنتين وعشرين مرة في القرآن الكريم.

د ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [فُصِّلَت:١٠] ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [المرسلات:٢٧]

وقد وردت كلمة ﴿رَوَٰسِيَ﴾ [المرسلات:٢٧] تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة (راسيات) إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ [سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

* أمثلة غير قرآنية:

أ- (ذهبنا إلى المحكمة فوجدنا الحكّام حاكمين في القضية ومنصرفين) فمعنى: حاكمين، أي: حكموا أي: إرادة الحدث.

ب - (راجعنا الدائرة ووجدنا الكتّاب كاتبين الكتاب) فالمقصود بالكتّاب هو اسم لهذا الصنف من الناس وكاتبين: بمعنى كتبوا، أي: الحدث.

فاتضح بهذا أنّ الجمع السالم يدل على إرادة الحدث، والتكسير يباعده عن ذلك إلى الاسمية. والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما دلالة إدخال حرف الواو في الآية ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ دون إدخالها على الصفات السابقة ؟

الجواب:

١- قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة:١١٢] القدامى قالوا أدخل الواو على (الناهون)؛ لأنّ كل ما سبق من الصفات يأتي بها الإنسان لنفسه ولا يتعلق بالغير (عابد، حامد، سائح، راكع، ساجد) وأمّا (الناهون) فتتعلق بالغير، وهناك احتمال أنْ يلاقي بها من الأذى.

٢- والنحويون يعتبرون (الواو) هنا للاهتمام والتحقيق ، كما في آية التوبة١١٢ هذه، حيث جاءت الواو مع الناهين عن المنكر لزيادة الاهتمام بهذه الخصلة؛ لما تحتاج إلى صبر

وعناء وحكمة ومشقة، حيث إنّ كل ما سبق من الصفات عبادات يأتي بها الإنسان لنفسه، أمّا النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير، إضافة إلى أنها الصفة رقم ثمانية .

❁❁❁❁

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة التعبير بكلمة ﴿مَّوْعِدَةٍ﴾ في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾؟ ولِمَ لمْ يستعمل موعد ؟

الجواب:

١ـ (موعد): مصدر، ويمكن أنْ يتكرر الموعد، وكلمة (وعد) لا تعني بالضرورة مرة واحدة، والحدث مثل (المشي) ليس بالضرورة أن يكون مرة واحدة، والمصادر التي هي حدث لا تعني بالضرورة مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود:٦٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤]. ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ [طه:٥٨].

٢ـ (موعدة) بمعنى موعد، وهي على أوزان المرّة التي تدل على المرة الواحدة، ويمكن أحياناً أنْ نضيف التاء على المصدر إذا كان أكثر من ثلاثة أحرف، نحو: (استغفار واستغفارة). و(موعدة): كأنّ التاء وضعت بعد المصدر، كأنها مرة واحدة لم تتكرر.

٣ـ الله سبحانه نهى الرسول ﷺ، ونهى المؤمنين عن مثل موعد سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر، كما جاء في آية الممتحنة ٤ قوله تعالى :

ـ ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ ﴾ [الممتحنة:٤]

أي: لقد كان لكم فيه أسوة إلا هذا ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة:١١٤] فهذه يجب ألّا تتكرر، فلا يجوز الاستغفار لأبيك الكافر.

٤ـ يصح أن نقول (موعد)، لكنّ (موعدة) أبلغ، وفيها دلالة على قِلّة هذا الأمر وأنه لا ينبغي أنْ يتكرر، فهو مرة واحدة فقط وليس لكم أنْ تكرروها ولا أنْ تفعلوها ولا أنْ تقولوها، وآيات القرآن الكريم تراعي سياق الحال الذي قيل فيه، وهذه هي البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استعمالات الفعل (كاد) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ ـ (كاد) في دراسات النحو يقولون: هي من أفعال المقاربة. وعندما تقول: كاد زيد يفعل كذا، يعني قارب الفعل، ونقول: كاد المتسابق يفوز، يعني هو لم يفز، لكن قارب الفوز. واستعمال (كاد) يأتي بعدها الفعل المضارع على الغالب من غير (أنْ) إلا النادر نحو: (ما كدت أنْ أصلي العصر) والأصل أنْ تأتي من غير (أنْ): كاد يفوز، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ جاء الفعل (كاد) بمعني قارب الفعل ولم يفعله.

٢ـ (ما كاد) أو (لم يكد) معناه أصلاً لم يقاربْ، ويعني لا قاربه ولا فعله من باب أولى. وكاد يفوز: يعني قارب الفوز.

٣ـ في العامية نحن نستعملها أحياناً فنقول: (بالكاد فعلت هذا الأمر) يعني ما كدت أفعله، هو فعَلَه لكن بعد إبطاء، والناس لا تتكلم جملة واحدة، وإنما هناك واقع حال وهناك سياق.

٤ـ خلاصة الأمر أنّ السياق هو الذي يعين المعنى الطبيعي الذي عليه، أو أن المعنى الذي تحول إليه وفق السياق هو الذي يبين مراده منها.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ ما كلمات منظومة جنح وزاغ وكل أنواع الميل ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.

❁❁❁❁

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية ١١٨ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هل التوبة الأولى هي الثانية أو غيرها ؟

الجواب:

١ـ قيل: الأولى عامة، والثانية في الفريق الذي كادت تزيغ قلوبهم.

٢ـ وقيل: الأولى هي الثانية، وإنما بيّن في الثانية سبب توبتهم.

وقوله تعالى: ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي: ليدوموا على توبتهم. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة التوبة في قوله تعالى في الآية: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ؟

الجواب:

في موضوع التوبة هناك ثلاثة أمور:

١ـ الله سبحانه وتعالى شرّع التوبة للعباد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ولم يبتكر أحد التوبة، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٧] فهي منتهى العطاء منه سبحانه.

٢ـ الله الذي خلقنا قدّر أنّ الواحد منا قد يضعف أمام بعض الشهوات فوضع تشريع التوبة، عند ذلك يتوب العبد إلى الله ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ .

٣ـ وبعد ذلك يكون القبول من الله تعالى، كما في قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣]، وهذا مبني على العلم الشامل والحكمة الدقيقة الراسخة.

٤ـ إنّ الله عز وجل عندما قرر التوبة عليه سبحانه وأوجبها على نفسه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون فوراً، فإنه يدلنا أيضاً على مقابل هؤلاء، وهم الذين لا تقبل

منهم التوبة، هم أصحاب النفوس التي شردت عن منهج الحق، وهم لم يرتكبوا سوءاً واحداً بل ارتكبوا السيئات كما في آية (النساء ١٨).

حتى أنّ بعض الناس يتصورون عملهم في الخير وهم شاردون عن منهج الحق، مثل الذين يتعاملون مع مؤسسات الماسونية ونوادي الروتاري، ويدّعون أنها أندية خيرية وهي في حقيقتها معادية للإسلام.

٥ـ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:١٨] لأن التوبة لا تقبل في مثل هذه الظروف.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أنّ قبول التوبة على الله بحذف المضاف .

٧ـ قوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ معناه أنّ الإنسان يأتي بالمعصية، وربما يعلم أنها معصية، لكنه يجهل مقدار العقاب، أي: يكون جاهلاً بفعله مسلوبَ كمالِ العلم بسبب غلبة الهوى وتزيين الشيطان.

٨ـ قوله تعالى: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ هنا (من) لابتداء الغاية، أي: يجعل مبتدأ توبته زماناً قريباً من المعصية؛ لئلا يقع في زمرة المصرّين، ومن لم تقع توبته على هذا الوجه فإنه يكفيه أنْ يكون من جملة الموعودين بكلمة ﴿عَسَى﴾ في قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأنه قد خرج عن المخصوصين في هذه الآية بكرامة حتم قبول التوبة على الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا شك أنّ بين الدرجتين من التفاوت ما لا يخفى.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ ما دلالة الفعل (ظنّ) ؟ وما الفرق بين (ظنّ وعلم)؟

الجواب:

الظن: هو فعل التردد بين الشك واليقين وبين القوة والضعف، فإذا قوي صار يقيناً، وإذا ضعف انقلب إلى وهم، قال تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية:٣٢].

وجاء في لسان العرب أنّ الظن شك ويقين، إلا إنه ليس بيقين عيان إنما هو يقين تدبّر، وأمّا يقين العيان فلا يقال فيه إلا (علم) ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦﴾ [التكاثر:٥-٦].

ولا يستعمل الظن بمعنى العلم إلا في الأشياء الغائبة عن مشاهدة الحواس لها، فإذا رآها صار علم اليقين بالمشاهدة، فإذا تذوق الشيء أو دخله أصبح حق اليقين.

ومما يظهر أنّ الأصل في الظن أنْ يكون شكاً، وما ذكر من معاني اليقين يمكن تأويله.

* شواهد قرآنية:

- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة:٢٠] يعني إني ملاقيه على هذه الحال من السعادة، وقد اكتسب الفعل (ظن) القوة هنا، حتى صار يقيناً من حرف التوكيد المشدد ﴿إِنّ﴾.

- ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ بمعنى أنهم يطمعون في رحمة الله والتوبة عليهم.

- ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣] بمعنى أنهم لم ييأسوا من أنْ يخفف الله عنهم، لكنّ الظن الراجح أنهم سيواقعون النار.

ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] بمعنى الذين وطّنوا أنفسهم على الثبات في ساحة القتال وظنوا أنهم سيلاقون الله في هذه المعركة.

ـ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ [القيامة:٢٨] أي: غلب على ظنه أنه سيموت ويفارق الدنيا.

ملاحظات:

١ ـ هناك فرق بين (ظن وعلم) كما بينا، والإنسان مهما زادت معارفه يبقى ضمن نطاق الظن، حتى لو بلغت نسبة ظنه ٩٩ بالمائة، فلا يصل إلى علم اليقين إلا بالمشاهدة، ثم يصل بالدخول إلى الشيء أو التذوق إلى حق اليقين. ومثال ذلك:

لو أخبرك شخص صادق عن نوع جديد من الفاكهة لا تعرفه من قبل وله صفات وطعم خاص فهذا علم أولي، فإذا رأيت هذا النوع من الفاكهة الجديدة أمامك صار ذلك علم اليقين، فإذا أكلتها وتذوقتها دخلت في حق اليقين.

ولذلك يصح أن تقول: الله عالم، ولا يصح أن تقول: الله عارف؛ لأنّ المعرفة يسبقها جهل، وهذا محال على الله تعالى، بينما الإنسان يبدأ جاهلاً ثم يكتسب المعرفة شيئاً فشيئاً.

٢ـ ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كل ظن ورد بعده (أنّ) المشددة فالمراد به اليقين فهذا غالب لا مطرد، ومن غير الغالب قوله تعالى:

ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢].

ـ ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧١].

ـ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧].

٣ ـ ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كل ظن ورد بعده (أنْ) الخفيفة فالمراد به الشك، فهذا مردود بقوله تعالى:

ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة:١١٨].

ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢﴾ [الجن:١٢].

٤ـ ما ذهب إليه بعضهم من أنّ كل ظنٍّ ورد بعده (أنْ) الناصبة فالمراد به الشك، فهذا يردّه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥﴾ [القيامة:٢٤-٢٥] وهذا موطن يقين لا موطن شك.

❁❁❁❁

﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾

السؤال الأول:

زاد في الآية الأولى ١٢٠ على الآية الثانية ١٢١ قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ ـ جاء في الآية الأولى ما ليس عملاً لهم، كالظمأ والنصب والمخمصة، فهذه ليست من أعمالهم، غير أنه تكتب لهم أعمال صالحة؛ لأنها كانت في سبيل الله﴿. وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢ ـ ما جاء في الآية الثانية كله من أعمالهم، فالنفقات وقطع الوديان هي أعمال حقيقية لهم، وهي من الأمورالصالحة المقبولة شرعاً؛ لذا لم يكن ثمة داعٍ إلى القول: ﴿كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ .

٣ ـ ختام الآية الأولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ ؛لأنّ ما تقدم ليس عملاً، وإنما هو من الإحسان الذي تدخل فيه عموم العبادات .

٤ ـ ختام الآية الثانية ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ .

٥ ـ لّما كان في الثانية عملهم كتب على جهته، فلم يحتج إلى أنْ يكتب به عمل صالح؛ لأنه هو كذلك، بينما الأول كان فيه ما ليس بعملهم فكتب به أجر مثل عملهم؛ فلذلك كانت الزيادة في الأولى ولم تحتج إليها الأخرى. والله أعلم .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ ما كلمات منظومة الجوع ؟

الجواب:

هذه كلمات منظومة الجوع:

الجوع: هو ألم البطن لفراغ المعدة من الطعام ، وهو أول درجات خلو البطن من الطعام، وهذا من قوانين الله في البشر: [الغاشية ٧ـ قريش ٤ـ البقرة ١٥٥].

خصاصة: إذا استمر الجوع في الفرد أو المجموعة لمدة أسبوع أو شهر أو أكثر يُسمى خصاصة، وهو أقل مرتبة من المجاعة، لكنّ الطعام قليل فتصفر الوجوه وتهزل، و(الخصّ) نبات من القش أصفر وضعيف وهزيل[الحشر ٩].

مخمصة: إذا تطور الجوع بحيث أدى إلى تشويه في الوجه والجسد فتغور العيون وتخسف البطون فيُسمى مخمصة، وفي هذه الحالة يحق لصاحبها أنْ يأكل مما حرم الله عليه بقدر اضطراره:[المائدة ٣ـ التوبة ١٢٠].

المسغبة: إذا صادف مع المخمصة حالة من التعب والعناء تسمى مسغبة، والذي يُطعم في المسغبة كمن يعتق عبداً مملوكاً مثل الشهيد في سبيل الله، فكأنّ طاعات الشهيد الأخرى قد اختزلت في هذه الشهادة:[البلد ١٤].

أنواع الجوع:

١ـ **الجوع العظيم:** وهو الصوم.

٢ـ **الجوع الإجباري:** وهو أسوأ أنواع الجوع بأنْ يحرمك غيرك من حقك بالطعام، كما حصل في حصار العراق وغزة وأماكن أخرى.

٣ـ **الجوع الرحيم:** كما فعل الأنصار، جاعوا ليطعموا إخوانهم المهاجرين.

٤ـ **الجوع الكريم:** أو جوع العفة: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣].

٥ـ **الجوع الوسيم:** وهو الجوع بهدف الرشاقة كما يفعله جنود الكوماندس.

٦ـ **الجوع اللئيم**: وهو شعور الجوع لمن لا يتق الله فيخاف الجوع؛ لأنهم لا يثقون بالله الرزّاق.

٧ـ **الجوع السقيم**: هو جوع المرض أو الخوف أو الكآبة فيفقد شهيته للطعام.

٨ـ **جوع الابتلاء**: وهو الابتلاء قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

والابتلاء: يكون بما تكره: (جوع ـ خسف ـ خوف)، ويكون لجلاء الصبر.

والفتنة تكون بما تحب كـ(المال والنساء والأولاد)، وتكون لجلاء الشكر.

والامتحان: هو اختبار الكفاءة.

❀❀❀❀

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ ما دلالة (ما) بعد (إذا) ؟

الجواب:

الأصل في (إذا) أنْ تكون للمقطوع بحدوثه وللكثير الوقوع، فمن المقطوع بحصوله نحو قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ فإن كل واحد منا سيحضره الموت، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة:٢] ولا بد للمحرم من أنْ يتحلل .

وأمّا ما يقع كثيراً، فنحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء:٨٦] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وتدخل (ما) بعد أدوات الشرط، نحو: (إذا ما و متى ما)، وقد ذهب النحاة فيها إلى أنها تؤدي غرضين:

١ـ إفادة الإبهام والعموم:

فإذا قلت مثلا: سأزورك إذا جنّ الليل، فالراجح أنّ يكون القصد ليل يومكم ذاك، وأما إذا قلت: سأزورك إذا ما جنّ الليل، فإنه لا يتعين ليل ذلك اليوم، بل أصبح الكلام يحتمل الليالي الأخرى القابلة؛ وذلك لأنّ (ما) أبهمتها .

٢ـ إفادة التوكيد:

ومعنى التوكيد أظهر من الإبهام في الاستعمال القرآني والاستعمال العربي، و(ما) تزاد كافة وغير كافة، وتزاد بعد الأحرف المشبهة بالفعل وبعد طائفة من حروف الجر، وحيثما زيدت (ما) مع (إنْ) الشرطية في القرآن الكريم أُكّد شرطها بالنون، ولم يتخلف من ذلك موضع واحد، علما أنها وردت في أربعة عشر موضعا، نحو:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال:٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [الرعد:٤٠].

ولذلك يمكن أنْ نقول: إنّ القاعدة في زيادة (ما) هي أنه: إذا قُصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة معنى الجزاء استعملت (ما) بعدها .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الأنفال ٥٧.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل يُضمر القول في القرآن الكريم؟

الجواب:

أحوال القول والمقول كثيرة، منها:

أنْ يحذف فعل القول ويذكر المقول، كأن يقول: قال أو يقول، لكنه مفهوم، وهذا كثير أيضاً، كما في الآية: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ ما قال القرآن على لسانهم: يقولون هل يراكم من أحد، فلمْ يذكر القول، وإنما ذكر المقول.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ ما دلالة (ما) بعد (إذا) ؟

الجواب:

انظر: الجواب في آية التوبة ١٢٤.

❁❁❁❁

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

في هذه الآية وصف الله سبحانه وتعالى رسوله بخمس صفات:

- ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ . - ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ .

- ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ . - ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ﴾ . - ﴿رَّحِيمٞ﴾ .

١ـ قوله: ﴿جَآءَكُمۡ﴾ نسب المجيء للرسول ﷺ، ولم يقل جئتكم برسول، فكأنّ الشحنة الإيمانية للرسول ﷺ التي خلقها الله له جعلت لذاته عملاً، فأراد الله أنْ يثبت للرسول ﷺ المجيء ذاتياً، فهو يعشق الجهاد من أجل الدعوة، ويعشق الكفاح من أجل تحقيق هذه الرسالة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿رَسُولٞ﴾ تدل على أنه ليس من عنده، وإنما هو مرسل من الله تعالى.

٣ـ قوله: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: من جنسكم ومن جنس العرب، ومنكم تعلمون تاريخه وقادر أنْ يتفاهم معكم؛ لأنّ لغته هي لغتكم.

وجاء بلفظ (أَنفس) جمع قلة، ولم يقل: (نُفوس) جمع كثرة؛ وذلك لأنه:

أ ـ المؤمنون أقل من الكفار.

ب ـ وزن (أنفس) أخف من وزن (نفوس)؛ لأنّ الفتحة أخف من الضمة، فاختير اللفظ الخفيف.

ج ـ مناسب لاتباع منهج الله و سنة الرسول ﷺ ،فاتباعهما ليس بالأمر الثقيل على النفس ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١-٢].

٤ـ قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ أي: شاق عليه أنْ يعنتكم بحكمٍ، فقلبه رحيم بكم، وهو لا يأتي بالأحكام؛ لكي تشقّ عليكم بل تنزل الأحكام من الله لمصلحتكم، فهو نفسه يعزّ عليه أنْ يشقّ عليكم، والمعنى أنه فعل بهم ذلك؛ ليتخلصوا من العقاب المؤبد ويفوزوا بالثواب المؤبد.

٥ـ قوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ يفيد الحصر لتقدم الجار والمجرور بمعنى: لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين، وأمّا الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة .

و(الرأفة): هي سلب ما يضر من الابتلاء والمشقة، و(الرحيم): هو الذي يجلب ما ينفع من النعيم والارتقاء.

وحسبه ﷺ من هاتين الصفتين أنّ الله وصف رسوله بهما، وقد ثبت أنه سبحانه وصف نفسه بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [النحل:٧]

فرأفة الرسول مستمدة من رأفة العلي الأعلى، وكذلك رحمته مستمدة من رحمة العلي الأعلى.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه.

والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في آية البقرة ١٢٩ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وفي آية آل عمران ١٦٤ ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وآية التوبة ١٢٨ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؟ فما السبب؟

الجواب:

آية البقرة في سياق دعاء إبراهيم عليه السلام، وهو عام.

أمّا في آل عمران والتوبة فهما في سياق ذكر المنة على المؤمنين، فناسب ذكر ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لمزيد الحنو والمنة، وكذلك ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

رابعاً ـ تناسب فواتح التوبة مع خواتمها:

١ ـ تبدأ السورة بقوله سبحانه: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة:١].

ثم آذنهم بالقتال فقال: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥].

وتنتهي بالأمر بقتال الكافرين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:١٢٣].

٢ ـ وبدأت السورة بالمتولين عن دين الله واستوجبوا القتال من المعاهدين من المشركين، وذلك قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾ [التوبة:١].

وانتهت فيمن تولى عن دين الله على العموم، وذلك قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ⑫⑨﴾ [التوبة:١٢٩].

والله أعلم.

فهرس المحتويات